

الافتتاحية

حفظ النفس

حفظ النفس من الضروريات الخمس للدين الإسلامي، والتي جاءت الشريعة لحفظها،ولهذا قال النبي ﷺ في حديث رواه البخاري وغيره: «من قُتل دون نفسه فهو شهيد»، فمن حق الإنسان أن يدافع عن نفسه ضد من أراد قتله، أو حتى من أراد إصابته بجراح أو غيرها، ولأجل هذا حَمَى الإسلام النفوس أيما حماية، وصانها بسياج متين، وحصن حصين، وأكد حرمتها في الكتاب والسنة، وحرم الاعتداء عليها، والتعرض لها بسوء، وجعله من أكبر المحرمات، وأعظم الموبقات، وقرن قتل النفس بالشرك بالله، فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: ٦٨)، وفي الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات -وذكر منها-: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

وهكذا تعمل الشريعة على حفظ النفس بكل الوسائل، وشتى الطرق المُحْكمة؛ فالإسلام يربي هذه النفس على طاعة الخالق وامتثال أوامره، فالذي خلقها وأكرمها هو الذي حرّم إزهاقها.

ومن أجل حفظ النفس شرع الإسلام من الأحكام ما يحقّق لها المصالح ويدرأ عنها المفاسد، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها ودرء الاعتداء عليها.

كما سدّت الطرقَ المفضية إلى إزهاقها أو إتلافها أو الاعتداء عليها، تحريم الانتحار والوعيد الشديد لمن قتل نفسه مهما تكن الظروف والأسباب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن شرب سُمّا فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالدا مخلّدا فيها أبدا، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جهنم».

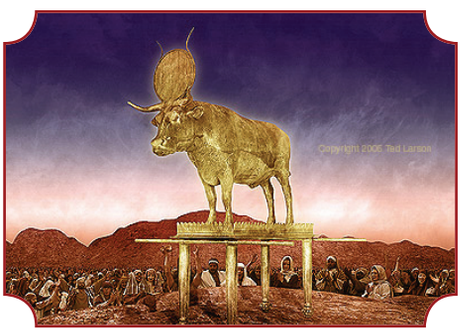
ومن الوسائل للحفاظ على النفس: النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه من حديدة وغيرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبوالقاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».ومن ذلك أيضًا: نَهْيُهُ عن السبّ والشتم المفضي للعداوة ثم التقاتل، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّا مُّبِينا﴾ (الإسراء:٥٣). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

التحرير

في هذا العدد



الإسلام والحرية السياسية ١٨



القصة القرآنية وسيلة بناء ونهضة ٥٨



دار المخطوطات باليمن.. كنز تراثي ٨٢

موضوع الغلاف



ملف العدد يناقش الاحصاءات الحديثة التي تكشف زيادة متصاعدة في عدد المنتحرين عربيا وعالميًا

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٣

رجب ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

مايو - يونيو ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • اليمن : ١٠٠ ريال • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ حفظ النفس	التحرير
٦	مؤتمرات/ الوسطية أداة ضبط التجديد	فيصل يوسف العلي
٨	سيرة/ حب النبي ﷺ	د. قاسم سعد
١٠	حضارة/ الهوية الوطنية الجزائرية في الخطاب البابيسي	د.أحمد عيساوي
١٢	حوار/ يوسف زيدان: يجب ألا ننشغل بتجليات تفصيلية	مريم عبدالحميد
١٥	أخلاق/ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك	أحمد الشلقامي
١٦	تحقيق/ الإعلام الفضائي في مرمى الانفلات	إنجي الطوخي
١٨	قضايا/ الإسلام والحرية السياسية	د. الشبراوي الجهوري
٢٠	ملف العدد/ الانتحار وصناعة الأمل	علاء الدين عبدالفتاح
٢٠	ملف العدد/ الانتحار.. أعراضه ومسبباته وسبل الحد منه	د. أندي حجازي
٢٤	ملف العدد/ خطر الانتحار يضرب المجتمعات العربية	هالة عبدالحافظ
٢٨	ملف العدد/ انتحار الشباب.. ثقوب في ثوب البراءة	إيمان القدوسي
٣٠	ملف العدد/ ظاهرة الانتحار ومسؤولية وسائل الإعلام	أ.د. عبدالصبور فاضل
٣٣	ملف العدد/ الانتحار.. والأمن النفسي	د. وصفي عاشور أبوزيد
٣٤	ملف العدد/ صناعة الأمل.. ضمان فاعلية الأمة	السنوسي محمد السنوسي
٣٧	رثاء/ وفاة خطيب الأقصى.. الشيخ حامد البيتاوي	التحرير
٣٨	دراسات/ حقائب طالب العلم	أ.د. محمد بن علي باجابر
٤٢	دراسات/ ثمار ورد ذكرها في القرآن الكريم	درويش الشافعي
٤٦	مناظرات/ المناظرات	التحرير
٤٨	مجالس/ هل يجوز قراءة كتب الحديث كالأمهات في المساجد؟	التحرير
٥٠	رثاء/ الشيخ عبدالرزاق الحلبي في ذمة الله	التحرير
٥٢	لغة وأدب/ عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (١-٢)	عبدالله آيت الأعشير
٥٥	لغة وأدب/ عويل	جيكر خورشيد
٥٦	لغة وأدب/ همس الدموع	محمد مروان مراد
٥٨	لغة وأدب/ القصة القرآنية وسيلة بناء ونهضة	محمد الشحات
٦٠	أنباء الكتب/ صحيح ابن حبان	التحرير
٦٢	تراث/ الأرجوزة الميئية في ذكرى حال أشرف خير البرية	صالح بن عبدالخالق
٦٨	إعلام/ الصورة النمطية للعربي في الإعلام الغربي	أنور الجمعاوي
٧٠	أسرتي/ صلة الرحم سبيل هناء الأسرة	جميل حسين
٧٢	أسرتي/ كيف تعالجين عادة السرقة عند طفلك؟	د. نجيب الجباري
٧٤	أسرتي/ فكرنا مرتع خصب للخرافات!	مليكة الحامدي
٧٦	احتياجات/ هل تمنع الإعاقة العلم والعمل؟	أحمد القزعل
٧٨	أعلام/ العالم البحاثة المدقق المسند.. الشيخ أحمد مختار رمزي	محمد رمضان
٨١	إدارة/ من قواعد السلوك الإسلامي في علم المحاسبة	د. سلطان السهو
٨٢	منارات/ دار المخطوطات باليمن.. كنز تراثي	تركي النصر
٨٦	طب/ النوم صحة للجسم	بشرى شاكر
٨٨	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٠	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ طريق الإسراء والمعراج	عثمان حسين

كلمة العدد

وشهد شاهد منهم!

صيحات متعددة تنطلق بين الحين والآخر من مجتمعات الشرق والغرب تنادي بتحديد النسل بحجة أن الأرض ستعجز في السنين القادمة عن إطعام سكانها الذين سيصلون إلى أكثر من تسعة مليارات نسمة عام ٢٠٥٠م، مثل هذه المزاعم لاقت رواجًا عند كثير من المجتمعات وخاصة المجتمعات المصنفة بأنها (متقدمة)، وعلى سبيل المثال لا الحصر تراجع عدد سكان اليابان عام ٢٠١١م إلى ١٢٧ مليون نسمة أي بنسبة ٠٢٪ عن عام ٢٠١٠م وهو أكبر تراجع سنوي يسجل في البلاد منذ عام ١٩٥٠م، وإذا كان المسلمون لا يؤمنون بمثل هذه المزاعم لأن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الأرض ومن عليها قدرّ فيها أرزاقها وأقواتها لكل أجيالها القادمة ولا خوف البتة من حدوث أي خلل أو نقص في ذلك وأن ما يحصل أحيانًا من مشكلات غذائية إنما سببه الإنسان نفسه الذي أساء استغلاله للأرض واستحوذ على نصيب أخيه الإنسان وهذا ما أكده أخيرًا العالم الفرنسي (ايرفيه لوبرا) الذي أصدر كتابه أخيرًا تحت عنوان (حياة سكان العالم وموتهم) وضمنه الحقيقة الدامغة وهي أن ما يثار من خوف حول تلبية احتياجات الـ ٩ مليارات المتوقعة سنة ٢٠٥٠م لا صحة له، مؤكدًا أن هذا الخوف هو جزء من جدال إيديولوجي أطلقته البلدان الغنية لتجاهل المشاكل التي تعاني منها ورميها على الفقراء.. فهل تدرك البشرية جمعاء سر الخلل الحاصل اليوم في الأرزاق والأقوات؟

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥ / ٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



في ندوة «النظرية الفقهية والنظام الفقهي» بسلطنة عمان

الوسطية أداة ضبط التجديد

فيصل يوسف العلي

عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان ندوة تطور العلوم الفقهية تحت عنوان «النظرية الفقهية والنظام الفقهي» خلال الفترة من ٧-١٠ ابريل الماضي برعاية وزير العدل الشيخ عبدالملك الخليلي وبحضور ثلة من العلماء والمشايخ من مختلف الأقطار الإسلامية، وأعضاء المجامع الفقهية والخبراء والباحثين، وتأتي هذه الندوة لتبرز جهود العلماء في مفهوم النظرية الفقهية وتوحيد أطرها نظرًا لكثرة الجدل حول جدوى الفقه الإسلامي ومدى قوته وشموليته لمقتضيات حاجة المجتمع وتطوره.

وناقشت الندوة ٦٠ ورقة عمل تبحث عددًا من المحاور منها نشأة الفقه الإسلامي وظهور النظرية والنظام، وفقه النظرية في المجال العام، وفقه التنظير في المجال الخاص، والفقه والتاريخ، وتاريخ الفقه وأصوله عند المستشرقين والدارسين المسلمين، وكتابة التنظير في التراث الفقهي الإسلامي المبكر.

وأكد المحاضرون أن الوسطية مظهر من مظاهر الشريعة في جميع الجوانب، وهي أداة ضبط التجديد حذرًا من الإفراط والتفريط لافتين إلى أن التجديد لابد أن يشمل القضايا العامة، لأن الفقه يعالج كل القضايا لاسيما السياسية.

من جهته قال مفتي السلطنة الشيخ أحمد الخليلي: «إن العناية بالشريعة الإسلامية والبحث عما في طوايا كنوزها من حلول لمشكلات الأمة والإنسانية مطلب البشرية، وعليها ان تقوم بهذا الدور، وعلى علماء الشريعة أن يحرصوا على توجيه هذا الخير».

ضرورة إبراز جهود العلماء في مفهوم النظرية الفقهية وتوحيد أطرها

بدوره طالب رئيس رابطة علماء الشام د. وهبة الزحيلي العلماء بضرورة التباحث فيما يحقق الخير والتقدم والحاكمية، لأن هذا المعنى مفقود في حياتنا، حيث تغلبت القوانين الوضعية على الفقه الإسلامي فأقصى الفقه بدرجات متفاوتة بين قطر وقطر، وهذه النصوص الكريمة التي نعتز بها تحتاج إلى دفاع مستميت عن بقاء حيوية الشريعة وتطلعاتها لأن في ذلك إعمالاً لعالمية القرآن الكريم.

من جانبه أكد مفتي الديار

رئيس التحرير - مسقط

المصرية د. علي جمعة أن الفهم ينبغي أن يكون لمصادر الشريعة الغراء، ويكون للواقع المعاش الذي يتغير من لحظة إلى لحظة، هذا الواقع بعوالمه المختلفة.. عالم الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، والنظم، داعيًا الفقيه أن يدرك الواقع إدراكا واعيًا لتحقيق مقاصد الشريعة ومصالح العباد والبلاد.



بدوره قال د. أحمد أبوالوفا إن من المزايا الكبرى للفقه الإسلامي وضع نظريات عامة وشاملة للموضوعات التي تناولها يمكن استخلاصها من كتابات كبار الفقهاء. وتعد نظرية العلاقات الدولية، والتي تتعلق بما يجب على الدولة الإسلامية وممثليها مراعاته عند التعامل مع الدول وأشخاص القانون الدولي الآخرين، إحدى هذه النظريات التي تبين، عمقًا في الفكر وشمولية في العرض وتكاملا في الأركان والبنيان، لاسيما أن القانون الدولي المعاصر لا يستند إلى الدين كأساس لقواعده ونظمه، وهو أمر يختلف عن النظام الإسلامي والذي يجعل الشريعة الإسلامية في بؤرة اهتماماته حتى على الصعيد الدولي وفي إطار العلاقات مع الدول الأخرى.

من جانب آخر أوضح د. محمد كمال الدين إمام أن التدرج من أكثر المفاهيم- على الساحتين الفقهية والفكرية- التباسًا، لأنه جرى التعامل معه- حديثًا- في سياق تداولي لم يفصل بدقة بين التدرج، والنسخ، والتغيير والتأجيل، ولم يفصل بدقة أيضًا بين التدرج بقصد التفهيم والتعليم، والتدرج في إطار «المأسسة» والتنظيم، ولا التدرج من أجل الإعلام، والتدرج القائم على الإلزام، ولم يفصل أخيرًا بين التدرج في الخطاب والتدرج في التطبيق والتنزيل، وهو ما أطلق عليه التدرج في التشريع.

من جهة أخرى أكد د.خالد بابكر أن فهم أحكام الشريعة على وجهها التام، لا يكفي وحده في إيجاد الحكم المناسب للمسألة المجتهَد فيها، ما لم يصاحبه فهمٌ لواقع المسألة، ونظرٌ سديد للظروف المحاطة بها، وكلّ ما تحمل من تطورات وتغيرات، بقصد حُسنِ تنزيل النصوص والأحكام على الوقائعَ والمستجدات، وإلا اختلت عملية الاجتهاد بين الفهم المجرد للنصوص والأحكام، وبين تنزيل تلك النصوص والأحكام في الاجتهاد التنزيلي التطبيقي.





د. قاسم سعد

إن كل أمة تعتز بتكريم رجالها، الذين حققوا لها اكتفاء، أو أبلَوْا في سبيلها بلاءً، أو حرّكوا من أجلها لواءً، وإن أمة الإسلام لن ترى سيدًا أكرمَ وأعظم وأرحم وأحلم وأعلم وأحكم من مُقدَّم الخلق محمد بن عبدالله، فهو عميدها ورشيدها وحميدها، وهو إمامها وقوامها ونظامها:

وأعظمَ منك لم تر قطّ عيني
وأجملَ منك لم تلد النساء
وُلدت مبرءًا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ولست متصديًا في هذه العجالة لذكر فضائل سيد الورى محمد بن عبدالله ﷺ لأنها بحر لا ساحل له، وفضاء لا آخر له، وحسبي أن أشير إلى طرف من وجوب محبته ﷺ، ومما أثر من محبة أصحابه له.

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على الناس حُبه سبحانه وحب نبيه ﷺ أكثر من حبهم لآبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)، ولن تجد أيها المسلم طعم الإيمان ولذته وحلاوته حتى يدخل في قلبك هذا الحبُّ الأمثل لله ولرسوله ﷺ، وفي ذلك يقول ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجَدَ بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحب المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار». وأكّد النبي ﷺ هذا المعنى السامي في حديث آخر فقال: «لا يؤمنُ أحدكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». ومرة كان النبي ﷺ آخذًا بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: «يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر».

فنبينا ﷺ حقيق وخليق بهذا الحب الأسمى، لأننا به أُنقذنا من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة، وبه أُخرجنا من العمى إلى الهدى، وبه تحولنا من الذلة إلى العزة، ومن الظلام إلى النور: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

النبي ﷺ حري وجدير بهذا الحب

باحث دراسات إسلامية لبناني

الأمثل، لأنه أولى بكل مؤمن من نفسه، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب :٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته». هكذا تكون القيادة الرشيدة الرحيمة تدفع الغُرم عن الناس، وتترك لهم الغُنْم.

ولو استعرضنا مدى حب الصحابة للنبي ﷺ لوجدنا نماذج فريدة، وروائع نفيسة، لا يجد التاريخ مثلها، ولا ما يقاربها: فلما أسر المسلمون سيدَ أهل اليمامة ثُمامةَ بنَ أُثال جيء به إلى النبي ﷺ، ثم أمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، فانطلق ثُمامة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغضَ إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك فأصبح دينك أحبَّ الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك فأصبح بلدكَ أحبَّ البلاد إليّ. ثم أراد أن يعتمر، فلما قدم مكة وأهلها على الكفر، قال له قائل: صَبَوت؟! قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتب أهل مكة إلى النبي ﷺ وهم على الكفر: إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثُمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم.

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان بن حرب وهي التي لاكت بفمها كَبِد سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب في غزوة أحد، لما وقر الإيمان في قلب هذه المرأة قالت للنبي ﷺ: «يا رسول الله، ما كان مما على ظهر الأرض أهل خِباء -(أي بيت)- أحبَّ إليّ أن يذلُّوا من أهل خِبائك، ثم

هكذا تكون القيادة الرشيدة .. تدفع الغرم عن الناس وتترك لهم المغنم

ما أصبح اليوم أهلُ خِباء أحبَّ إليَّ أن يعزوا من أهل خِبائك».

لقد بلغ من حب الصحابة وتعظيمهم للنبي ﷺ ما حكاه عروة بن مسعود الثقفي كبير قومه قبل إسلامه لما تفاوض مع النبي ﷺ عام الحديبية، قال عروة لأصحابه كفار مكة: «أيْ قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصَر وكسرى والنجاشيِّ، والله إنْ رأيتُ ملكًا قطُّ يعظمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحاب محمد محمدًا، والله إن يتنخم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلْدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيمًا له».

وعندما أراد النبي ﷺ فتح مكة، أرسلت قريش سيدها أبا سفيان بنَ حرب ليطيل أمد الصلح بينهم وبين المسلمين، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس عندها على فِراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فِراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نَجس، فلم أحبَّ أن تجلسَ على فِراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بُنية بعدي شرٌّ.

وهذا زيد بن الدَّثِنَّة رضي الله عنه أسره المشركون وقدموه للقتل، فقال له أبوسفيان بن حرب لما قُدم للقتل: أنشُدُكَ الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، قال أبوسفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قُتل زيد بن الدثنة بالسيف رضي الله عنه.

وحادثة أخرى وهو أنه كان للعباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبح للعباس فَرَخان، فلما وافى الميزاب صُبّ فيه ماء، فيه من دم الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمرُ بقلعه، ثم رجع عمرُ فطرح ثيابه ولبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما أصعدتَ على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس.

وهذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهو ابن عم النبي ﷺ كان يبغض النبي ﷺ بغضًا شديدًا، فلما أسلم صار النبي ﷺ أحب الناس إليه، ولما قُبض رسول الله ﷺ رثاه أبوسفيان بن الحارث بأبيات منها:

أرِقْتُ فبات ليلي لا يزولُ
وليلُ أخي المصيبةِ فيه طولُ
فقد عظُمت مصيبتنا وجلت
عشيةَ قيل قد قُبض الرسول
فلم نر مثله في الناس حيًا
وليس له من الموتى عديل
أفاطم إن جزعت فذاك عُذْرٌ
وإن لم تجزعي فهو السبيل
وقُولي في أبيكِ ولا تَملِّي
وهل يجزي بفضل أبيك قيلُ
فقبرُ أبيك سيدُ كل قبر
وفيه سيدُ الناس الرسولُ

فصلوات الله وتسليماته وبركاته على هذا الرسول الكريم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوية الوطنية الجزائرية في الخطاب الباديسي

د. أحمد عيساوي

تعتبر معالم الهوية في الخطاب الذي تميز به الإمام عبدالحميد بن باديس شيخ النهضة ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم ما يجب أن يطلع عليه القارئ، لعظيم أهميتها في فهم طريقة تأثير ابن باديس في الجزائر المسلمة، وأبرز هذه المعالم:

١- شخصية متميزة:

لا يمكن أن تبرز هوية فرد ولا أمة إلى سلم الحضارة، إلاّ إذا وضحت معالم الفرد فيها والجماعة، وابن باديس مصلح حاول استعادة قسمات الأمة الجزائرية الغائبة في عالم الشهود الحضاري، وما كان ليتأتى له ذلك لولا وضوح معالمه وقسماته وبصماته الحضارية المميزة له.

٢- وطنية سليمة:

تختلط عند بعض المصلحين وتتداخل مفاهيم كثيرة، يعجزون أحيانا في حسمها بين أنفسهم، وتجدهم يميلون بعض الشيء لإحداها على الأخرى، فيتمزقون بين الوطنية والعالمية، والمحلية والإقليمية، والدينية والعلمانية.. إلاّ من وهبه الله صفاء التصور وسلامة المعتقد، ووضوح الرؤية، وكان ابن باديس من هذا الطراز الرفيع.

٣ - منهج إصلاحي بصير:

الدارس لتاريخ الإصلاح ورجاله المصلحين، يتبين صورا شتى من جهود المصلحين، فمنهم من يبدأ داعيا وإماما وينتهي سياسيا، منهم من يبدأ فقيها متمذهبا وينتهي صوفيًا صاحب طريقة، ومنهم من يبدأ صوفيًا سنيًا وينتهي طرقيًا بدعيًا، ومنهم من يبدأ وطنيًا غيورا ثم يصبح عميلا للاستعمار، ومنهم من يبدأ عميلا ويغدو بفضل الله وطنيًا، وهكذا ينبئنا تاريخ الإصلاح والمصلحين، إلاّ ابن باديس وصحبه فقد عرفوا- يرحمهم

الرأي الإصلاحي لابن باديس تبلور على ضرورة العمل الجمعي وتأسيس جمعية دينية قوية

الله- من أين ومتى ولماذا يبدأون؟ وكيف يسيرون وينهجون؟ وماذا يفعلون؟ وإلى أين ينتهون؟

وقد وصف مالك بن نبي- رحمه الله- منهج الشيخ عبدالحميد بن باديس الإصلاحي؛ فقال: «...إنه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم كما كانت في عصر ابن تومرت بإفريقيا الشمالية، فقد كان المغرب يعيش على صورة ما حياة فترة العصر الذي وضعت له حدا نهائيا دعوة مهدي الأطلس المغربي، وسيف عبدالمؤمن.. نحن نعلم أن عصر المرابطين شهد انزلاق الضمير الإسلامي نحو النزعة الفقهية، فجاء ابن تومرت ارتكاسا لروح الفقهاء الضيقة، ووضعت دعوته الضمير الإسلامي في شريعة القرآن وطريق السنة، أما ابن باديس فقد جاء في فترة جددت فيها النزعة الصوفية «المرابطية أو الطرقية» دورة المرابطين، وهنا موضع الخطورة، ذلك أن الحلقة لم تستأنف بالفقه والرباط، بل بالتميمة والزاوية، ولم يستطع المصلح الجزائري أن يطمح إلى تأسيس إمبراطورية تحرر الضمير...».

٤ - معالم المنهج البصير:

درس ابن باديس واقعه وعلمه جيدا، وخبر أمراض القاعدة والنخبة، ولاسيما علماء الدين كرواد للإصلاح وقيادة الناس، فرأى أن الأمة مريضة بنخبها المنحرفة وبقاعدتها التي هي تعبير صادق وواقعي عن تيه وضلال النخبة العمية، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: «...لقد تغير الزمان، فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيّرا كل المعطيات في الجزائر كما فعلا ذلك في سائر العالم الإسلامي. كل الظروف تقتضي الرجوع في الإصلاح إلى السلف أدراجا، إذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الاجتماعي ممكنا قبل تحرير الضمائر، وكل مذهب الإصلاح الجزائري الذي تجده في ابن باديس كان لابد أن يصدر عن هذه الضرورة أو عن هذه المقتضيات الخاصة، والمبدأ الأساسي القائل ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الذي كان أول خطوة في الإصلاح، يمكن أن يُعتبر- من زاوية ما- ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية، ومن هنا نرى التقلبات التي كان يمكن أن يتعرض لها مبدأ كهذا المبدأ لدى وضعه موضع التطبيق، عندما يجد المرء نفسه- أو يظن- أنه مضطر إلى أن يتنازل للسياسة على حساب كمال المذهب ومتانته، ونقد الحركة الإصلاحية الجزائرية كله يمكن أن يوجه نحو هذه النقطة...».

٥ - معالم الهوية الجزائرية:

١- الدين:

أستاذ الدعوة والإعلام والفكر الإسلامي المعاصر- الجزائر

انطلق الشيخ عبدالحميد بن باديس ينافح عن الأمة الجزائرية المسحوقة من قبل قوانين الردع والزجر والقمع الاستعماري الفرنسي، منطلقا من مبادئ وغايات واضحة، باحثا فيها عما تبقى- يومها- من رسوم وأطلال الأمة الجزائرية الدارسة تحت جبروت وقهر الاستعمار، فكتب في «المنتقد» سلسلة افتتاحيات تحت عنوان: «مبادؤنا وغاياتنا وشعارنا»، يبين فيها هذا المعنى ويحض عليه.

٢- الوطن:

كانت فكرة القومية والوطنية واضحة المعالم في الفكر والخطاب الباديسي، بيّنة المعالم والقسمات، فهو في سلسلة افتتاحياته تلك يقول عن الوطن والوطنية الجزائرية: «...ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية، وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع، والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة، والانتفاع في العالم، وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية، وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا، ونحب من يحبه، كما نحب الإنسانية ونحب أن نخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص لكل من يُخلص له، ونناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه».

٣- التاريخ وراهن الأمة:

كانت فكرة القومية والوطنية واضحة المعالم في الفكر وفي الخطاب الباديسي، وكان يرى أن تاريخ الجزائر تشكل عبر حقب الماضي، يبرز ذلك في مقاله الشهير بعد المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٣٦م «هل آن أوان اليأس من فرنسا» الذي عرض فيه مقومات الأمة الجزائرية بتاريخها الثري والطويل الضارب في أعماق الحضارة.

ففي محاضرة له بعنوان «لمن أعيش؟» أجاب فيها قائلا: «أعيش للإسلام وللجزائر»، ومما جاء في محاضرته القيمة تلك قوله: «...أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض علي تلك الروابط لأجله فروضا خاصة. وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة...».

٤ - اللغة:

وقف ابن باديس حياته كلها في خدمة العربية ودينها في الجزائر، ووضع الخطط والبرامج وأسس المدارس وعلّم وكوّن ودرّس من أجل بناء جيل ناطق بالعربية، ووقف موقفا صلبا من أعداء اللغة العربية في الجزائر، وجاء رده صريحا وقويا ضد قانون الثامن من مارس المشؤوم الذي أهان العربية في عقر دارها، وعدّها لغة غريبة بين أهلها ودارها، وفي هذا الصدد نشر ابن باديس مقالا له عنوانه: «يالله للإسلام والعربية في الجزائر».

٥ - القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع:

كان ابن باديس يرى أن قيم الأمة الثقافية والدينية والاجتماعية تشكل ركنا مهما من أركان الهوية الوطنية، ولا يمكن أن تفعل فعلها في الأمة إلاّ إذا صلح العلم والتعليم والمعلم، ولذا فقد كتب سلسلة من المقالات في مجلة الشهاب تحت عنوان «صلاح التعليم أساس الإصلاح» يبين فيها خطة إحياء معالم الهوية الاجتماعية الدينية والثقافية والسياسية للأمة الجزائرية المندرسة فقال: «لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته.. فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعنى بالتعليم.. التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه. ولن يصلح هذا التعليم إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه وفي مادته وصورته...».

نشاطه الدعوي والإصلاحي

بعد عودة العالمين الجليلين من الحجاز قطبا الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر الحديثة الشيخ محمد الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي سنة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م تبلور الرأي الإصلاحي أخيرا لدى الشيخ ابن باديس على ضرورة توحيد الجهود في إطار العمل الجمعي وتأسيس جمعية دينية قوية، تضطلع بالعمل الإصلاحي الإسلامي في الجزائر، لمواجهة المخططات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وأهم هذه المخاطر:

١- فساد الطرق الصوفية المنحرفة ونشرها وترويجها للبدع والخرافات والأوهام والأباطيل الطرقية بين صفوف الشعب الجزائري الجاهل، وتواطئها البشع مع الإدارة الاستعمارية لاستغفال الشعب الجزائري.

٢- محاولة إيقاف مد حركة التبشير والتنصير المستمرة بين الشعب الجزائري، التي تستغل ظروفه الصعبة لتنصيره، أو لتحويله عن دينه الإسلامي.

٣- إيقاف زحف الفرنسة، وإنقاذ اللغة العربية المحاربة من قبل الاستعمار الفرنسي.

٤- إيقاف المد التغريبي بين صفوف الشعب الجزائري، الذي يسعى لإيجاد النخب الجزائرية الطامحة للاندماج في فرنسا.

٥- مقاومة سياسة المسخ والتشويه التي تمارسها الإدارة الاستعمارية تجاه قيم ودين الشعب الجزائري.

٦- الإعداد الصحيح لبناء الفرد الجزائري العربي المسلم، الواعي والمتسلح بدينه وقيمه ولغته.

٧- الحفاظ على آخر حصون المانعة العربية والإسلامية في الجزائر السليبة.

أعمالي تجليات لا تنتهي.. والرواية لها جذور في الأدب العربي

يوسف زيدان: يجب ألا نشغل بتجليات تفصيلية عن وحدة الجوهر الإنساني



حوار: مريم عبدالحميد

يرفض بشدة مقولة «الأمة العربية لا تقرأ» ويعتبرها أكذوبة، أو شماعة يعلق عليها المتكاسلون إخفاقهم في التواصل مع القراء، ولا يحفل بـ«قرصنة» أعماله، مؤكدا أن كل ما يعنيه هو أن يقرأ الناس كتاباته، كما أنه دائم البحث عن «الجوهر الإنساني» المتخفي وراء النزاعات والصراعات العقدية المريرة في الماضي والحاضر.. هذا هو الكاتب والمفكر د.يوسف زيدان، المتخصص في التراث العربي المخطوط وعلومه، وصاحب العديد من المؤلفات والأبحاث العلمية في الفكر الإسلامي، والذي التقيناه عبر سطور الحوار التالي.

● «محال».. هذا هو اسم أحدث أعمالك الروائية، حدثنا عنها، وهل يمكن القول بأنها تفسر أسباب اتجاه الشباب في إحدى الفترات إلى العنف الديني السياسي؟

– وجود العنف الديني في المجتمع وكيف يتطور، كان إحدى الصيغ التي أدعو إلى النظر إليها بعمق، من خلال الخطاب الروائي في «محال»؛ لأن مسألة العنف الديني ترتبط بآليات موجودة في الزمن القديم وفي الزمن الوسيط، وموجودة أيضًا في الزمن المعاصر، وطبيعة هذا الفعل العنيف واحدة.. فما جرى في الإسكندرية القديمة من تدمير للتراث القديم جريمة ضد التراث الإنساني، وهو نفس ما جرى من ويلات في غرب أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت، والمذابح الهائلة التي جرت في قلب آسيا خلال القرون باسم الإله، هذه القضية لا يمكن الاستخفاف بها أو صرف الأنظار عنها؛ لأنها ملحة، وتمس وجودنا الاجتماعي المعاصر والتاريخي، وتمس وعينا.

لكن الخطاب الروائي في «محال» لم يتوقف عند هذه المسألة، إنما تعدى ذلك إلى بحث كيفية الانتقال من حياة عادية جدًّا للشخصية الرئيسية في الرواية، إلى معتقل في جوانتانامو، ما بين البداية والنهاية مسار من الممكن أن يجد أي شاب عربي نفسه فيه، ولا أقصد تحديدًا من اعتقلوا في جوانتانامو، لكن من اعتقلوا في السجون والمعتقلات العربية، وهي كثيرة.. كانت في حياتهم نفس الأقدار التي عصفت بهم في سنوات قليلة من شباب صغار في المراحل الجامعية إلى معتقلين ومصنفين في خانة الإرهابيين؛ كيف يتم هذا التحول؟ كان هذا هدفًا آخر من أهداف الخطاب الروائي في «محال».. إضافة إلى مسألة أخرى هي أن الإنسان– فيما أرى– واحد، الطبيعة الإنسانية في الزمن السكندري القديم الذي كتبت عنه رواية «عزازيل» هي نفس الطبيعة الإنسانية في زمن الفتح الإسلامي لمصر في رواية «النبطي»، وهو ما سيكون في سنة ٢٠٢٠ كما عرضته في روايتي الأولى «ظل الأفعى»؛ هنا تنويعات على جوهر واحد هو الجوهر الإنساني، لكننا ننشغل بالتجليات التفصيلية فلا ننتبه إلى وحدة الجوهر الإنساني.

● إذن نرى ملامح مشروع روائي معين في خط متصل الحلقات على امتداد أعمالك الأدبية؟

– هذا الخط المتصل أو العامل المشترك هو البحث عن هذا الجوهر الإنساني بتجلياته المختلفة، وهذا البحث يحتاج إلى جهد تأملي واسع؛ حتى يحدث التماس مع الإنسان بكل متناقضاته بأحلامه، بآماله، برغباته، بأخطائه التي تجعل منه إنسانًا، هذا الـ«كل» المركب بالغ التعقيد، وهو جوهر الإنسان.. رجلًا كان أو امرأة. ذلك هو الشغل الشاغل الرئيسي في أعمالي الروائية، وهي على كل حال تجليات لا تنتهي، ولا يحيط بها عمل روائي واحد، أو حتى مجموعة روايات؛ لأن الجوهر الإنساني يصل أحيانًا بالتنوع إلى درجة التناقض داخل التجربة الإنسانية الواحدة، فالإنسان بداخله عوالم فسيحة جدًّا، وآفاق خفية

دار الإعلام العربية

كنتُ أظن أن كتاباتي لا تصلح إلا لصفوة الصفوة.. ثم فوجئت بأن هذا غير صحيح!

ورؤى شديدة الذاتية، ولكي يتعايش مع المجتمع يضطر إلى إخفاء كثير من الوجوه، وأحيانًا يضطر إلى ارتداء أقنعة كثيرة؛ ليتحرك من خلالها حركة آمنة بين الجماعة، لكن يظل هذا الوجه الإنساني كامنًا فيه.

● يغلب على أعمالك الطابع التاريخي باستثناء «ظل الأفعى».. فهل تضع حدودًا معينة للفصل بين الكتابة الأدبية والتاريخ؟

لا أرى التاريخ منفصلًا عن الواقع، إنما أرى الواقع هو امتداد لحركة التاريخ والزمن الممتد بين الماضي والمستقبل، وما الحاضر إلا بوابة عبور متوالية ومتتالية، فنحن لا نستطيع الإمساك باللحظة الحاضرة، ولذلك في أحد معاني عنوان رواية «محال» إشارة إلى استحالة الإمساك باللحظة الحاضرة.

تجليات

● كثير من الأدباء يردّدون مقولة «السياسة تدخل في خبزنا اليومي».. فهل يمكن النظر إلى أعمالك من منظور سياسي؟

بالتأكيد، السياسة بتعريفها العام تدخل في أدق تفاصيل حياة الناس، على نحو قد يبدو أحيانًا واضحًا ومباشرًا، لكن في معظم الأحيان يكون تدخلًا خفيًّا وغير معلن.. فالسياسة والمجتمع والاقتصاد والإبداع والفلسفة هذه كلها تجليات لما يسمى «الجماعة الإنسانية»، وإذا تمعنا جيدًا نجد أنه من الصعب جدًّا فصل هذه العناصر عن بعضها، وإلا فهل تنفصل السياسة عن العقيدة أو الاقتصاد؟ لا يمكن، ومن ثم الإبداع الأدبي أيضًا لا ينفصل.. كل قصيدة، كل رواية، كل قصة قصيرة، وكل شكل من أشكال الإبداع الأدبي يرتبط بالواقع السياسي، إما ارتباطًا معلنًا ومباشرًا أو ضمنيًّا.. فنجد مثلًا في سنوات القهر في بعض البلاد يلجأ الكتاب إلى الرمز، أو الانصراف المبالغ فيه لمسائل قد تبدو اجتماعية، ففي زمن عبدالناصر كتب ثروت أباظة «شيء من الخوف»، و«جواز عتريس من فؤادة باطل» التي اشتهرت بعد تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي هذا مدلول سياسي طبعًا؛ فما بالك بالكتابات المباشرة؟! لكن القضية هي كيف يتم التعبير عن الهاجس السياسي إبداعيًّا؟

بعض الكتاب يكتبون ذلك بسطحية وبشكل مباشر فيتحول النص الإبداعي إلى «زعيق»، ويفقد السمة الأولى للأدب وهي «نصوع اللغة»؛ فلا يوجد أدب جيد في أي لغة من اللغات بعيدًا عن هذا النصوع الذي يعيد للغة الألق المميز لها.

اللغة الشعرية

● عند الحديث عن اللغة في أدبك نراها تميل إلى «الشعرية».. فهل خضت تجارب مع الشعر؟

أنا أضع الشعر داخل النص الروائي، وكثير من الذين قرأوا «ظل الأفعى» مثلًا تصوّروا أن الترانيم الموجودة فيها منقولة بنصها من كتب قديمة، والواقع أن المعنى موجود في لغات مندثرة لكن الصياغة هي جزء من عمل الرواية.. أيضًا اللغة الشعرية في «عزازيل»، والأبيات الشعرية الصريحة في «النبطي»، وأشعار الشخصية الرئيسية في «محال»؛ هذه كلها تجليات للروح الشعرية التي لا يجب أن تغيب عن النص الروائي أو القصصي؛ فالرواية عمل معقد، والشعر أداة من الأدوات المستخدمة فيه.

● أعمالك من أشهر الأعمال المقرصنة على الإنترنت، فكل ما كتبت تقريبًا متاح على الشبكة، بعض الأدباء يرون أن هذا يحقق لهم الانتشار، بينما آخرون يعتبرونه سرقة.. ما رأيك؟

– سُئلت هذا السؤال قبل عامين في حفل توقيع في إحدى الدول العربية، حيث فجاءني بعض القراء بنسخ مزورة من أعمالي؛ لأقوم بالتوقيع عليها، وأشار أحد الصحفيين إلى ذلك فقلت له «وما ذنب من اشتراها؟!».

أنا أكتب كي يقرأ الناس، ولا أهتم بأي شكل سواء في نسخة أصلية أو في مكتبة عامة، أو من خلال استعارة من شخص لآخر، أو حتى على الإنترنت، رواية «عزازيل» مثلًا تجاوزت المليون نسخة محملة من على النت.. ما يعنيني هو أن تُقرأ الكتب.

الناشرون يدفعون

هل تحرص على أن تترجم أعمالك إلى اللغات الأجنبية؟ أم أنك تتوجه فقط إلى القارئ العربي؟

الذي يكتب أدبًا في لغة لابد أن يركز في هذه اللغة، وإلا لن ينتج شيئًا ذا قيمة، وقد لا يصح التصريح بأن الناشرين الكبار في العالم يهتمون بترجمة أعمالي وتكون بمبادرات منهم، وعلى مستوى المقابل المادي، لم يحدث في تاريخ الأدب العربي أن دفع كبار الناشرين الغربيين لمؤلف مثلما يجري في أعمالي.. لكن مثلًا عندما صدرت «محال» وهي لها ثلاث قراءات في العنوان، فهي تقرأ (مُحال) بضم الميم وتعني استحالة الإمساك باللحظة الحاضرة، ويجوز قراءتها (مَحال) بفتح الميم، لتعني أماكن جمع محل، ويمكن قراءتها ثالثًا بكسر الميم (مِحال) لتعني القوة الشديدة، وهي لفظة قرآنية ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، فلما صدرت الرواية أرسل لي الوكيل الأدبي من لندن يسألني: كيف يتعامل المترجمون مع العنوان، فقلت «هذه مشكلتهم، أنا مشكلتي في لغتي، وأعمل داخل إطارها».

من متابعتك للرواية الغربية.. أمازالت هناك فجوة كبيرة بينها وبين الرواية العربية؟

– الآداب بنكهات ومذاقات مختلفة حتى داخل اللغة الواحدة، فالأدب الإسباني مثلًا منذ دون كيشوت حتى موجد الواقعية السحرية كأنه يمثل عالمين مستقلين تمامًا، وهناك مذاق مختلف لكل روائي على حدة. الشيء نفسه في الأدب العربي، ما كان يكتب في النصف الأول من القرن العشرين من نصوص أدبية يختلف تمامًا عما قدّمه روائيون كبار من أمثال نجيب محفوظ، أو قصاصون من أمثال يوسف إدريس.

وأرى من زاويتي أن الرواية العربية لها تاريخ ضارب في القدم، ولدينا في التراث العربي نصوص روائية منها «حي بن يقظان» التي كُتبت أربع مرات على أيدي «ابن طفيل، وابن سينا، والسهروردي، وابن النفيس»، وكلها تنويعات روائية على لحن أدبي واحد، أيضًا ابن سينا كتب «رسالة العشق» وهي عمل قصصي، والسهروردي كتب «الغربة الغربية»، وعندنا «المقامات» وهي شكل من أشكال التأليف الروائي في الأدب العربي.. ومن ثم غير صحيح أن الرواية العربية بدأت منذ رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل، إنها أقدم من ذلك كثيرًا.

● وبماذا تعلق على التصنيف الذي بات شائعًا للأدب بين أدب نسوي وآخر ذكوري؟

لا أوافق عليه، فليكتب الرجل عن المرأة، ولتكتب المرأة عن الرجل، وفي النهاية الحكم هو «النص» وليس نوع من كتبه. ونجد كثيرًا من الكاتبات «يزعقن» في نصوصهن ظنًّا منهن أنهن بذلك يعبّرن عن المرأة، وهذا غير صحيح.

● تشير رواية «ظل الأفعى» بأن لديك تصورًا مميزًا عن المرأة، فما صورتها في أعمالك؟

صورة المرأة هي صورة الإنسان، وهي نصف الجوهر الإنساني، والنصفان متداخلان، ولو دققنا النظر بشيء من التأمل سنجد أن بداخل كل امرأة رجلًا، وبداخل كل رجل امرأة، فهناك تداخل بين النوعين على المستوى الفسيولوجي (الجسماني) والنفسي أيضًا، ونسبة التشابه بينهما أكبر كثيرًا من الاختلاف، فالجوهر الإنساني واحد.

صورتنا عن القارئ كانت مشوهة واتهامه بعدم القراءة غير صحيح

حدود الحرية

● كيف ترى الحدود الفاصلة بين الالتزام الاجتماعي للأديب والحرية الإبداعية؟

التزام الأديب يجب أن يكون تجاه لغته، وضميره، وقارئه.. فالأدب هو التقاء بحرين، بحر الإبداع ببحر التلقي (القراءة)، والحرية الإبداعية ليست مطلقة بالطبع؛ لأنه لا وجود للمطلقات إلا في أذهاننا.

هل تتابع ما يوجّه إلى كتاباتك من نقد؟

– بالطبع، لكني أهتم أكثر بآراء القراء؛ لأنهم المرآة الحقيقية بعيدًا عن الكلام المحفوظ والمناهج التقليدية، والأساليب المعروفة للنقاد، وأولي آراء القراء ومناقشاتهم اهتمامًا كبيرًا، وعندي يقين بأنه لولا ذلك لما استطاع الكاتب أن يواصل الكتابة.

● وماذا تستخلص من متابعاتك لآراء القراء؟

– هم مرآتي، رأيت نصي وذاتي منعكسة عليهم؛ وكنت أتصور أن ما أكتبه هو نصوص أدبية لا تصلح إلا لصفوة الصفوة، وحتى الدراسات مثل كتاب «اللاهوت العربي» ظننته ليس للقارئ الكسول، ثم فوجئت بأن جمهور القراء العريض يبدأ من سن مبكرة، ربما من العشرين ودون ذلك، وهم مهتمون ومتابعون، إذن تقديراتنا والصورة التي كانت في أذهاننا نحو القارئ العربي كانت صورة مشوهة، والاتهامات التي كانت تطلق على العرب بأنهم لا يقرأون، وأن الكتب لا تغني عن صاحبها شيئًا، ولا تحقق أي حضور.. كلها كانت حججًا لكتاب لا يستطيعون الكتابة أصلًا فيتهمون القارئ بأنه لا يتواصل معهم.

التأثر الإبداعي

● رغم مرور السنوات تظل رواية «عزازيل» مثار جدل لا ينتهي.. بماذا تعلق على رأي البعض بأنك تأثرت برواية إنجليزية (هايبشيا) لتشارلز كنجزلي؟

– هذا كلام شديد السذاجة، ولا يستحق حتى الرد عليه؛ لأن من قاله لم يقرأ «عزازيل»، ولم يقرأ رواية القس الإنجليزي التي ليست برواية أصلًا، فهو يحكي عن راهب ترك الدير وذهب إلى الإسكندرية.. فقط، هل هذا يعني أن هناك تشابهًا أو تأثرًا؟! كلتا الروايتين موجودتان، ولا أظن أن هناك عاقلًا سينظر في هذه وتلك ويقول إن هناك صلة بينهما.

● يوسف زيدان من الكتاب الحاضرين في الإعلام بشكل قوي.. كيف يؤثر كل من الإعلام والأدب في بعضهما من وجهة نظرك؟

حضوري في الإعلام يمثل شكلًا من أشكال التفاعل مع القارئ، ومقالي الأسبوعي هو نافذة معرفية؛ فبالإضافة إلى الدور الأدبي الذي أقوم به من خلال الكتابة الأدبية هناك دور معرفي أشعر بالمسؤولية تجاهه، ولا أحب التقصير فيه؛ فهو حق للقارئ عليّ، فوجه التماس بين الإعلام والأدب هو أن الأديب عليه مسؤولية تجاه القارئ من خلال الإعلام، ولكن بشرط ألا يسرف في هذه المسألة فيفرغ من المضمون من أجل الظهور الدائم.

في غمار ما نحياه من واقع اختلطت فيه الأمور وتعددت الفتن وأصبحت كقطع الليل المظلم، وفي ظل غياب وتغييب لأدوات التربية ومؤسساتها، وانتشار الأفكار والرؤى الحاملة للفيروسات الدخيلة علينا وعلى ثقافتنا، نجد القنوات والأفلام لم تخل من الجدال والنقاش رفضا وعدم قبول ومحاولة لإثبات الذات على حساب الآخر، وكأننا خلقنا كي نحيا في قالب واحد.

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك

أحمد الشلقامي

هكذا قدر الله للبشر أن يكونوا مختلفين.. نعم فالاختلاف سنة كونية وهذه حقيقة قد تغيب عن الكثيرين، رغم وضوحها وتأكيد ربنا عز وجل عليها في مواضع قرآنية عديدة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وكما يقول المفسرون: «فللاختلاف خلقهم»! ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

لماذا التعصب؟

من طبيعة البشر الميل لذاته وحبه لنصرة نفسه وهو هوى في نفوسنا إن لم نضبطه سيتحول إلى كارثة تسمى «التعصب»، فهو خطر إن أصبح توجهًا في الفكر والسلوك والحياة عامة لأنه يقف في وجه التفاهم ويمنع الحوار والتسامح والتعايش، فرفض فكرة الاختلاف وقابلية أن نختلف يدفع للتعصب على المستويين المعرفي والسوسيولوجي، حيث يتجه العقل إلى المطلق الفكري والديني والاجتماعي وغيره، ونحو إقصاء الآخر ورفض فطرة التباين وسنة التغيير والنقد.

التعصب جمود

إن المتتبع لسيرة ومسيرة حضارتنا الإسلامية يجد أن ازدهارها لم يتوقف ونموها لم يندثر إلا عندما تجمدت العقول وتعصبت للأفكار والآراء دون بحث عن تطوير وتكيف مقبول مع الواقع المتغير، تكيف يحفظ للناس دينهم بقدرته على مواكبة النقلات الرهيبة في حياتهم بصوره ومجالاته وتكويناته الجديدة.

ولعل من المفارقات التي تؤكد على قولنا أن الحضارة الغربية ذاتها انهارت عندما خضعت لتعصب رجال الدين لآرائهم دون احترام للتطور، وما فعلته الكنيسة بجاليليو وعلماء التنوير شاهد على ذلك.

الاختلاف والبناء الحضاري

الحضارة لم تكن يومًا حكرًا على أحد فهي مسار دفع فيه أغلب البشر وساهموا في تشييده، والقول بغير ذلك تعصب وعدم إنصاف، والاختلاف باب من أبواب التطور والتجديد، فصلاحية الفعل الحضاري تختل عند الركون إلى التعصب بسائر درجاته وأنماطه ومجالاته، ولا يمكن لها أن تؤدي خلق بعث حضاري في حالة سيطرة فكرة أو منهج أو منظور على الفعل دون احترام الاختلاف بين البشر، وليس أدل على ذلك من حالة الكون الحالية في ظل التحيز المادي الغربي غير الأخلاقي لحضارته وأفكاره مع إنكاره لباقي مكونات العالم، فالتأسي والتدافع هو ضمان للعمران ومحط قيام الحضارات السليمة الفطرة كالتي قام عليها الإسلام كرسالة.

الإسلام رسالة

إن ما يميز الإسلام كتشريع حضاري أنه استوعب هذه السنة في طرحه وقيامه، فهو أسس لرؤية الكون المحكوم بإله واحد دون فرض الانتماء للإسلام على الناس ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)، كما أنه جعل المسلمين إخوة في الإيمان وجعل الناس إخوة في الإنسانية «أيها الناس» ومن هديه ﷺ ما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: مرت بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ وقمنا به فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال إذا رأيتم الجنازة فقوموا»، وفي البخاري أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام ، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فقال: «أليس نفسًا».

فالإسلام جاء رسالة لا انتقائية فيها، لا يرتبط بزمان أو مكان صالح لكي يحيا بين البشر على اختلافهم ويستوعب وجود غير المسلم في دولته وتحت تشريعه دون ظلم له أو افتئات مع ضمان الاحترام الكامل للاختلاف بين المسلم وغيره.

توصية

- من أروع ما كتب في هذا الشأن: «ولا يزالون مختلفين» المؤلف: د.سلمان بن فهد العودة، التقديم: د.عبدالوهاب بن ناصر الطريري- الناشر: مؤسسة الإسلام اليوم: ٢٠٠٨م

كاتب مصري

الإعلام الفضائي في مرمى الانفلات!

إنجي الطوخي

في إطار المنافسة المحتدمة بين أكثر من ٦٠٠ فضائية عربية مجانية تبثها أقمار «عرب، نايل، نور» سات؛ لجذب المشاهد والاستحواذ على حواسه، تقع كثير من هذه الفضائيات في أخطاء مهنية فادحة أهمها التغاضي عن المصداقية والتثبت من المعلومات لصالح أسبقية البث، ما أفضى إلى سقوط كثير من هذه الفضائيات في مرمى الانفلات الإعلامي.. واتفق عدد من الإعلاميين على أن تفضيل السبق وغلبة الإثارة على الحقيقة، وعدم التمييز بين الآراء والحقائق من أهم العوامل التي أسهمت في انتشار هذا الانفلات الذي خلق حالة من الجدل العقيم. «الوعي الإسلامي» سألت المعنيين بهذه الظاهرة وجاءتكم بالتفاصيل.

«الإعلام العربي عامة والفضائي على وجه الخصوص يعاني حالة انفلات غير مسبوقة».. بهذه الكلمات بدأ د .سامي الشريف، الرئيس السابق لاتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري والأستاذ بكلية الإعلام بجامعة القاهرة، مشيرًا إلى تعدد أسباب هذا الانفلات قائلاً: السبب الرئيس هو تحكم رأس المال في إنشاء العديد من القنوات الفضائية دون ضوابط، إضافة إلى إطلاق منابر إعلامية خاصة تخدم مصالح أصحاب رؤوس الأموال بعيدًا عن المهنية والشفافية. وفي ظل غياب القوانين التي تحكم الإعلام العربي- خصوصًا المصري- حدثت البلبلة في الشارع الذي شهد انقسامًا حادًا في الرأي حول أسلوب التعامل مع ما يحدث في الوطن.

ميثاق الشرف

وأشار إلى أن ضبط إيقاع الأداء الإعلامي ليس صعبًا، مؤكدًا أن العالم المتحضر سبقنا في معالجة الانفلات من خلال منظمات المجتمع المدني، ومن خلال التزام الإعلاميين بأداء دورهم بشكل مهني يخدم مصالح الجمهور أكثر مما يخدم مصالح الجهات التي يعملون لصالحها؛ لذلك ينبغي خضوع الوسائل الإعلامية لمواثيق شرف تحرص على ما يخدم صالح الجمهور والدولة دون أن تمس مناخ الحرية.

سامي الشريف: رؤوس الأموال أبعدت الإعلام عن المهنية والشفافية

وطالب الشريف أن تكون هناك مواثيق شرف أكثر تفصيلاً من الصياغات الإنشائية العامة، وأن يكون من يقوم بوضعها إعلاميون يتميزون بالخبرة والنزاهة والموضوعية، ولا يكون هناك أي تدخل من جانب الحكومات حتى يتم التطبيق وضمان الاستقلالية، وتلك المواثيق يتم الاحتكام إليها في حالة خروج أحد المنابر الإعلامية عن الالتزام بالمسؤولية المهنية.



مجلس وطني

بدورها، أكدت الإعلامية سميحة دحروج، رئيسة قناة النيل للأخبار، أن الإعلام المصري يعتبر أبرز مثال على حالة الانفلات الإعلامي التي انتشرت في الشهور الأخيرة وسادت أيضًا الفضاء العربي، مشيرة إلى أن الإعلام المصري تجسد فيه الانفلات الإعلامي ليس فقط في المجال السياسي بل في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والرياضية والإخبارية، فيكفي ما فعله التأجيج الذي مارسه الإعلام الرياضي قبل مباراة الناديين الأهلي والمصري في مدينة بورسعيد، والذي انتهى بكارثة دامية راح ضحيتها أكثر من ٧٠ شابًا مصريًا، كل ذلك بسبب بعض الإعلاميين الرياضيين الذين نفثوا سمومهم في عقول

الشباب المتحمسين، وأججوا عواطفهم، وبعد وقوع الكارثة نصبوا أنفسهم قضاة وبدأوا في إلقاء الاتهامات على الجميع؛ لدرجة أنهم صنعوا حالة من الغضب الشعبي تجاه محافظة كاملة وهي بورسعيد.

وتضيف: هؤلاء الإعلاميون رفعوا درجات الغضب الكروي بدرجات غير مسبوقة دون وعي منهم أن السبب الحقيقي هو وجود عناصر مشاغبة بين المشاهدين، مؤكدة أن الإعلام لم يكن منصفًا خلال تلك الحادثة، حيث استمر عدد كبير من الإعلاميين في اتهام الشعب البورسعيدي بأنه المتسبب في تلك الحادثة، حتى انفجرت جماهير المدينة في النهاية وخرجوا في مظاهرات عنيفة نتيجة العزل الشعبي الذي كان السبب الرئيسي فيه هو الإعلاميين الذي حادوا بتغطيتهم عن الحقيقة ووقعوا في فخ التأجيج والانفلات.

وطالبت بأن يكون هناك مجلس وطني للإعلام في كل دولة عربية وبإشراف جامعة الدول العربية يطلق ميثاق شرف لا يقيد حرية التعبير، إنما يكون إحدى الأدوات المساهمة في تنظيمه وتصحيح مساره.. موضحة أن من ضمن الحلول المطروحة وجود جهة محايدة تحكم أداء وسائل الإعلام بعيدًا عن البرلمان والحكومة، مشيرة إلى الضرورة القصوى لوجود ميثاق شرف مفعَّل يتم الاحتكام إليه في حال خروج أحد الإعلاميين عن قواعد ومعايير الأداء المهني والمتمثل في الموضوعية وعدم التحيز.

انفلات فضائي

أما الإعلامي أمين بسيوني، فشرح مصطلح الانفلات قائلاً: قبل أن نتحدث عن ظهور الانفلات الإعلامي



في العالم العربي كظاهرة يجب أن نعود إلى الوراء، إلى الوضع السائد قبل ظهور الإعلام الخاص، حيث كان الإعلام الأرضي الحكومي هو الأوحد والمسيطر على المشهد، فكانت كل دولة تمتلك مجموعة من القنوات التلفزيونية والإذاعية يقتصر بثها على حدود الدولة ذاتها؛ أي إن تلفزيون المملكة يقتصر بثه على المملكة، وتلفزيون مصر يقتصر تغطيته على حدود مصر، وهكذا في تونس كان موجّهًا للشعب التونسي ولبنان والكويت وبقية الدول العربية، وكانت عملية الإرسال مقيدة بأوامر الحكومات، ولم يكن هناك مجال للانفلات الإعلامي في ظل هيمنة جهة واحدة على البث، لكن وبعد ركوب الإعلام للفضاء أصبح الإرسال لكافة القنوات الفضائية سواء كانت خاصة أو حكومية للعالم العربي كله، وأصبح العرب قادرين على رؤية بعضهم البعض في نفس التوقيت، وبلا حدود أو موانع أو رقابة.

ويشير بسيوني إلى أن كل الأسباب السابقة كانت السبب الرئيسي في انتشار القنوات الخاصة التي تخطت مستويات الرقابة في القنوات الحكومية، ومن هنا بدأ مصطلح الانفلات الإعلامي في التبلور؛ لأن الإعلام الخاص هو إعلام استثماري في المقام الأول يريد تحقيق الربح والمكسب العالي من خلال الإعلانات التي تأتي للقناة التي لديها جمهور كبير، بعيدًا عن المصداقية أو المعايير التي يدرسها الإعلاميون في كلياتهم، فلجأت غالبية القنوات الخاصة إلى الإثارة في المحتوى المقدم وخاصة المجال السياسي، وافتقاد حديث البعض في هذه القنوات للمسؤولية، إضافة إلى طرح أفكار حادة ساهمت بشكل غير مباشر في نشر الفتنة السياسية.

ويؤكد أن التهافت الكبير بين القنوات الخاصة على جذب الإعلان هو السبب الأكبر في ظهور مصطلح الانفلات الإعلامي، حيث صار الاعتراض على الخطاب الإعلامي الذي تعرضه تلك القنوات من حيث الشكل أو المضمون دون تأثير أو فائدة.

واعتبر بسيوني أن أفضل الحلول في الوقت الحالي لتلك الظاهرة هو الرجوع مجددًا إلى مبادئ تنظيم البث الفضائي قائلاً: كان يدرس في جامعة الدول العربية منذ ٥ سنوات مبادئ تنظيم البث الفضائي والتي اتفق عليها مجلس وزراء الإعلام العربي، وتلك المبادئ سارية على كل المنطقة العربية بلا استثناء.

وحول عدم تفعيل تلك المبادئ يقول: بعض الإعلاميين لديهم حساسيات من أي شيء يكون صادرًا عن الحكومات والذي يتم وصفه سريعًا بأنه نوع من الوصاية والرغبة في السيطرة من قبل الحكومات على الإعلام، وهو نفس ما حدث مع مبادئ تنظيم البث الفضائي التي اعتبرها البعض نوعًا من فرض الحماية وتكميم الأفواه، فتمت مهاجمتها بشكل منعها من الظهور أو التفعيل.

الإسلام والحرية السياسية

د. الشبراوي الجهوري

من أشهر القضايا المثارة على الساحة الآن قضية الإصلاح السياسي، هذه القضية التي يلح عليها الإعلام العربي ويتبناها الساسة الغربيون ويحاولون بشتى الوسائل تصديرها إلينا أو قل فرضها على العالم الإسلامي لحاجة في النفس قد يكون الغرض منها إثارة الشغب على الحكام للضغط عليهم. وقد يكون الغرض منها تمزيق الكيان الاجتماعي للدول الإسلامية وخلق كيانات موالية لها داخل هذه الدول تحت شعار الإصلاح السياسي أو الحرية السياسية.



نحن بالنظر في التشريع الإسلامي نجد أنه وضع الضوابط السليمة للحرية السياسية ونظم العلاقة بين الحكام والمحكومين فكفل للفرد حرية التعبير عن رأيه وأتاح للشعب فرصة توجيه النقد للحكام وتقبل الحكام لهذا النقد ومناقشة الأمور بصدر رحب، حيث إن في إبداء الرأي من الشعب وتقبله من الحكام تتحقق الفوائد التالية:

١- تدعيم الثقة المتبادلة بين الراعي والرعية (الحكام والمحكومين) وفي هذا تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨).

٢- تنبيه الحكام إلى مواطن الخلل وفي هذا صيانة للأمة من الزلل حيث ينهض الحاكم إلى اصلاح اي خلل يصيب الكيان الاجتماعي ويضر بمصالح الدولة وفي هذا محافظة على قوة الدولة وسلامتها، ولكي يتحقق ذلك كفل الإسلام للفرد حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية وذلك عن طريق ترسيخ المبادئ التالية:

أولا: إقرار مبدأ الشورى: فقد جعل الإسلام أمر المسلمين شورى فيما بينهم حتى في اختيار الحاكم - كما تم في اختيار أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهما من الخلفاء الراشدين - وتفعيل هذا المبدأ يجعل أفراد الأمة شركاء في الحكم يتحملون نتيجة اختيارهم فيستمتعون بحسن اختيارهم إن هم أحسنوا ويذوقون مرارته وسوءته إن كان هناك سوء اختيار، وعليهم حينئذ أن يعالجوا جماعتهم بالتناصح والتشاور وتبادل الرأي والعمل لصالح الجماعة، فالنصيحة مكفولة لكل فئات الأمة كما هو واضح في قول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل لمن يا رسول الله قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

ثانيا: إقرار مبدأ التسوية بين الخلق جميعا. فليس لأحد منهم الانفراد بالحكم والرأي لميزة اختصه الله بها أو قدسية انفرد بها، وبناء عليه فليس في الإسلام ذات بعيدة عن النقد حتى وإن كان الخليفة، بل الجميع أمام الشرع سواء الكل يصيب ويخطئ، ومادام الكل يصيب ويخطئ فالكل محتاج إلى النصيحة والمشورة، وفي هذا إشارة إلى تلاحم نسيج الأمة (الحكام والمحكومين) لتدارك الأخطاء وتصويب الآراء لأن «كل ابن آدم خطاء»(٢) كما قال رسول الله ﷺ، ومن هنا لابد من المشاركة وتوجيه مسيرة الحكام لما فيه خير الأمة وذلك عن طريق عرض الآراء من الرعية وتقبلها من الراعي للأخذ بأحسنها وتصويب ما ابتعد عن الصواب.

ثالثا: تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فعن طريق هذا المبدأ أتاح الإسلام للناس أن يعلنوا عن آرائهم في أعمال الحكام من غير فتنة ولا تحريض على فساد اهتداء بقول الله عز وجل ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

أكاديمي مصري





وحتى تبلغ الأمة درجة الخيرية لابد من تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتحقق فيها قول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ولا ينبغي أن تكون هناك أدنى غضاضة لدى الحكام إذا ما وجهت إليهم النصيحة والنقد، فقد كان بعض الناس يعترضون على بعض ما يقوم به رسول الله ﷺ من أعمال، ومع ما انطوت عليه بعض النفوس من مرض النفاق كان رسول الله ﷺ لا يلومهم على قولهم حتى لا يتخذه بعض الأمراء من بعده مسوغا لمنع الناس من إبداء آرائهم (٣)، فقد كان ﷺ يتقبل ذلك مع مرارته ويأخذهم بالرفق خشية أن يفتح الباب لمن يجيء بعده فيعمل على مصادرة الآراء وكبت الأفكار، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فأشار إلى ما كان يقوله المنافقون لرسول الله ﷺ فقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة: ٥٨) ولقد كان الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ يفسحون المجال لإبداء الرأي وتبني ما فيه مصلحة الأمة بل ويدعون الناس إلى نقدهم وتوجيه مسيرتهم إن هم حادوا عن الصواب، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه يقول مخاطبا الرعية «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن

الإسلام كان له السبق في إقرار الرأي والمشاركة السياسية لجميع أفراد الشعب

عصيته فلا طاعة لي عليكم» ومازال التاريخ يردد قوله رضي الله عنه عندما تولى الخلافة حيث صعد المنبر وخاطب الناس قائلا «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فسددوني»، لقد وضع أبوبكر رضي الله عنه بهذه الكلمات مبدأ سياسيًا ينظم العلاقة بكل وضوح بين الراعي والرعية، فإذا أحسن الراعي فعلى الرعية السمع والطاعة وإن زاغ وأخطأ فمن واجب الرعية أن يوجهوا له النقد وأن يقوموا اعوجاجه وأن يصححوا أخطاءه حرصًا على مصلحة الأمة.

ولقد سار عمر بن الخطاب على نفس النهج الذي سار عليه أبوبكر الصديق.. فعمر هو القائل مخاطبا أفراد الرعية «من رأى منكم في اعوجاجًا فليقومه» فرد عليه أحد الحاضرين قائلا: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا، فوافقه عمر رضي الله عنه وأيده وسار الإمامان العادلان الشهيدان عثمان وعلي على نفس النهج، فما استخدما سطوة السلطان ولا غلبة السلطة في إسكات الناس أو مصادرة آرائهم.

وهكذا ندرك عظمة الإسلام في تشريعاته وسبقه الدنيا كلها في ضمان حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية لجميع الأفراد، وإذا كان الغرب يتشدق بالحرية السياسية ويحاول أن يتظاهر بسبقه وتقدمه في هذا المجال فعلينا أن نبين للناس جميعا أسبقية الإسلام في إقراره حرية إبداء الرأي والمشاركة السياسية وأن نوضح لدعاة الحرية السياسية أنهم لم يصلوا بعد إلى عظمة الإسلام في إتاحته الحرية السياسية لجميع أفراد الشعب، وإذا كانت الصحافة الغربية تحمل بعض النقد للحكام فإن الحكام المسلمين أنفسهم قبل أن تظهر الصحافة وقبل أن يعرف الغربيون النقد السياسي قد دعوا أفراد المجتمع إلى نقدهم وتقديم النصيحة لهم وفتح صدورهم لجميع الآراء والأخذ بما فيه خير البلاد والعباد ملتمسين في رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة فقد كان ﷺ يشاور أصحابه في الأمور كلها إلا ما نزل به الوحي فلا مشورة فيه، وقد صدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

الهوامش

١- رواه مسلم في صحيحه من طريق أبي رقية تميم بن أوس الداري.

٢- من حديث لرسول الله ﷺ «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» الحديث رواه أحمد والترمذي عن أنس بن مالك - انظر فيض القدير للمناوي (١٦/٥).

٣- انظر كتاب المجتمع الإنساني في ظل الإسلام للشيخ محمد أبوزهرة ص١١٢ طبعة مجلة الأزهر- المحرم ١٤٢٦ هجرية.



الانتحار وصناعة الأمل

أن تفقد حياتك ودنياك المحدودة فهذا أمر قد تحتمله وتتحمل ألمه العابر بقدر سرعة وسيلة التخلص، لكن هل تتحمل عقابًا سماويًا في عالم الخلود؟ إن من يقرر التخلص من الحياة التي تنبض في جسده يقرر التخلص من شيء لا يملكه أصلا، ويفرط في أمانة أودعها الله لديه حتى ميعاد محتوم، والمجتمع الذي لا يتحرك لبيان ذلك وبنيان جدار صد أمام الأفكار الخاطئة والمشاعر الخادعة المبالغ فيها وحتى الأمراض التي تتطلب مد الجسم بمواد كيميائية يحتاجها المخ لضبط وظائفه، هذا المجتمع يفرط في أبنائه ويفقد وظيفته فينهار شيئًا فشيئًا.

ملف «الوعي الإسلامي» يعرض فضلا عن الاحصاءات الحديثة التي تكشف زيادة متصاعدة في عدد المنتحرين عربيا وعالميًا، أحد عشر عاملا تؤدي إلى قيام الشخص بالانتحار أو التفكير فيه كما يقترح ستة تدابير لازمة للتقليل من حالات الانتحار، كما يلفت الملف النظر إلى خمس أفكار سائدة يجب تصحيحها لأنها تسهم في تسرب اليأس إلى نفوس الشباب، وهنا يطالب أحد الأكاديميين الأفاضل بضرورة إقرار وتفعيل ميثاق شرف إعلامي إسلامي، يضمن عدم تطرق المواد الإعلامية التي تدس السم في العسل- كما في بعض المسلسلات التلفزيونية- إلى أي تشجيع على الانتحار أو ما شابه من الظواهر السلبية.

إن الأمر في النهاية كما تقول- إحدى الكاتبات المسلمات- يتوقف على عمق الإيمان بالله والرضا بعطائه والتيقن من أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن علمنا البشري دائما محدود وربنا يدبر لنا أمرنا لأننا لا نحسن التدبير ولذلك علينا في كل أمر نعتزمه اللجوء للاستشارة والاستخارة، وإذا لم نحصل على ما نتمنى فإن حصننا الأخير هو «قدر الله وما شاء فعل».

علاء الدين عبدالفتاح

الانتحار.. أعراضُه ومسبباته وسبل الحد منه

د. آندي حجازي

الانتحار هو قرار يأخذه الشخص من أجل إنهاء حياته بقتل نفسه بإرادته واختياره لأسباب يعتقدها بأنّ مماته أصبح أفضل من حياته. وفي التعريف السيكولوجي: هو شكل متطرف من سلوك إيذاء الذات الذي يحدث لدى الأفراد المكتئبين بدرجة كبيرة. وفي تعريف آخر: هو نوع من العقاب الذاتي، والانتقام من الذات، وإلحاق الأذى بالنفس من خلال التخلّص منها. والاكتئاب الشديد قد يؤدي إلى تطور فكرة الانتحار لدى الشخص، والتي غالبا ما تترجم إلى ممارسة عملية. والانتحار ظاهرة قديمة قدَم البشرية نفسها، عرفتها شعوب شتّى دخلت في طقوسها ومعتقداتها الدينية والفلسفية؛ فالإغريق مثلاً، عَرّفوا مفهوم الانتحار، ونظروا إليه نظرة فلسفية، وانقسموا حوله بين مؤيد ومعارض. واعتبر أرسطو الانتحار عملاً موجهًا ضدّ قوانين المجتمع والدولة والأعراف الإنسانية المتداولة، ودعا إلى معاقبة كلّ من يقدم عليه. وممّا لاشك فيه أن الأديان السماوية جميعها كانت ضد ظاهرة الانتحار البشري، وخصوصًا الإسلام الذي حرّم قتل النفس. قال تعالى: ﴿ولا تَقْتلوا أنْفُسَكم إنّ اللهَ كانَ بِكمْ رحيمًا. ومنْ يَفْعلْ ذلكَ عُدوانًا وظلمًا فسوفَ نُصْليه نارًا وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيرًا﴾ (النساء:٢٩-٣٠). وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار» (رواه البخاري) وعن جابر بن سمرة أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ أصابته جراح فآلمت به، فدبّ إلى قرن له في سيفه فقتل نفسه؛ فلم يصلِّ عليه النبي ﷺ .(رواه الطبراني).

أستاذة جامعية أردنية





في ظل الواقع وما يعيشه العالم اليوم من أحداث وتغيّرات وأزمات اقتصادية واجتماعية وسياسيةٍ ومجتمعية، لابد من الإشارة إلى خطورة هذه الظاهرة التي بدأنا نسمع عنها كثيرًا في مجتمعاتنا العربية بانتقال العدوى من المجتمعات الغربيّة، حيث تشير إحصائيات عام ٢٠١٠ لمنظمة الصحة العالمية أن نحو مليون شخص في العالم ينتحرون سنويًا، أى بما يعادل حالة انتحار واحدة كل٤٠ دقيقة! ما يرفع معدلات الانتحار بنسبة ٦٠٪ فى جميع أنحاء العالم عن الخمسين سنة الماضية، وأن لكل حالة انتحار٢٠ محاولة انتحار فاشلة تسبقها! وبيّنت منظمة الصحة العالمية أن الانتحار هو من بين الأسباب الثلاثة الرئيسيّة للوفاة لدى الفئة العمرية ١٥-٤٤عامًا، والسبب الثاني للوفاة لدى الفئة العمرية١٠- ٢٤عامًا، وعلى الرغم من أن معدلات الانتحار كانت أعلى بين كبار السن من الذكور ممّن هم فوق ٦٥ عاما، إلّا أنّ نسبة الانتحار في فئة الشباب والمراهقة في تزايد مستمر، وتحتل كوريا الجنوبية أعلى نسبة انتحار في العالم، بمعدل١٣ ألف كوري خلال العام بحد أدنى٣٣ حالة في اليوم، وتحتل اليابان المركز الثالث في العالم!

وفي الوطن العربي وفق ما نشرته «مؤسسة الفكر العربي للدراسات والبحوث» عام ٢٠١٠ فقد تزايدت نسبة المنتحرين حيث وصلت إلى ٤ أشخاص لكل ١٠٠ ألف بعد أن كانت ٢ لكل١٠٠ ألف قبل سنوات، ففي تونس مثلاً، تشير الإحصاءات ذاتها إلى أنّ عدد حالات الانتحار كبير، ووصل (١٣٥٤) حالة في العام٢٠١٠ مقارنة بـ(٩٠٥) حالات في العام ٢٠٠٨، وفي الأردن سُجّلت (٥٦) حالة انتحاريّة ناجحة بين العامين ٢٠٠٩-٢٠١٠، و(٣١٤) محاولة انتحاريّة فاشلة، أمّا في اليمن فقد وصلت حالات الانتحار نسبة هائلة (٣٦٥١) حالة ناجحة في الأعوام الثلاثة الأخيرة. وعلى مستوى دول مجلس التعاون الخليجيّ، شهدت دولة الكويت في الأعوام الأربعة الأخيرة رقما مرتفعًا حوالي (٦١٤) حادثة انتحار، بينما شهدت دولة الإمارات(٢٤) حالة، وسلطنة عُمان (٢٣) حالة، والبحرين (٤٥) حالة، وقطر(٨) حالات. وفي مصر أعلن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أرقامًا مقلقة، حيث إن هناك (١٠٤) آلاف محاولة انتحار في مصر خلال عام ٢٠٠٩، وأغلبهم من الشباب في المرحلة العمرية من ١٥ - ٢٥ وتمكّنَ منهم ما يقارب (٥٠٠٠) حالة من الانتحار، لدواعي ضيق فرص العمل أمامهم، وصعوبة التخلّص من الديون، وارتفاع نفقات الزواج.. والأغرب في المغرب حيث ذكرت معلومات إحصائية أكاديمية أن أكثر من مليونين و٩٠٠ ألف مغربيّ لا يُخفُون رغبتَهم في وضع حدّ لحياتهم، نتيجة للفقر والبطالة وانسداد آفاق العمل المُجدي!

وتشير الدراسات إلى أنّ المراهقين هم الأكثر إقدامًا في فئة الطفولة (أقل من ١٨عامًا) على الانتحار ويعزون ذلك إلى التفكك الأسريّ، والفشل فى الدراسة، والاكتئاب، والانفصام العقلي. وتبيّن التقارير أن الانتحار يمثل ثلث المسببات المؤدية إلى وفاة المراهقين، بينما يندر الانتحار في السنوات الثمانية الأولى من الطفولة، ويتزايد بشكل كبير في مرحلتي المراهقة والرشد.

ومن المرجّح ان يُقْدم الذكور على انجاز الانتحار على نحو أعلى من الإناث، مع أن الإناث يحاولن الانتحار بشكل يوازي ضعفي محاولات الذكور، فكلاهما يحاول ولكنّ عدد المحاولات الناجحة في الانتحار لدى الذكور أكبر، بينما عدد المحاولات الفاشلة لدى الإناث أكبر. وقد يُعزى ذلك إلى أن الذكور يستخدمون أساليب أكثر شدة كالقتل بالأسلحة أو السقوط من أماكن مرتفعة، بينما تستخدم الإناث طرقًا أقل قسوة كتناول الدواء أو السموم، فيتم إنقاذهنّ في مرات كثيرة. وقد يعود ذلك إلى الطبيعة الاندفاعية عند الذكور أكثر مما لدى الإناث، بالإضافة إلى قدرة الإناث على طلب العون والدعم النفسي من الآخرين، والحصول عليه بسهولة أكثر من الذكور الذين يجدون صعوبةً في التعبير عن أنفسهم وطلب المساعدة من الاختصاصيين أو المقربين، ومثلاً، أظهرت إحصائية عام ١٩٩٥حول الانتحار في استراليا أن (١٨٧٢) رجلا قاموا بالانتحار في مقابل (٤٩٥) امرأة انتحرن، وأنّ الانتحار في استراليا يعتبر السبب الأول للموت بالنسبة للرجال، والسبب الثالث للنساء.

أعراض الانتحار

إن أهمّ ما يُظهره الشخص الذي يفكر في الإقدام على الانتحار هو الاكتئاب والذي يعني (الشعور بالحزن



الشديد والتعاسة، والإحباط، والعجز وعدم القيمة، واليأس من الحياة ومن تغيّر الواقع). ومع أن لكل حالة انتحار خصوصيتها، إلا انه يوجد عدد من إشارات التنبيه والأعراض التي يُظهرها المُقْدِمون على الانتحار ومنها: التغيرات المفاجئة في السلوك، التغير في نمط النوم أو نمط الطعام، والإهمال في الدراسة أو العمل، إهمال الشخص لعلاقاته الاجتماعية ولمظهره الخارجي، التحدث عن الانتحار والموت بصورة غريبة، فقد الاهتمام بالأنشطة المعتادة والانسحاب منها، فقد المتعة في الأمور المحببة له، التحدث عن فقد الأمل والشعور بالذنب أو اليأس، نقد الذات، القلق النفسيّ، الخمول، السوداوية، الانعزال والانطواء، الحقد على المجتمع، الشكوى من الصداع، قلة التركيز، التخلّص من المقتنيات الشخصيّة الثمينة (مؤشر مهم)، أحيانًا تعاطي المخدرات والمسكرات، بالإضافة إلى محاولة فاشلة أو أكثر في تجربة الانتحار. إن وجود أيّ من هذه المؤشرات يستحق الاهتمام من قبل الآخرين كالوالدين أو المقربين، وإن وجود عدد منها يعتبر مؤشرًا واضحًا على أن الشخص في خطر وعلينا إدراكه.

إن بعض الأطفال عدوانيّون نحو ذاتهم ويتعمّدون إيذاء أنفسهم، ويُهدّدون بذلك أو يقومون به فعلا، ومن السلوكات التي يظهرها هؤلاء: الامتناع عن أخذ دواء ضروري كالأنسولين، والقيام بأعمال المخاطرة المبالغ بها كالقفز من مكان مرتفع، أو عبور الطريق وسط سير كثيف أو مسرع، أو تناول السموم. والذين يعانون من اضطرابات انفعالية يؤذون أنفسهم بشكل أكبر وأشدّ قسوة. فلا يجب على الوالدين التهاون بأي من حالات إيذاء النفس لأنها قد تتطور إلى تفكير جديّ في الانتحار.



العوامل المسببة للانتحار

هناك مجموعة من العوامل التي قد تؤدي إلى قيام الشخص بالانتحار أو التفكير فيه، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- الأمراض النفسية والعقلية: والتي منها المرض النفسي الناشئ عن خلل عضوي في الدماغ ينشأ غالبا منذ الولادة، كالشلل الجنوني العام، والتخلّف العقلي، والصرع.. ومنها الاضطرابات النفسية والعقلية وهي تنشأ عن خلل وظيفي، وتشمل:

أولا: الاضطرابات النفسية، والتي تظهر غالبًا عبر سنوات العمر نتيجة التعرض لصدمات ومشاكل ومنها: القلق، وتوهم المرض، والهستيريا، والخواف (الفوبيا)، والوسواس القهري، والاكتئاب.

ثانيًا: الاضطرابات العقلية (الذهنية) وقد تكون وراثية ومنها: الفصام، وذُهان الهوس الاكتئابيّ. وتلعب الأمراض النفسية والاضطرابات النفسية والعقلية دورًا مهمًا في الكثير من حالات الانتحار لدى المراهقين والراشدين، تقريبا ٤٠٪ من حالات الانتحار المسجلة.

٢- اضطراب الشخصية: وهي ليست أمراضًا نفسية أو عضوية.. وإنما سمات متطرفة تجعل تلك الشخصيات مختلفة عن بقية الناس، وهم لا يشعرون بأنهم يعانون من اضطراب، ولهذا يعاني من يعيشون معهم، ويعانون هم أيضًا من أنفسِهم وتصرفاتهم، وهم لا يستجيبون للعلاجات بشكل جيد لأنهم لا يقتنعون بحاجتهم إليها، ومنهم: الشخصية الهستيرية، والشخصية غير الناضجة انفعاليًا، والشخصية العاجزة، والشخصية الانطوائية، والمدمنون على الكحول أو المخدرات.. وكل هؤلاء يفكرون في الانتحار.

٣- المشاكل الأسرية واحترام الذات: قد تؤدي الصراعات الأسرية المتكررة أو الشديدة بين أفراد الأسرة وبالأخص الوالدين، وكذلك عيش الطفل أو المراهق مع زوجة أب قاسية او زوج أمّ قاس، أو تعرض الطفل للضرب والإيذاء أو الحرمان العاطفي بشكل متكرر، أو الإهمال للطفل وحاجته النفسية والجسدية، أو تعرّض المراهق للنقد المستمر أو الاستهزاء وعدم احترام ذاته ومشاعره، وتعليم الوالدين المتدني، وحالات الاغتصاب للنساء.. قد تؤدي جميعها إلى الوصول إلى حالة اكتئاب شديدة ومن ثم التفكير في الانتحار والتخلّص من الحياة.

٤- المشاكل الاقتصادية: كالفقر، والبطالة وعدم الحصول على المهن اللازمة على الرغم من الشهادات والمؤهلات، أو فقدان المهنة أو المنزل..وقد بينت الدراسات حول الراشدين في هونج كونج مثلاً أن ٥٥٪ من حالات الانتحار يقوم بها عاطلون عن العمل. وأعربت منظمة الصحة العالمية عن خشيتها من أن تؤدي الأزمة الاقتصادية العالمية إلى ارتفاع حالات الانتحار خاصة بعد إقدام بعض رجال الأعمال على الانتحار.

٥- الفشل: يعد الفشل المالي كالفشل في سداد الالتزامات المالية أو التعرض للخسائر، أو الفشل العاطفي، أو الفشل الدراسي، أو الفشل الاجتماعيّ، أو الفشل المهني كتأمين وظيفة كريمة والمحافظة عليها، أحد الأسباب الرئيسيّة المؤدية للانتحار، وقد أظهرت الدراسات



لهذا يفكر هؤلاء في التخلص من الحياة!

الدولية أن ٦٠ ٪ من حالات الانتحار كانت بسبب الفشل.

٦- الشعور بالذنب أو الوحدة: ويُعتبر هذا سببًا رئيسيًا في الانتحار وهو الشعور بالذنب والرغبة في عقاب الذات، أو الشعور بالوحدة والاعتقاد بأن العالم لا يفهمه ولا أحد يشعر به، وبسبب عدم القدرة على توجيه العقاب للآخرين فيوجه العقوبة لذاته، وتكثر هذه الحالة عند المراهقين وغير الناضجين فكريًا أو المضطربين نفسيًا.

٧- المشاكل الصحية الخطيرة: فالحالة الصحية لها علاقة مباشرة بالاكتئاب والانتحار، فالمرضى المصابون بأمراض مستعصية الشفاء كالإيدز والسرطان، أكثر إقبالا على الانتحار، وتتراوح نسبتهم بين ١٥- ١٨٪ من بين المنتحرين، أما المدمنون على الكحول والمخدرات فتصل نسبة انتحارهم إلى ١٥٪ وفق إحصائيات في المجتمع المصري.

٨- أسباب بيولوجية: كاختلالات في التوازن الهرموني وخاصة لدى الفتيات أثناء البلوغ، أو فقر الدم الناتج عن نقص الحديد، أو اضطرابات في الغدة الدرقية أو في سكر الدم، أو عدم التوازن الكيميائي في المرسلات العصبية.. قد تسبب الاكتئاب أو الانتحار.

٩- ضعف الوازع الديني: البُعد عن الدين القويم وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، وقلة التوكل على الله، وسوء الظن بالله، وعدم الخوف من الله تعالى.

١٠- توفّر النماذج وإساءة وسائل الإعلام في التعامل مع القضية: كطرح قصص لشخصيات شهيرة قامت بالانتحار، يشجع بعض من يعانون من المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية على الانتحار.

١١- سهولة الوصول إلى المواد المميتة: كالأدوية والسموم والقفز من الأماكن المرتفعة..

التقليل من حالات الانتحار

وفقا لمنظمة الصحة العالمية فإنه: «لا يمكن منع جميع أشكال الانتحار، ولكن يمكن منع غالبيتها، باتخاذ بعض التدابير اللازمة». ولعلاج هذه الظاهرة لابد من تحديد السبب المباشر وراء كل حالة على حدة من الأسباب المذكورة أعلاه، لأنّ معرفة السبب هي الخطوة الأولى للحل، كالطبيب لكي يعالج المريض وتقديم العلاج المناسب لابد أن يعرف السبب، والذين يُعين على ذلك هو التقاط الإشارات التي يرسلها الشخص (أعراض الانتحار)، والتي تعتبر ضوءًا أحمرَ يدل على نية الفرد بالانتحار، ويمكن اقتراح ما يلي للتقليل من الحالات:

١- إيلاء الاهتمام الكافي لجميع التهديدات التي يطلقها الفرد والمتعلقة بإيذاء الذات أو نية الانتحار، فالحالات التي تحدث بدون إنذار قليلة، ومتابعة من سبق لهم القيام بمحاولات انتحارية، من خلال إعطائهم العناية النفسية الكافية، والاستماع لمشاكلهم ومعاناتهم، وتقديم الحلول لهم والدعم المعنوي والرعاية والعطف، وخاصة المراهقين والمرضى.

٢- الإنصات للأشخاص المقربين والأصدقاء والأبناء ومن يمرون بظروف صعبة، والتواصل العاطفي معهم، وعدم الضغط على الأبناء بخصوص التحصيل الدراسي، وعدم مقارنتهم بآخرين أو انتقادهم المستمر أو إحراجهم والاستهزاء بهم.

٣- معالجة الأمراض النفسية والاضطرابات لدى الفرد كالاكتئاب والفُصام والإدمان .. فلا يجب إخفاء أو إهمال ما يَظهر على الفرد من اضطرابات سلوكية غير مألوفة، فيجدر بعائلة المريض التوجه إلى الطبيب النفسي أو الأخصائي لعلاجه وإدخاله المصحة النفسيّة إن لزم الأمر، وعدم الخجل أو انتظار تفاقم الحالة.

٤- عمل برامج تأهيلية علاجية تتشارك فيها الأسرة والمدرسة مع المعالِج النفسي، للنهوض بشخصية المصاب والتركيز على الجوانب الإيجابية لديه، ومساعدته على القيام بدوره في المجتمع، ومتابعته وتحسين ما يمكن تحسينه في محيطه الاجتماعي كتقليل الصراعات الأُسريّة.

٥- تعاون الجهات المسؤولة للتقييد الصحفي والإعلامي في نشر قصص المنتحرين وطرقهم المستخدمة، وخاصة المشهورين منهم، والتعامل مع قضاياهم بحذر وعدم إثارتها بطرق محفّزة، فالانفتاح الإعلامي غير المنضبط الذي نعيشه اليوم يدعو ضعاف النفوس أو صغار السن والمرضى النفسيين إلى تقليد الآخرين والتأثر بهم، وقد يعتبرون الانتحار حلا سريعًا لمشكلاتهم .

٦- تعريف الفرد عاقبة الانتحار وحكمه في الاسلام، قال ﷺ: «تداووْا، ولا تداوَوْا بحرام» (رواه أبوداود). فالانتحار دليل ضعف الإيمان، وقلة التوكل على الله تعالى. ولا أفضل من التربية على الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، والخوف من الله تعالى، والالتزام بما أمر، والمداومة على قراءة القرآن فهو مُطهر للنفوس، وأداء الصلاة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبَغي، وذكر الله تعالى: ﴿...ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب﴾ (الرعد:٢٨).

المراجع:

١- سيكولوجية المراهقة، رغدة شريم، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٩.

٢- الصحة النفسية والإرشاد النفسي، سيد محمود طواب، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨.

٣- تقرير منظمة الصحة العالمية حول الانتحار عام٢٠١٠.



خطر الانتحار يضرب المجتمعات العربية

تحقيق: هالة عبدالحافظ

حتى سنوات قليلة كنّا نقرأ عن حالات الانتحار في دول العالم الغربية والأسيوية، ونحمد الله أن هذه الظاهرة بعيدة عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لكن يبدو أن الانفتاح على العالم الآخر أفقد العالم الإسلامي جزءًا من ترابطه، فشاهدنا حالات كثيرة لأناس يحرقون أنفسهم احتجاجًا على أمور معيشية، أو يقتلون أنفسهم لعدم القدرة على الإنفاق على أسرهم، أو نتيجة الدخول في حالات اكتئاب، أو ليأس من تحقق الشفاء.. وقد أكد خبراء التقتهم «الوعي الإسلامي» على أهمية الوازع الديني في الوقاية من مخاطر الانزلاق إلى هاوية الانتحار، كما تطرقوا إلى العوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤدي إلى شيوع هذه الظاهرة.. فإلى التفاصيل.

«فتاة في العشرين، تغافل أسرتها وتشنق نفسها بحبل، في سقف المنزل».. كان هذا هو العنوان الذي نشرته العديد من الصحف المصرية أخيرا لفتاة أوضحت تحقيقات الشرطة أنها كانت تعاني من حالة نفسية سيئة، إثر إصابتها بمرض شلل الأطفال، وأنها حاولت الانتحار مرات عدة سابقا، وكان يتم إنقاذها في اللحظات الأخيرة، لكنها أفلحت في آخر محاولاتها، بعد أن غافلت أسرتها- التي تقيم بحي الساحة الشعبية بمدينة الفيوم- وتم تحرير محضر بالواقعة، وأخطرت النيابة التي أمرت بدفن الجثة، بعد توقيع الكشف الطبي عليها.

وفي الجزائر، فجع أهالي عدد من القرى التابعة لولاية «تيزي وزو» بانتحار ١٥ حدثًا لا يتجاوز عمر أكبرهم ١٤ عامًا، وذلك خلال ثلاثة أسابيع فقط، وتبين من التحقيقات أن السبب الرئيس في إقدامهم على الانتحار هو التأثر بالمسلسل الكرتوني «المحقق كونان»، الذي يبرز كيف يمكن لشخص أن ينتحر أو يقتل نفسه بطريقة يمكنه بعدها العودة إلى الحياة!! ولم يدرك هؤلاء الأطفال أن الواقع يختلف عن عالم القصص الخيالية، وفي الوقت نفسه لم تنتبه الأسر إلى خطر ما يشاهده أطفالهم.

ومن الاكتئاب والمحاكاة، إلى الانتحار لسبب آخر وهو: الاتهام بالفساد، وفي حالة من مئات الحالات المشابهة أعلنت مديرية الأمن في محافظة السليمانية العراقية أن القائم مقام قضاء مركز المحافظة أقدم على الانتحار في زنزانته، بعد أيام من اعتقاله بتهمة تلقي رشاوى، فيما أصدر نائب رئيس الإقليم قرارًا بتشكيل لجنة تحقيق في ملابسات الحادث.

وكان المنتحر قد اعتقل على خلفية دعاوى قضائية رفعت ضده؛ لتورطه في تلقي رشاوى، مقابل تقديم تسهيلات في بيع أراض أضيفت إلى التصميم الأساسي لمدينة السليمانية.

ونتجه إلى المملكة العربية السعودية، وتحديدا إلى محافظة القريات، حيث دخل شاب في غيبوبة تامة بعدما أقدم على الانتحار، بتعليق نفسه بسلك كهربائي داخل منزل والده، وأوضح الناطق الإعلامي لشرطة منطقة الجوف ورود بلاغ عن محاولة انتحار شاب في العقد الثاني من عمره، من خلال تعليق نفسه بواسطة سلك كهربائي داخل منزل والده. وأضاف أنه تم إسعاف الشاب، الذي أقر والده بأنه يعاني من اضطرابات نفسية، ولديه ملف بمستشفى الصحة النفسية.

المدن أكثر انتحارًا!!

على الرغم من اعتقاد كثيرين أن المعيشة في المدن توفر حياة كريمة ومثالية للإنسان.. فإن تقريرًا صادرًا عن المركز القومي المصري للبحوث الاجتماعية والجنائية في عام ٢٠٠٧، أكد أن حالات الانتحار تتزايد في المدن الكبرى، حيث جاءت محافظة القاهرة في المركز الأول في عدد من يحاولون الإقدام على الانتحار، بنسبة ٢٤٪، تلتها محافظة القليوبية بنسبة ١٩,٥٪، واحتلت محافظة الجيزة المركز الثالث بنسبة ١٢٪، وتساوت معها محافظة

مليون منتحر سنويًا!

نشرت مجلة «ذي لانست» البريطانية الطبية، دراسة أكدت أن مليون شخص على الأقل ينتحرون سنويًا في العالم، أي ما يعادل حالة انتحار كل ٤٠ ثانية، ويشكل الانتحار عاشر سبب للوفاة حول العالم.

دار الإعلام العربية



الابتعاد عن الدين والضغوط الاجتماعية.. أبرز الأسباب



د.عبدالمعطي بيومي: ضعفٌ في الوازع الديني.. وقنوطٌ من رحمة الله

السويس. بينما كانت محافظتا أسيوط وسوهاج الأقل في حوادث الانتحار، على الرغم من أنهما من أفقر محافظات مصر. كما أوضح التقرير أن الرجال أكثر من النساء إقبالاً على الانتحار، حيث بلغت نسبتهم ٥٤٪ مقابل ٤٦٪ من النساء، وأن معظم المنتحرات من ربات البيوت؛ بسبب الخلافات الزوجية والأوضاع الاقتصادية الصعبة. أما الرجال فقد جاء العاطلون عن العمل في مقدمة المنتحرين، واتضح أن الشباب هم الأكثر إقبالاً على الانتحار بنسبة ٦٠٪، في حين جاء في المرتبة الثانية الفئة العمرية من ٣٥ إلى ٥٠ ٪.

لكن ومن خلال الرصد المجتمعي.. ليس كل فقير أو معوز يُقدم على الانتحار، فكم من مستثمري البورصة الذين يمتلكون الملايين يقدمون على الانتحار؛ لمجرد خسارتهم بضعة ملايين، في حين أن لديهم أرصدة أخرى بالملايين تكفيهم للعيش الرغد أعوامًا مديدة، لكن العديد من المستثمرين أقدموا



د.أحمد شوقي العقباوي: الاكتئاب والفصام والاحتجاج.. أبرز العوامل النفسية للظاهرة

بالفعل على الانتحار، بل وقتل أسرهم لمجرد انخفاض المستوى المعيشي؛ نتيجة المضاربة في البورصة.

وقبل أيام قامت فتاة مصرية بإلقاء نفسها في النيل، ولم تفلح محاولات إنقاذها؛ بسبب خوفها من شبح العنوسة، بعد أن رفض أهلها ارتباطها بالعديد من الخطاب الذين تقدّموا لها.

والعنوسة- كما يؤكد علماء النفس والاجتماع- من أخطر ما تشعر به الفتاة طوال حياتها، حيث ترى معظم صديقاتها قد ارتدين الفستان الأبيض واحدة تلو الأخرى، فيصيبها نوع من اليأس والتشاؤم، ما قد يدفعها إلى تفضيل الموت عن وصمة العنوسة، وقد أظهرت دراسة، أجراها المركز القومي للسموم التابع لجامعة القاهرة في عام ٢٠٠٨، أن هناك ٣٧٠٨ حالات انتحار سنويًا، معظمها في العاصمة القاهرة، وكشفت أن الإناث ينتحرن في سن صغيرة؛ ليثبتن حرمانهن وشكواهن، خلافًا للذكور الذين عادة ما ينتحرون لأسباب مهمة، كما أن هناك اختلافًا جذريًا في كيفية الانتحار، فالإناث يتناولن حبوبًا مهدئة، أو يأخذن كمية بسيطة من بعض المواد السامة، أو بالغرق، بخلاف الرجال الذين ينتحرون بطريقة جادة ونهائية بهدف الموت. ووفقًا للدراسة فإن المنتحرات يعانين من اضطراب ما، كالخلل الأسري والتفكك، وهناك سبب قوي منتشر جدًّا في الدول العربية وهو العنوسة، التي أصبحت شبحًا كبيرًا يهدّد معظم الإناث.

أما أحدث دراسة أعدها مركز المعلومات بمجلس الوزراء المصري في عام ٢٠١٠ فأكدت حدوث ١٠٤ آلاف حالة انتحار في عام ٢٠٠٩، نجح منها ٥ آلاف في إتمام الانتحار، بينما تم إنقاذ الباقين، وتطرقت الدراسة إلى الأدوات المستخدمة في التخلص من الحياة، ومنها المبيدات الحشرية، أو الأدوية والأقراص المخدرة، فضلا عن الآلات الحادة، والأسلحة النارية، والشنق باستخدام حبل، أو القفز من مكان مرتفع.

ضعف الإيمان

بذلك، بدأ عضو مجمع البحوث الإسلامية د.عبدالمعطي بيومي حديثه، وبما رواه جندب بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا فحزّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة».. موضحًا أن في هذا الحديث إشارة إلى أن قيام البعض بقتل أنفسهم بأي وسيلة تعني إنهاء حياة الإنسان بنفسه، وعدم الصبر على احتمال امتحانات الخالق له في الدنيا، ومن ثم نفاد صبره، ويأسه من رحمة الله، وهو الأمر الذي قد يدخل في دائرة الكفر بقدرة الخالق على حل ما يواجهه الإنسان من أزمات.

وأشار أيضًا إلى قول النبي ﷺ: «مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا



فيها أبدًا ، ومَن تحسّى سمًّا فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»، وهكذا يتوعد الله سبحانه وتعالى المنتحرين بتمثيل الجرائم التي ارتكبوها في حق أنفسهم يوم القيامة، كما فعلوها في دنياهم.

والسبب الرئيسي في هذه الظاهرة هو ضعف الوازع الديني، وقلة الإيمان بقضاء الله وقدره، وهذا يفسر تزايدها خلال السنوات الأخيرة في بلادنا العربية والإسلامية، إلا أنها، مقارنة بالدول الأوروبية وخاصة السويد والدنمارك والولايات المتحدة، تعد قليلة.. نظرًا لاهتمام مواطني هذه الدول بالماديات، وحرصهم على الحياة، وعدم إيمانهم بالله.

وتابع د.بيومي: برغم تزايد معدلات الانتحار في الدول العربية والإسلامية، فإنها لم تصل إلى حد الظاهرة، كما هو الحال في الدول غير الإسلامية.. لذلك يجب على أئمة المساجد وعلى أولي الأمر في كل مؤسسة، سواء تعليمية أو إعلامية أو خدمية أو حكومية، أن يبينوا أن المؤمن القوي أفضل عند ربه من المؤمن الضعيف، فلابد أن يرضى بقضاء الله وقدره، عملًا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ففي هذه الآية سلاح يتحصن به المسلم ضد أي مخاوف داخلية، أو أي وساوس شيطانية.

ويواصل: لذلك على المسلم أن يرضى بقضاء الله وقدره، ويتوضأ، ويبدأ في التقرب إلى الله في الصلاة والعبادة والدعاء.. والإكثار من الاستغفار، كل هذا يساعده على التحلي بالصبر والسلوان، وكل تلك الروحانيات تقوم بدورها في ضخ طاقة إيمانية تصد العبد عن التفكير في الانتحار، أو غيرها من الأفكار السيئة.

انتقام ذاتي

أما أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر د.أحمد شوقي العقباوي فيوضح أن الانتحار ظاهرة مَرضية، يدرسها العلماء وأساتذة الطب النفسي، موضحًا وجود نظريات عديدة تشرح: لماذا يُقدم فرد على قتل نفسه؟! ويضعه تحت عنوان أكبر وهو «إيذاء النفس»، وأقصى درجاته قتل النفس، وهو نتيجة لمرض أكثر شراسة هو الاكتئاب، مبينًا أنه أنواع، مشيرًا إلى أن ١٥٪ من مرضى الاكتئاب الجسيم ينتحرون.

ويواصل: ومن ١٠ إلى ١٥٪ من مرضى انفصام الشخصية يقدمون أيضًا على الانتحار، في محاولة منهم للانتقام أو إيذاء الذات، وقد يكون الهدف من بعضها «لي الذراع»، وهي محاولات غير جادة، وفي معظم الأحيان لا تؤدي إلى الموت، وقد يقع الموت مصادفة عند المحاولة، ظنًّا بأنه من الممكن أن تخيب، لكنها أفلحت، والبعض الآخر يقوم بمحاولات شبه جادة، وتؤدي إلى الموت.

وعن الإحصاءات والدراسات، أكد العقباوي أنه لا توجد بحوث معتمدة لتسجيل عدد المنتحرين في مصر، ولا المناطق العربية، وكل البحوث التي أصدرتها جهات معينة مشكوك فيها لأسباب عدة منها: أن بعض الأهالي يعتبرون أن انتحار فقيدهم وصمة عار عليهم، ولا أحد يسجل أنه مات منتحرًا.. غير أن هناك نسبة كبيرة من المنتحرين يتم إنقاذهم، فلاشك من وجود شكوك حول الإحصاءات، لأنها مغلفة بضباب تسجيلي.

السمنة القاتلة

تعددت الأسباب والموت واحد، صدق هذا المثل على فتاة عشرينية تنتمي إلى محافظة الأقصر بصعيد مصر، والتي تخلصت من حياتها احتجاجًا على منعها من اتباع حمية غذائية لإنقاص وزنها، بسبب معاناتها من السمنة المفرطة، حيث تناولت كمية كبيرة من صبغة الشعر أودت بحياتها بعد فشل جهود الأطباء في إسعافها.



وأشار إلى أسباب هذه الظاهرة، موضحًا أن هناك حالة عامة تعيشها المجتمعات العربية- خاصة مصر- من الإحساس بقهر الذات، وقلة الحيلة، وفقد الأمل، ما أوصل الناس إلى مرحلة «فقد الإحساس»، مع الاكتئاب وقلة الحيلة، وكذا الإحساس بالمهانة البشرية، إضافة بالطبع إلى الفقر.

ويشير العقباوي إلى أن الاكتئاب الجسيم يفقد القدرة على الاستمتاع بأي شيء في الحياة، كالأكل والجنس والعمل والحب، أو أي أفعال اعتاد المريض ممارستها، ومن ثم يدخل الفرد في حالة عزلة وانزواء عن محيطه، ويضرب نفسيًّا عن الطعام، ويصل إلى مرحلة الاكتئاب التي قد تقوده إلى الانتحار، وخاصة مع ضعف الوازع الديني وانشغال المحيطين عنه.. وذلك عكس الأفراد الذين يعيشون حياة طبيعية.





ضغوط حياتية

بينما أوضح أستاذ الاجتماع بجامعة حلوان د.رشاد عبداللطيف عددًا من الأسباب الرئيسية التي تقود إلى الانتحار، أولها البعد عن الدين، وعدم الثقة في أن الله قادر على أن يصرف عنهم مشاكلهم المستعصية!! وكذلك كثرة الديون وعدم القدرة على سدادها، وافتقاد الأمن في الحياة؛ نتيجة التعرّض لمشكلات اجتماعية.. وكذا الإصابة باضطرابات نفسية شديدة نتيجة ظروف الحياة، أيضًا الشعور بالوحدة، وعدم وجود الفرد القادر على مساعدته للخروج من هذه الحالة.. إضافة إلى المشكلات الأسرية والمعاملة السيئة سواء من الزوج لزوجته وأولاده، أو من الزوجة لزوجها وأولادها.

ويؤكد أن الرجال أكثر إقدامًا على الانتحار من النساء، نظرًا لتعرّضهم بدرجة أكبر لضغوط ومسؤوليات والتزامات أكثر من المرأة، كما أن الرجل يتأثر بالنكد الأسري بشكل كبير، وذلك مع عدم ثقة المرأة بالرجال، وعدم وجود رباط إيماني مع الله، وفي المقابل نجد المرأة أقل إقدامًا على الانتحار، على الرغم من أنها أكثر عرضة للاكتئاب، على عكس الرجل.

ويتابع: المرأة جهازها العصبي ضعيف إلا أنها أكثر ميلًا إلى الحياة، وعند خوض تجربة الانتحار تفكّر وتضعف وتتراجع، أما الرجل فجهازه العصبي قوي، عندما يتخذ قرار الانتحار غالبًا ما ينفذه.

ويقدم د.عبداللطيف عددًا من الحلول للحد من هذه الظاهرة، موضحًا أنه على الأفراد أن يثقوا برحمة الله، وألا يقنطوا أبدًا مهما كانت الضغوط التي يتعرّضون لها في حياتهم، وأن يدركوا أن أكثر الناس ابتلاء هم الصالحون، وعليهم أن يدققوا في قول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند حسن ظن عبدي بي»، ومن ثم يحاولون أن يجدوا بدائل لحل مشكلاتهم دون التخلص من حياتهم.

أيضًا على المسؤولين في كل الدول العربية أن يوفروا لمواطنيهم جميع الاحتياجات الأساسية من تعليم وصحة ومسكن، وأن يعاملوهم معاملة كريمة، وألا يكونوا سببًا في تزايد أعباء المواطنين المعيشية، وهو الأمر الذي يدخلهم في دوامة لا تتوقف من المشكلات.. قد تنتهي بهم إلى الانتحار.

الانتحار.. والثورة

لم يجد الشاب التونسي البسيط «محمد البوعزيزي» وسيلة للاحتجاج على سوء الأوضاع المعيشية، والتعنت من جانب الإدارة المحلية سوى الإقدام على الانتحار حرقا، وكانت هذه هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورة التونسية، ثم تلتها الثورة المصرية، حيث بادر مواطن من محافظة الإسماعيلية إلى حرق نفسه أمام مجلس الوزراء المصري احتجاجا أيضا على تعنت الإدارة المحلية معه.. وتبعه العديد من حالات الانتحار تم إنقاذ معظمها.

قنوط

وأخيرًا، يوضح استشاري القلب والحالات الحرجة د.حاتم غازي أنه عندما نتحدث عن الانتحار كظاهرة فإننا نتحدث عن ثلاثة أشياء وهي: صور الانتحار، مدى تداخله مع أمراض أخرى، نتائجه، مشيرا إلى أن جميع حالات الانتحار التي تعرض علينا قبل تحقق الوفاة تحتاج إلى علاج فوري، فمثلًا جاءتنا إحدى الحالات لسيدة تناولت مادة سامة، وعلى الفور تم إجراء غسيل معوي لها مع بعض الإسعافات الأساسية العاجلة، أيضًا هناك حالات ترد إلينا لأناس ألقوا بأنفسهم في الماء، وغالبًا ما يكون لديهم حالة اسفكسيا، وهناك أيضًا حالات قطع الشرايين، وكلها حالات من هذا القبيل، ويتم التعامل معها جراحيًا وعلاجيًا، ويتم الإنقاذ بطرق شتى وفق كل حالة، وبالطبع هناك حالات تلفظ أنفاسها الأخيرة قبل محاولة إسعافها، خاصة في حالات الحروق والسموم والانتحار من الأماكن الشاهقة.

وعن تداخل الانتحار مع أمراض أخرى، أوضح د.غازي أن الإنسان إذا تعرّض إلى الإصابة بأمراض مستعصية، كالسرطان أو جلطات في القلب، أو الالتهاب الكبدي الوبائي، تحدث له صدمة نفسية، وتصبح إرادته غير قادرة على التحمل، إذا كان قليل الإيمان، وقد صادفتنا حالات كثيرة من هذا النوع الذي لم يتحمل الإصابة بهذا المرض، فترفض الحالة العلاج ومن ثم تنتحر، وهذا الأمر يختلف من فرد لآخر.. حسب هشاشة الشخصية وقدرتها على التحمل.

وأشار إلى أن الطبيب في هذه الحالة يبدأ علاجه بإعطاء المريض أدوية مضادة للاكتئاب، أو يشرك معه في العلاج طبيبًا نفسيًا، وغالبًا ما يسهم هذا التعاون في رفع الحالة المعنوية للمريض، وإبعاده عن التفكير في الانتحار.



انتحار الشباب.. ثقوب في ثوب البراءة

إيمان القدوسي

تخيل نفسك روحًا هائمة ترى العالم من فوق، تهل نسمات الفجر الندية مع إشعاعات النور الذي يغمر الدنيا فتتبدى البحار الهادرة والأنهار العذبة المنسابة والمزارع الخضراء اليانعة وتبدأ الطيور رحلتها الصباحية وهي تغرد وتشقشق، وتتنافس الفراشات البديعة مع النحل في لثم أوراق الورد التي تتمايل على أغصانها، أينما وليت نظرك ترى «سيمفونية» من السحر والجمال تعزفها الطبيعة التي خلقها المولى عز وجل وسخرها لنا، وقتها سوف تتمنى تلك الروح الهائمة أن تصبح إنسانا يسعى في ملكوت الله، يكد ويعمل ويعبد ربه ويستمتع بكل ما حباه الله به من نعم لا يمكنه عدها وحصرها.

فما بال البشر مستغرقين في الحزن والسخط وقد أداروا ظهورهم لكل جمال الدنيا ومتعتها، إن أجمل ما في الحياة هو الحياة نفسها، هو أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاك الفرصة كاملة لتحيا وتمارس دورك الفعال والمؤثر في المسيرة البشرية ثم تدخر حسناتك وعباداتك للآخرة ليجزيك الله بها الجنة، فأي تكريم للبشر أكثر من هذا، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠) ويقول تبارك وتعالى في سورة التين: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

وتعد مرحلة الصبا والشباب هي أجمل مراحل الحياة ففيها القوة والفتوة والعنفوان والجمال والرشاقة وهي الفترة الزمنية الملائمة للحب والزواج والعمل والعبادة، في تلك الفترة أنجز كثير من البشر إبداعاتهم وحقق الكثيرون منهم مخترعات واكتشافات أدت لتطور هائل وحضارة متقدمة، ولذلك يبدو غريبا



ومحزنا أن يتخلى شابٌ عن كل هذه المزايا التي يختص بها ويسكب بنفسه كأس حياته المترع بالأمل والشباب، ينفطر كبدي حزنا عندما أقرأ خبر انتحار شاب أو فتاة، كيف هانت عليه نفسه؟ ولماذا تخلى عن فرصته الرائعة في الحياة؟

نقرأ أخبارا مؤسفة تقول:

«انتحار طالبة في الثانوية العامة لسوء أدائها في الامتحان»

«انتحار شاب نابغ تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية لأنه تقدم للعمل في السلك الدبلوماسي ورفض طلبه بسبب تواضع عائلته وفقرها»

«انتحار صبي في المرحلة الإعدادية لأن والده عجز عن شراء ملابس جديدة له في العيد»

«انتحار فتاة لتخلي حبيبها عنها»

«انتحار شاب لفشله في تدبير نفقات الزواج»

تتكرر هذه الأخبار كثيرا، صحيح أن الرسوب في الامتحان حدث سيئ ولكن يمكن تعويضه بالاجتهاد ويمكن بالعزيمة والإرادة التحول من الفشل الدراسي إلى النجاح والتفوق، وحتى لو لم يمكن ذلك فإن الدراسة ليست هي نهاية الحياة فكم ممن مارسوا العمل اليدوي وبرعوا فيه وحققوا نجاحا وسعادة أكثر من غيرهم، وكلٌ ميسر لما خلق له.

أيضا الملابس الجديدة قد تكون جميلة ولكن جسدك الشاب هو من

باحثة مصرية



يمنحها هذا الجمال فحافظ عليه حتى تحصل على ما تتوق إليه نفسك بالعمل والجهد، أما الحب والزواج فرغم أنها عاطفة فطرية راقية إلا أنها أيضا قابلة للتعويض وربما بفرصة أفضل مما ظننا أن فيها سعادتنا.

مدار الأمر على عمق الإيمان بالله والرضا بعطائه والتيقن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، علمُنا البشري دائمًا محدود وربنا يدبر لنا أمرنا لأننا لا نحسن التدبير ولذلك علينا في كل أمر نعتزمه اللجوء للاستشارة والاستخارة وإذا لم نحصل على ما نتمنى فإن حصننا الأخير هو «قدر الله وما شاء فعل».

ربما يبدو النصح سهلًا، ولكن ماذا نفعل حيال تأجج المشاعر الشابة وتوالي إحباطاتها في مواجهة واقع قاس يكاد يسد منافذ الأمل أمامها؟ ومن يتحمل المسؤولية؟

١- مسؤولية المجتمع

إن الشباب هم مشكلة المجتمعات الحديثة، فالمجتمع الناجح هو الذي يستطيع توفير فرص العمل وتحقيق الذات والزواج والسكن، والمجتمعات الفاشلة هي من تخفق في تحقيق ذلك فتؤدي إلى كبح قوة الشباب وحبسها مما يتسبب في الكثير من الاضطراب في المجتمع وفي الأسرة، وقد يفضي ذلك في أسوأ احتمالاته لأن تهون حياة الشاب عليه ويقدم على الانتحار.

٢. مسؤولية الأسرة

من أسباب معاناة الشباب أيضا طريقة التفكير السائدة في المجتمع والتي تضع حملًا ضخمًا على كاهلهم، من حق الأسرة أن تطمح لتفوق الأبناء وتحثهم على ذلك وتوفر لهم الأجواء المناسبة، ولكن ليس لدرجة أن يستقر في ضمير الشاب أن الدرجات النهائية هي الهدف الوحيد وأنها بالنسبة له مسألة حياة أو موت، الحياة نعمة من المولى عز وجل

الحب غذاء النفس فغذّوا أطفالكم به

وستظل كذلك سواء دخلت كلية الطب أو لا، والأهم من الدرجات أن تحافظ على سلامك النفسي واتزانك وعلاقتك بربك، وأن تنجح في الكلية التي التحقت بها وفي مجال العمل الذي يسره الله لك.

٣ - مسؤولية الوالدين

مسؤولية الوالدين أكثر خصوصية من مسؤولية الأسرة الكبيرة إذ إن الوالدين هما منبع الحنان والحب ، والحب قوة لا يستهان بها فهي أساس الثقة بالنفس والقدرة على العطاء، إن نجاح الأب والأم في توصيل معاني الحب غير المشروط للأبناء هو الركيزة الأساسية التي تبني شخصية واثقة متوكلة على ربها، لا تنكسر أمام المحن والصعاب، بل تعتبرها حافزا ودافعا لتحقيق النجاح، الشاب الذي يحيا في بيئة محبة داعمة لا يمكن أن يفكر يوما في الانتحار.

٤. مسؤولية الشاب نفسه

مهما تحدثنا عن البيئة والظروف تظل المسؤولية الفردية هي الأهم والأقوى، وكم من الشباب تعرضوا لمحن وخرجوا منها سالمين بفضل إيمانهم بربهم وثقتهم بأن بعد العسر يسرا وتحفيزهم الدائم لقدرتهم الذاتية على النجاح ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

الأفكار السائدة

هناك بعض الأفكار السائدة والتي يجب تصحيحها لأنها تسهم في تسرب اليأس والاكتئاب كمقدمة للتفكير في الانتحار لدى الشباب وهي:

١- «النجاح المادي فقط هو المطلوب في الحياة»

هذه الفكرة تؤدي لتآكل الجانب الروحي المهم والضروري للتوازن النفسي، وتؤدي لجمود المفاهيم وبُعدها عن الإنسانية، نحن بشر نتعامل بمشاعرنا قبل كل شيء وتحتاج أرواحنا للشعور بالراحة والسكينة، وذلك كله لا يشترى بالمال، بل يمكن لكل شخص أن يحصل عليه بالإيمان والعمل الصالح والعطاء للغير.

٢- «هناك مهن محددة ودرجات علمية هي السبيل الوحيد للسعادة في الدنيا»

لا يمكن أن يكون الناس جميعا أطباء ومهندسين وعلماء، بل لابد من التنوع ومادام العمل شريفا ومناسبا لقدرات المرء فهو سينجح به ويحقق ذاته من خلاله، ولذلك فإننا نمهد طريق التعاسة لأبنائنا حين نصر على نوعية معينة من التعليم أو العمل، إذا كنا نريد لهم السعادة فلنترك لكل منهم اختيار ما يوافقه ويناسبه ويرضيه.

٣- «إذا جربت الفشل مرة فقد كتب عليك للنهاية»

كل الناجحين والعظماء ذاقوا مرارة الفشل وتعلموا من أخطائهم وحققوا النجاح.

٤- «عندما نحب ونفقد المحبوب فقد كتب علينا الشقاء»

الحب رزق والزواج الناجح توفيق من الله وقد لا يحدث التوفيق في المحاولة الأولى.

٥- «الإنجاز المادي هو سمة الأسر الناجحة أما المحبة والترابط فهي أمور يمكن الاستغناء عنها»

يقول العلماء: إن العمل والحب هما مقياس النجاح والنفسية السوية، الحب غذاء للنفس فغذوا أولادكم به فهو لا يقل عن غذاء الجسد أو التعليم المدرسي، العمل والحب هما جناحا طائر السعادة الذي يحلق بالإنسان بعيدا في سماء الرضا ويحقق له جودة الحياة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة.



ظاهرة الانتحار ومسؤولية وسائل الإعلام

أ.د. عبدالصبور فاضل

ثقافة الانتحار مصطلح جديد لم يعرف طريقه إلى عالمنا العربي والإسلامي إلاّ بعد أحداث سبتمبر عام ٢٠٠١ وما تلاها من تطوّرات حيث بدأ من منطلق «افتعالي» لا طبيعي، في إطار سياسي آني يستعجل التخديم الإعلامي على الآلة العسكرية على جبهات القتال التي اندلعت في عدد من البلاد العربية والإسلامية، وذلك خلافًا لطريقة التعاطي الغربي مع الظاهرة منذ دخولها الفضاء السيسولوجي على يد (إميل دوركايم ١٨٥٨-١٩١٧) في كتابه «الانتحار» عام ١٨٩٥م والتي فرضتها شروط عفوية وموضوعية تتعلق بحراك اجتماعي عنيف ومتسارع، ترك تداعياته على انفعالات الإنسان الغربي ومزاجه بوجه عام حتى بلغ حد قيام شركات سياحية في السويد بالترويج عبر الإعلام لـ «سياحة الانتحار» عبر العديد من الطرق التي توفرها للمنتحرين، تتضمن توفير تأشيرة الدخول والإشراف على الانتحار وتسهيله، مع خدمة التخلص من الجثة وفق رغبة المنتحر.. مما دفع برلمانيون للمطالبة بمنع هذه الظاهرة الجديدة ورفض إعطاء تأشيرات دخول للمنتحرين.!(١)

وخلال المؤتمر الدولي للتدخل ضد الانتحار الذي عُقد في (مونتريال) عام ٢٠٠٥، قارنت الخبيرة (دانيال سانت لوران) بين ما يحدث في مجتمعاتهم ومجتماعتنا وأرجعت الفرق إلى أنّ شبابَ العرب والمسلمين ربما يكونون مُحَصّنين بنظام مناعة عائلي مستقر، وبروادعَ دينية وأخلاقية واجتماعية تجعلهم بمنأى عن التفكير في الانتحار. (٢)

الترف العربي

والواقع أنّ «ثقافة الانتحار» لم يعرفها العالم العربي- على سبيل المثال- إلاّ في أوساط الجماعات «المترفة ثقافيًا»، وفي هذا السّياق نشرت صحيفةُ النهار اللبنانية في أوّل ديسمبر عام ٢٠٠٧م تحقيقًا صحفيًا عنوانه: «ثقافة الانتحار.. لماذا ينتحر المثقفون؟!» أحصت فيه انتحار ثمانية من كبار المثقفين والشعراء والأدباء العرب مثل: الأديب والشاعر الأردني «تيسير سبول» عام ١٩٧٣ وهو في الثلاثين من عمره، والقاص المصري «محمد رجائي عليش» عام ١٩٧٩، والفنان التشكيلي السوري «لؤي كيالي» عام ١٩٨٩، والكاتبة المصرية اليسارية الشهيرة «أروى صالح» عام ١٩٩٧، والشاعر الكردي «مصطفى محمد» الذي انتحر في حلب عام ١٩٧٩، وهو في عمر لا يتجاوز السابعة والعشرين، والشاعر اللبناني «خليل حاوي» عام ١٩٨٢، والشاعر المصري «صالح الشرنوبي» عام ١٩٥١، والشاعر السوري «عبدالباسط الصوفي».!(٣)

ومع ذلك تظل هذه الحالات استثناء وليست قاعدة تنسحب على المشهد الثقافي العربي إجمالاً، أو توظيفها دعائيًا للإساءة للمثقف العربي واعتباره «داعية موت» يؤسس لـ «ثقافة الانتحار»، ومن ثم فإن صناعة الموت أو ثقافة الانتحار لا يمكن أن تكون سليلة الثقافة الإسلامية، التي تدين الانتحار، وتجعله في منزلة الكفر، وتعلي من قيمة الحياة، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: ٣٢).

غير أنّه في السّنوات الأخيرة تسلّل هذا المصطلح بلفظه ومعناه إلى العالم العربي والإسلامي، وأصبح في دائرة الضوء بفعل الانزلاق الإعلامي الذي عمل علي تضخيمه وأنزله منزلة «الظاهرة»، وهو الاتجاه الذي كان متزامنًا مع حروب الغرب في أفغانستان والعراق والشيشان، والانتفاضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة مع عدم التفريق بين العمليات الانتحارية والاستشهادية لأبعاد سياسية بحتة.

وتزايدت نسب الانتحار في العالم العربي خلال الفترة الأخيرة بشكل يدعو إلى القلق بعد أنْ كانت هذه الظاهرة متفشية أكثر في الدول الغربية وفقًا لبحث أجراه الدكتور «جوس مانويل» والباحثة «أليساندرا فليشمان» عام ٢٠٠٢م وهو جزء من الدراسة المتعلقة بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار، وموثق بمراجع الأمم المتحدة (A global perspective in theepidemiology of suicide): يقولان فيه «إنّ نسبة الانتحار في الدول

عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر - مصر



أعلى نسبة انتحار بين الملحدين ثم البوذيين ثم النصارى ثم الهندوس وأخيرًا المسلمين



الإسلامية تكاد تقترب من الصفر، وسبب ذلك أنّ الدين الإسلامي يحرم الانتحار بشدة. كما ذكروا في بحثهما أنّ أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين، ثم البوذيين ثم النصارى ثم الهندوس وأخيرًا المسلمين (٤).

المؤشر البياني

ولكن المؤشر البياني لعدد المنتحرين في العالم العربي يدل على ارتفاع النسبة في السنوات الأخيرة، ففي الأردن مثلا نجد ٤٠ حالة انتحار و٤٠٠ محاولة سنويا، وفي المغرب ٣ ملايين مغربي يريدون الموت.. أغلب الحالات مصابة بالاكتئاب وفصام الشخصية، وفي مصر تشير الأرقام إلى ما بين ٧٥٠ إلى ١٢٠٠ حادثة انتحار تقع كل عام نسبتها العظمى من الشباب، وفي اليمن بلغت حالات ومحاولات الانتحار ٨٢٥ حالة بينها ٦٥٥ حالة انتحار عام ٢٠٠٢م، وفي السعودية حسب بلاغ وزارة الداخلية فقد وصلت حالات ومحاولة الانتحار إلى ٧٠٠ حالة، وفي الكويت ارتفعت حالات ومحاولات الانتحار من ٢٧ حالة عام ١٩٩١ إلى المئات بعد عام ٢٠٠٢م، وفي الجزائر وصل العدد الإجمالي عام ٢٠٠٨ إلى ٣٣ حالة انتحار و٤٨ محاولة وفق إحصاءات للشرطة الجزائرية، وفي تونس حسب دراسة- فإنّ نسب الانتحار ارتفعت بشكل مهول إذْ تُقدّر بواحد في الألف سنويًا أي حوالي عشرة آلاف تونسي يحاولون الانتحار كل عام..(٥)

والواقع أنّ وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية دأبت على نشر أخبار الجريمة بمختلف أنواعها والترويج لها بل تخصّصت وسائل بعينها في هذا المجال فأسهمت بشكل كبير في تفتيح عقول الناس على خبايا الإجرام وتعليمهم المخفي من فنونه دون الشعور بأدني مسؤولية بحجم ما تقترفه من خطورة على الأسرة والمجتمع، متناسية تحذير المولى تبارك وتعالى من هذا السبيل غير مبالية بعقابه في الدنيا والآخرة حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (النور: ١٧).

ويمكن القول إنّ وسائل الإعلام أسهمت في انتشار ظاهرة الانتحار من خلال مسارين هما:

المسارُ الأوّلُ: مباشر، ويتمثل في الشحن الإعلامي من خلال التغطية الإعلامية غير المسؤولة لكثير من حالات الانتحار وتسليط الضوء عليها ناقلًا ومروجًا دون تقديم أية حلول أو طرح المحاذير الدينية والأخلاقية لهذا العمل البغيض فحوّلها إلى مشكلة مستعصية مما أدّى إلى تعزيز هذا السلوك الاستعراضي، بل إنّ بعض هذه التغطيات كانت متعاطفة مع محاولي الانتحار فسعت إلى تحقيق مطالب البعض منهم بإجراء المقابلات معهم وكأنهم أبطال وإنْ كان الأمر فقط لمجرد الظهور فقط، بينما أضفت على بعض المنتحرين صفات الزعامة ومنقذي الأوطان والشعوب فدعمت لدى الآخرين سلوك هذا الطريق.

البوعزيزي

ومن أمثلة ذلك حالة البائع المتجول محمد البوعزيزي الذي أضرم النار في نفسه يوم ١٧ ديسمبر٢٠١٠ أمام مقرّ محافظة سيدي بوزيد وسط تونس بعد أنْ رفض مسؤولون بالمحافظة مقابلته حيث وصفته وسائل الإعلام بأنّه رمز الانتفاضة التونسية ومفجر ثورات الربيع العربي، وأكثر من ذلك هلّل الإعلام للفنانة التونسية لطيفة العرفاوي التي قررت تسمية ابن شقيقها «البوعزيزي» لأسباب شخصية بحتة ردًا على اتهامها بعدم تأييد الثورة رغم أنّ ذلك يُعدُّ تخليدًا وتشجيعًا للانتحار، مما أدى إلى ظهور حالات انتحار كثيرة في الوطن العربي وبخاصة في المغرب والجزائر وموريتانيا ومصر وغيرها تقليدًا لـ «البوعزيزي»!

كما أصبحت الشبكة العنكبوتية فضاءً خطيرًا لتكريس الانتحار بين الناس وبخاصة قطاع الشباب فهم يدخلون إلى عالمهم من نافذة الإنترنت، يقنعونهم بـ «أن الموت آت لا محالة، فما الضرر إنْ قررت أنْ تقتل نفسك بنفسك فتنهي حياة ستنتهي بكل الأحوال»، وقد شكّل اكتشاف مواقع إليكترونية أميركية



ويابانية وهولندية وغيرها تدعوا للانتحار هزةً في الوسط الإعلامي العالمي نظرًا لانتشار هذه المواقع في وسط المراهقين المشوشين ولتجاوب البعض مع هذه الدعوات بإنهاء حياتهم عبر اتباع النصائح المنشورة في الموقع، وأعلنت حملة بريطانية لإغلاق مواقع ذات رسالة انتحارية عن إغلاق ٢٩ موقعًا منذ عام ٢٠٠١ راح ضحيتها العديد من الشباب(٦). ويتم هذا من خلال هيئات وجماعات تشكل ميثاقًا مع الموت وتكثر عادة في الولايات المتحدة الأميركية ومنها: طائفة الوصايا العشر، جماعة القس «جيم جونز» وطائفة معبد الشمس وغيرها(٧).

المسلسلات المدبلجة

المسار الآخر: غير مباشر، ويكمن في الشحن الإعلامي الذي يقوم على تكريس العنف بمختلف صوره وأشكاله، وتمجيد الإباحية والعري تحت ستار الحرية المزيفة بجانب حالات الاحتقان السّياسي في الوطن العربي والتي سبقتها حروب عسكرية نقل الإعلام مشاهدها دون تفريق فتركت آثارها النفسية على قطاعات كبيرة من شعوب المنطقة. كما أنّ كثيرًا من وسائل الإعلام تتعرض للمشكلات التي يعاني منها الناس بمعالجة غير مسؤولة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحوّلتها إلى غول يدمر اليابس والأخضر وجعلتها مشكلات مستعصية على الحل دون تقديم أية حلول بديلة وما أكثرها.

لقد أدت تأثيرات العولمة والضخ الإعلامي للوسائل التقليدية والجديدة إلى ضغوط جبارة على الناس وبخاصة الذين يعانون من ضعف الوازع الديني وبالتالي انتشار مثل هذه الظاهرة السلبية وغيرها متمثلة في الأفلام والمسلسلات الأجنبية، فعلى سبيل المثال نجد أنّ أبطال المسلسلات التركية المدبلجة أصبحوا الشغل الشاغل أخيرًا للكثير من متابعي الشاشة الصغيرة، لاسيما من الشباب، لمعرفة ما سيحدث لأبطالها على شاشات الفضائيات العربية، وتحولت شخصيات مثل نور إلى مهند إلى ميرنا وبانه وخليل وعاصي، والعشق الممنوع ودموع الورد وسنوات الضياع ويبقى الحب وتمضي الأيام وغيرها من الأعمال الدرامية ذات جاذبية كبيرة بالنسبة لهم، وهو أمر أدى إلى ارتفاع غير مسبوق في حالات الانتحار (٨).

إنّ المسؤولية الاجتماعية للإعلام إنما تعني: ذلك الدور المتكامل الذي يقوم به في مواجهة المشكلات الاجتماعية والمساعدة على التغلب عليها في المجالات المختلفة من منطلق التزام اجتماعي وأخلاقي نحو المجتمع في إطار الصالح العام، بحيث لا تُسبّبُ مخرجات العملية الإعلامية ضررًا يمس بناء المجتمع أو عقيدته أو قيمه الأصيلة. فقد جاءت الشريعة لحفظ الضرورات الخمس: العقل والنفس والدين والعرض والمال، وحرستها بمجموعة من القواعد والحدود، ولم تغفل كل مستويات الأمن اجتماعيًا وقوميًا ووطنيًا وفرديًا وجعلت مقومات الأمن القومي الأساس لإقامة الدين فرتبت على صلاح الدنيا بالأمن صلاح الدين وليس العكس وذلك لإقرار الأمن الذي به تصلح الأرض ويحيا الناس(٩).

تحريم الانتحار

فالله سبحانه وتعالى حرم الانتحار أو المساس بالنفس أيًا كانت درجته قال تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما. ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك على الله يسيرًا﴾ (النساء: ٢٩-٣٠) ، وقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا، فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» (رواه مسلم) ومن ثم يجب المراقبة الفاعلة لوسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية والفضائيات التي تطلق مسلسلات وبرامج تشجع على الانتحار ومحاولات تطويقها قضائيًا وإعلاميًا وضرورة متابعة الأسرة لأبنائها وما يشاهدون من مواد إعلامية دفعت في كثير من الأحيان المراهقين لقتل أنفسهم تقليدًا لما يرونه في الأفلام مع أهمية وضع ميثاق شرف للإعلام في العالم العربي والإسلامي يقوم على أسس دينية وليست سياسية لحماية المجتمع.

الهوامش

(١)- محمود سلطان، الانتحار في العالم الإسلامي.. ثقافة أم خرافة؟ متوفر في:
http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-43-12954.htm
(الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٣١ الموافق ١٩ مارس ٢٠١٠).

(٢) - المرجع السابق.

(٣) - جريدة النهار اللبنانية، أوّل ديسمبر عام ٢٠٠٧م.

(٤)- رجع الباحث إلى
http://www.med.uio.no/iasp/files/papers/Bertolote.pd-
منتديات حراس العقيدة: ١٠-٢٢-٢٠١٠
http://www.iasp.info/pdf/papers/Bertolote.pdf

(٥) - عادل غاسق، لماذا ارتفعت نسبة الانتحار في العالم العربي؟!، موقع نبأ نيوز، الأربعاء، ١٤أكتوبر٢٠٠٩ متوفر:
http://www./٢٠٠٩/٢١٥٠٠html nabanews.net

(٦)- الانتحار عبر الانترنت.. مقبرة الأبناء وكابوس الآباء، تاريخ النشر: ٢٠١١/١٢/٢٥ متوفر:
http://www.algamal.net/=٢٦٠٣ articles/details.aspx؟id

(٧) - أوزجان يشار، طقوس وتنوع الانتحار عبر التاريخ، منشور في موقع عشتار، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، متوفر:
http://hayatnafs.com/suicideinhistory.htm ٨ar٢to__lak/

(٨) - تقرير منشور في موقع (حياتنا النفسية)، متوفر:
http://www.hayatnafs.com/kadaya__nafsia__ijtema٣ia/on-suicide.htm

(٩) المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية لوسائل الإعلام جدار منيع ضد الفتن والتفكك والفساد وتحقق الأمن الاجتماعي والازدهار، موقع جريدة السياسة الكويتية:
http://www.al-seyassah.com/AtricleView/tabid/٥٩/smid/٤٣٨/ArticleID/٧٤٦٩٢/Default.aspx



الانتحار.. والأمن النفسي

د. وصفي عاشور أبوزيد

لا يحتاج حكم الانتحار من الناحية الشرعية إلى كثير كلام، فحسبنا أن الله تعالى حرم ذلك مباشرة في القرآن الكريم فقال: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (النساء: ٢٩).

ولأن في قتل الإنسان نفسه كفرًا بقضاء الله؛ لأن الله هو الذي يحدد ميعاد ولادة كل شخص وميعاد وفاته، فبذلك يكون المنتحر وكأنه يريد تحديد ميعاد وفاته، وهذا ليس من حق المخلوق، ولكن من حق الخالق وحده.

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة» (رواه البخاري ومسلم).

وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة» (رواه البخاري ومسلم).

فهذه نصوص شرعية شريفة من القرآن والسنة لا تترك احتمالا أو وجهًا لرأي آخر يقضي بجواز هذا التصرف العجيب تحت أي ظرف ولأي سبب كان.

المؤمن الحق لا ينتحر أبدًا

إن المؤمن الذي آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، لا يمكن أبدًا أن يقدم على إنهاء حياته لسبب دنيوي مثل ضيق ذات اليد، أو ضائقة يمر بها، أو ظرف صعب يتلبس به، أو ظلم وقع عليه ونحو ذلك، وإنما يستطيع المؤمن أن يذكر أن له ربًّا فوق الأسباب؛ يستريح إلى معونته، أما غير المؤمن فليس أمامه سوى اليأس؛ ولذلك نجد انتشار الانتحار بين غير المؤمنين؛ لأن هناك أحداثًا فوق أسبابهم، ولا يستطيعون دفعها، وليس لهم إيمان بربٍّ يرجعون إليه.

يقول العلامة محمد رشيد رضا: «ولذلك نرى بخع النفس (الانتحار) يكثر حيث يقل الإيمان، ويفشو الكفر والإلحاد، ومن فوائد الإيمان مدافعة المصائب والأكدار، فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر، فليس من شأنه أن يبخع نفسه حتى يُنهى عن ذلك نهيًا صريحًا».

الحضارات المادية ونصيبها من الروح

إن هناك بلادًا وصلت لأقصى ما يمكن أن تصل إليه الحضارة المادية، ولكنها فقيرة إلى الروح والنفس والأمن النفسي الداخلي الذي ينبعث من الإيمان الحق، والإسلام الصدق لله الكبير المتعال!

انظر مثلًا إلى بلد مثل السويد، وهي من أغنى دول العالم، ومع ذلك يكثر بها الجنون والشذوذ والعقد النفسية، ويكثر بها الانتحار نتيجة الضيق الذي يعانونه، مع أنهم أغنى وأعلى في مستوى دخل الفرد؛ فالمسألة- إذن- ليست حالة اقتصادية، إنما مسألة منهج لله تعالى غير مُطبق وغير معمول به، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤)؛ ولذلك لو عِشْنا بمنهج الله لوجدنا لذة العيش ولو مع الفقر.

يقول صاحب الظلال: «وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوروبي من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد». حيث الرخاء المادي والحضاري العجيب.. ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله؟ إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب.. ثم الانتحار.. والحال كهذا في أميركا.. والحال أشنع من هذا في روسيا.. إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة؛ فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة، ولينعموا فيه بالأمن والظل والراحة والقرار».

ويقول العلامة محمد أبوزهرة: «ولذا تجده يَكثُر الانتحار وبخع النفس عند المسرفين في المعاصي، والمسرفين على أنفسهم بقلقهم، وعدم اطمئنانهم، ومع ذلك يكون إحساسهم بسد الطرق في وجوههم».

الإيمان.. والأمن النفسي

إن المؤمن الذي يوقن بأن الله تعالى هو القوي، وهو الوهاب، وهو القادر، والقاهر فوق عباده، وهو المهيمن، وهو الذي يكفل للإنسان رزقه، ويضمن له مستقبله، تترسخ في نفسه عقيدة واضحة قوية متماسكة راسخة تحول بينه وبين أن يقدم على ما يغضب الله، أو يستعجل ما قسمه الله بمعصية الله، وإنما يطلب الأمور بقدر، ولا يتعجل ما عند الله بمعصيته؛ ولهذا فهو مطمئن دائمًا، هادئ البال أبدًا، واثق في قوة الله وقدرته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

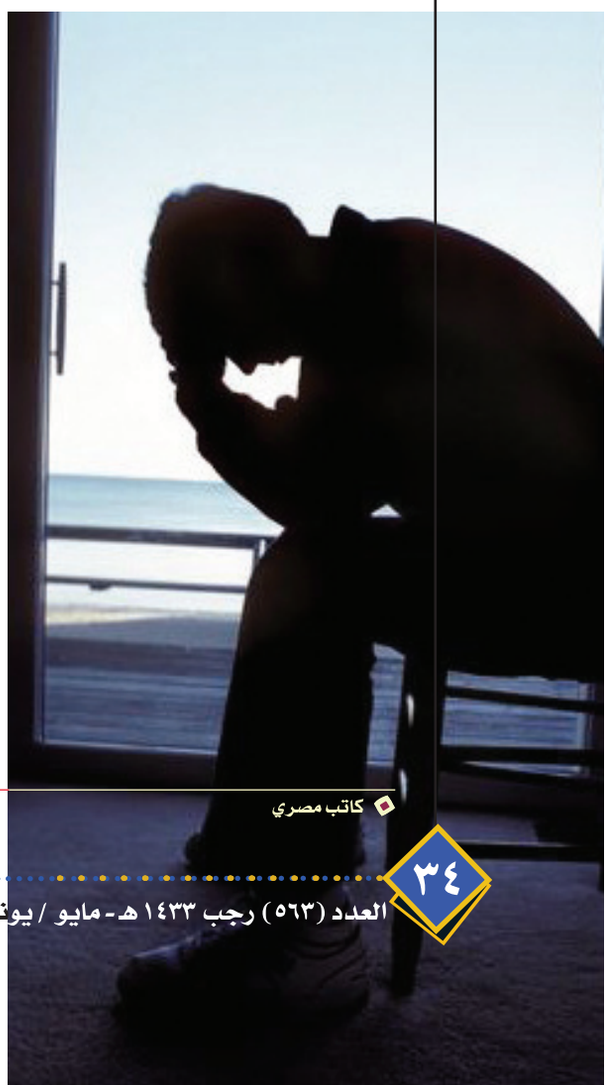
??????



صناعة الأمل.. ضمانُ فاعليةِ الأمة

السنوسي محمد السنوسي

اعتدنا فيما يتعلق بالأمور المادية وظواهر الكون أن نسمع كلمة «الصناعة»، وأن نتحدث كثيرًا عن أهمية الصناعة في التطور الحضاري وتوفير مستوى الرفاهية الذي يطمح إليه الكثيرون، بالإضافة إلى تقسيم الصناعات إلى صناعات ثقيلة، وأخرى متوسطة، وثالثة خفيفة.



كاتب مصري

كما درجت بعض الكتابات على تقسيم مراحل التاريخ التي مرت بها البشرية، من حيث العمران والتطور المادي، إلى المرحلة البدائية، ثم الزراعية، ثم الصناعية، ثم الدخول في عصر الذرة والفضاء والتكنولوجيا والتطور اللانهائي والمتسارع مما تشهده البشرية تقريبًا كل لحظة!

هذا كله نعرفه عن «الصناعة» في عالم المادة والأشياء.. لكننا على العكس من ذلك، قلّما نستخدم كلمة «الصناعة» في عالم القيم والمفاهيم والأخلاق والتربية؛ على الرغم من أن تدعيمَ هذا العالَم- الذي يسميه مالك بن نبي «عالم الأفكار»- وتفعيلَه والوصول به إلى درجة عالية من الحيوية والفاعلية للخروج من المأزق الحضاري، يحتاج إلى جهد وتخطيط ودراسات وبذل بما لا يقل أبدًا- بل ربما يزيد!- عما يحتاجه عالم الماديات الذي اختُص بالنصيب الأوفر من كلمة «الصناعة» بما تحويه من معاني التجويد والإتقان والتخطيط والمتابعة.

ونحن إذا تدبرنا القرآن الكريم، وجدناه يستخدم في دقة بالغة كلمة «الصناعة» في العالَمَيْن، عالم الأفكار والقيم والمفاهيم، وعالم الأشياء والمادة والخَلق الذي تتجلى فيه بدائع القدرة الإلهية.

ففي المقام الأول، يخاطب ربنا سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام ممتنًّا عليه، ومذكّرًا إياه بنعمه واصطفائه، بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩) وقوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١). فنحن هنا أمام حديث قرآني عن «صناعة» للإنسان، مع ملاحظة أن تلك «الصناعة» لم ترد عند الحديث عن الإنسان، مجرد إنسان، بل وردت فقط عند الحديث عن واحد من أولي العزم من الرسل والأنبياء، وهم الذين جعلهم الله سبحانه «النموذج الكامل» للإنسانية.. مما يدل على ارتباط «الصناعة» بالإنسانية في أفضل صورها وأجلّ صفاتها.

أما المقام الثاني، وهو عالم الخَلق والإبداع مما نشاهده كل لحظة، وننعم بخيراته وظلاله في نعم الله التي لا تعدُّ ولا تحصى، فقد وردت فيه آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله تعالى مخاطبًا نبيه نوحًا عليه السلام: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧).

ولاشك أن وُرود كلمة «صناعة» في معرض الامتنان ومخاطبة نبي كريم من أنبياء الله، وأيضًا عند الحديث عن آثار قدرة الله سبحانه في الكون؛ هو أمر له دلالته ومغزاه مما يحتاج



الأمل قاطرة تجر خلفها الجسد المثخن بالجراح.. واليأس قرين الكفر والضلال

لوقفة مفصلة ليس هذا موضعها، فقد أردت مجرد الإشارة إلى ارتباط لفظة «الصناعة» بعالم الأفكار والقيم والمفاهيم تمامًا كما ترتبط بعالم الأشياء والمادة والخَلق.

ونحن في هذا الظرف الدقيق من تاريخنا، ومحاولات استئناف الشهود الحضاري، واستعادة الفاعلية لأمتنا صاحبة الرسالة الخاتمة، وأمام تلك التحديات المتراكمة التي تواجهنا، لا نحتاج فحسب إلى الأمل، بل إلى أن يتحول الأمل- مع مجموعة أخرى من القيم والمفاهيم والأفكار- إلى «صناعة» راسخة وعميقة في حياتنا وتصوراتنا وسلوكاتنا، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، بحيث نستطيع الصمود أمام العقبات ونتخطاها، وبحيث نصنع من المحن منَحًا، ومن الألم أملًا، ومن دواعي التثبيط والهزيمة والتخذيل أسبابًا ودوافعَ للبقاء والصمود والنهوض والإبداع، واستئناف دورنا الحضاري والإنساني من جديد..

فـ«الأمل» هو من «الصناعات الثقيلة» المطلوب توافرها لمشروع النهضة، وهو بمنزلة «القاطرة» التي تجرُّ خلفها هذا الجسد المثخَن بالجراح، وتدفعه دفعًا لليقظة واستئناف المسيرة.

لماذا الأمل؟

إن الإنسان بلا أمل هو ريشة في مهب الريح، لا إرادة له ولا اختيار، يتحول إلى «شيء» ليس له من سبيل إلا ردة الفعل، ينتظر فعل الآخرين حتى يحدد لنفسه ما يمكن أن يتخذه من قرارات، وربما لا يقدر على اتخاذ أي قرار!!

هو- دون أمل- غير قادر على أخذ زمام المبادرة، وإثبات الذات، وتلبية طموحات النفس؛ فضلًا عن تحقيق حاجاتها الضرورية.

وبالتالي فإن أمةً دون أمل راسخ عند أبنائها، هي «قطيع» من البشر، يساق إلى هَلَكَته وحتفه ولا يملك دفعًا ولا نصرًا!! وهي حينئذ- كما جاء في الحديث الشريف- «غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ» (رواه أحمد).

ولن تتحول الأمة- أي أمة- إلى «غثاء» رغم كثرتها، إلا إذا فقدت فاعليتها، وأصبحت مجموعة أصفار مضافةً إلى أصفار.. وهل ثمة شيء يستطيع أن يشلّ فاعلية الإنسان مثل أن يحيا بلا أمل؟!

إن استحضار الأمل «الغائب»، كأنما هو «واقع» تراه العين وتلمسه اليد! واستئناس النفس بالفرج القريب، وبالفجر القادم خلف ظلمات الليل البهيم، هو طوق النجاة لها من تتابع الأزمات، وانسداد الأبواب، وتعقد المشكلات.. وهو كفيل- حين يبعث على استنفاد الأسباب- بأن يجعل الإنسان من داخله في طمأنينة ورضا وسكينة، وبأن تنفسح ذاته حتى تجد في تلك الطمأنينة والرضا والسكينة عوضًا عن ضنك الحياة وبؤس الواقع.

وهذا الأمل الذي ينبغي على المسلم أن يستحضره، لا ينبني فقط على الإمكانات المادية التي يملكها بالفعل أو يتوقع حدوثها بالظن، بل يتأسس بالدرجة الأولى على الإيمان بالله سبحانه والثقة التامة في قضائه وقدره الذي هو دائمًا- أيًّا كانت صورته الظاهرة- خير للإنسان.

لذلك لم يكن عجيبًا أن تقترن الصفة التي تضاد الأمل، وهي اليأس، بالضلال والكفر، والعياذ بالله، كما جاء في قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦) وفي قول نبي الله يعقوب عليه السلام وهو يخاطب أبناءه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

وفي المقابل، جاء في السنة النبوية ما يؤكد الارتباط الوثيق بين التحلي بالأمل وإحسان الظن وبين الإيمان بالله والثقة في قدره، ففي الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (رواه البخاري ومسلم) وفي بعض الروايات: «فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» (رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح)، وجاء أيضًا: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم). وقد ورد في الحكمة: تفاءلوا بالخير تجدوه.

تاريخنا.. يفيض بالأمل

قد يحلو للبعض ألا يرى في



مسيرة تاريخنا الإسلامي إلا متواليات من النكبات والعدوان والمؤامرات علينا من أعدائنا بشتى الوسائل ومختلف الطرق، بدءًا منذ أن جهر النبي ﷺ في مكة بالدعوة، إلى إسقاط الخلافة الإسلامية في أوائل القرن العشرين سنة ١٩٢٤م، ذلك الإسقاط الذي يعد الحدث الأبرز والأسوأ في تاريخنا المعاصر.. ليدلل بذلك على مدى الظلم الذي تعرض له الإسلام، وعلى قسوة التحديات التي عاناها المسلمون.

وقد أتفق مع وجهة النظر هذه، غير أني أستدرك وأقول: إنها لا تمثل إلا نصف الحقيقة على أحسن الأحوال! أما النصف الآخر- وربما الأهم- فهو أن أمتنا لم تستسلم أبدًا لتلك المؤامرات والنكبات، ولم ترفع الراية البيضاء قط، ولم تنسَ أنها صاحبة رسالة وإيمان ومبادئ كفيلة بأن تحرك طاقاتها من جديد.. يحدوها في ذلك إيمان وثيق بالله سبحانه، وأمل ثابت لا يتزحزح في وعده ونصره للعاملين.. فهو سبحانه القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، والقائل أيضًا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحشر: ٢١).

ومن أراد أن يقلب صفحات التاريخ، فليسأل «القرامطة» وما فعلوه سنة ٣١٧هـ بانتزاعهم الحجر الأسود ليبقى عندهم اثنتين وعشرين سنة.. أو ليسأل «الصليبيين» وما فعلوه من قتل وتخريب ببيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، حتى غاصت الخيول في الدماء.. أو ليسأل «التتار» حين دمروا بغداد بقيادة السفاح هولاكو سنة ٦٥٦هـ، وقتلوا خليفة المسلمين وآلاف الرجال والنساء والأطفال، ودمروا الكتب حتى تألف منها جسر في نهر دجلة يمرّ الناس عليه، وتغير لون الماء إلى السواد!!



ليسأل كلّ هؤلاء وغيرَهم: هل استكان المسلمون لنكبة حلّت بهم؟! هل يئسوا أمام تحدٍّ مهما كانت قسوته وعنفوانه؟! هل عرف قاموسهم الفكري والثقافي والسلوكي معنى «اليأس» يومًا ما؟!

إن نجاح المسلمين في تخطي تلك العقبات، واحدة تلو الأخرى، لهو شاهد صدقٍ على ما تحلّوا به من إيمان بالله، منحَهم الثقة فيما بين أيديهم من منهج سماوي، وفتحَ لهم أبوابًا واسعة من الأمل الدافع للعمل، وليس المفضي إلى التواكل والاستخفاف بالأسباب.

ومن هنا، فتجارب التاريخ تدلنا على أن أمتنا قد تمرض لكن لا تموت.. وقد تُهزم لكن لا تُسحق.. وقد يصيبها ما أصاب الأمم السابقة من الضعف والانكسار، غير أنها تظل الأقدر من غيرها على حشد الصفوف من جديد، وطيّ صفحة الهزيمة بسرعة لا نظير لها في تاريخ الأمم والحضارات الأخرى.

الأمل والفاعلية

إن ترسيخ «صناعة الأمل» بحيث تصبح جزءًا من كيان الفرد والمجتمع والأمة، ينعكس إيجابيًّا على الأفكار والسلوكات وجميع مناشط الحياة.. هذا الترسيخ يتطلب تكاتف جهود المفكرين والدعاة والعلماء والتربويين ومناهج التعليم ووسائل الإعلام، حتى يمكن إعادة صياغة الإنسان صياغة جديدة فاعلة، بعيدًا عن أجواء الهزيمة المكبّلة التي حاصرت الأجيال في القرون الأخيرة، وأشاعت ثقافة الفردية والأنانية واليأس والقنوط، والهروب من المسؤوليات وتحدي العقبات!!

وكما سبق فإن «صناعة الأمل» ترتبط بمجموعة من الأفكار والقيم، التي يتحول الإنسان بها ومعها إلى طاقة فاعلة إيجابية، تصنع التغيير وتتجاوز المثبطات، وتطمح إلى استكشاف المستقبل ولا تقع في إسَار الواقع، مهما كان ضاغطًا وثقيلًا ومكبلًا؛ فضلًا عن قدرة هذا الإنسان حينئذ على تجاوز الماضي بأخطائه وأحزانه.

• فصناعة الأمل تتأسس عند المسلم أول ما تتأسس، على الإيمان بالله سبحانه والرضا بقضائه وقدره، فهو سبحانه مالك الكون وما فيه ومَن فيه، وبيده مقاليد كل شيء، لا يشذ صغير أو كبير عن حكمه وسلطانه، كل الأمور

تبدأ من عنده وتنتهي إليه، وهي ما بين البداية والنهاية تجري على قدَره وإرادته ووفق مشيئته وحكمته.

فإذا اعتقد المسلم ذلك اعتقادًا جازمًا، وأدركه إدراكًا لا يخالطه شك ولا ريبة، فهل يمكن أن يتسرب إليه يأس أو قنوط؟! وهل يفارقه الأمل لحظة واحدة؟!

• ومن ثم، فإن «صناعة الأمل» يؤدي التحققُ بها إلى بناء النفس السوية غير المتشائمة اليائسة المحبطة، وإلى تكوين الشخصية الفاعلة في الحياة، التي تأخذ بزمام المبادرة ولا تستكين.

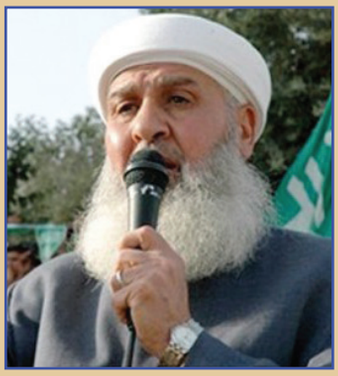
• و«الأمل» هو الذي يدفع إلى توظيف الإمكانات المتاحة- مهما قلّت- لتخطي العقبات وتجاوز المحن، فلولا الأمل، لما وُجد الدافع الذي يحدو الإنسان على الطريق، رغم أنه قد يبدأ من الصفر.. فالإمكانات المادية لم تكن أبدًا هي العائق أمام الإنسان صاحب الأمل والإرادة، وكما قيل: لا يَعدم صاحبُ الغاية وسيلةً. المهم أن يتوافر الإنسانُ صاحب الإرادة القوية، والهدف الواضح، والأمل الثابت، ثم بعد ذلك يبقى إدراك الهدف مسألة وقت لا غير!

• وبإيجاز، نستطيع أن نقول: إن «صناعة الأمل» هي «كلمة السر» في ضمان استمرارية فاعلية الأمة الإسلامية- بل وأي أمة- وعدم انزلاقها إلى مستنقع «الانتحار الحضاري»، أو الركون والموات.

وإن «صناعة الأمل» يحتاجها الفرد كما تحتاجها الأمة، وهي ضرورية حال الهزيمة لنصحو وننهض، مثلما هي ضرورية حال الانتصار لنحافظ على مواقعنا، ونصنع مزيدًا من الفرص والنجاحات، ولا نصاب بالغرور والانكماش والجمود.

وفاة خطيب الأقصى.. الشيخ حامد البيتاوي

التحرير



فقدت الأمة الاسلامية خطيب الاقصى رئيس رابطة علماء فلسطين الشيخ حامد البيتاوي (٦٨ عاما) إثر تدهور في وضعه الصحي.

وكان الشيخ حامد البيتاوي قد نقل قبل فترة إلى مستشفى المقاصد بالقدس إثر تدهور حالته الصحية واحتياجه لعملية قلب مفتوح، حيث حاول السفر للخارج لتلقي العلاج لكن سلطات الاحتلال الصهيوني رفضت ذلك ومنعته من الخروج، كما رفض الشيخ نفسه تلقي العلاج بالمستشفيات الصهيونية، مما اضطرهم لإجراء العملية له بالمستشفى المذكور بالقدس وفق موقع الجزيرة نت.

وينحدر الشيخ حامد من قرية بيتا جنوب شرق نابلس شمال الضفة الغربية، ودرس فيها مراحله الدراسية الأولى عام ١٩٤٦، وتخرج في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية عام ١٩٦٨، ثم حصل على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، في كلية الشريعة بجامعة النجاح بنابلس عام ١٩٩١.

ثم عمل الشيخ في المحاكم الشرعية الفلسطينية، وتدرج بالعمل فيها إلى أن عُيّن قاضيا شرعيا لمحكمة الاستئناف الشرعية بالضفة الغربية، ثم عضوا بمجلس القضاء الأعلى.

ويسكن البيتاوي مدينة نابلس منذ عشرات السنين، ويُعتبر من كبار الدعاة الإسلاميين في فلسطين، لاسيما أنه عمل خطيبا للمسجد الأقصى لعدة سنوات، ورئيسا لرابطة علماء فلسطين.

غير أن سلطات الاحتلال كانت له بالمرصاد دوما، حيث أقدمت السلطات الصهيونية على فرض الإقامة الجبرية عليه عام ١٩٧٩، ومنعه من مغادرة مكان سكنه في نابلس لعدة سنوات ومنعته من السفر خارج الوطن.

كما اعتقلته عام ١٩٩٠ لمدة عام كامل قضاه في مختلف سجون الاحتلال، وأبعدته عام ١٩٩٢ إلى مرج الزهور في جنوب لبنان، مع ٤١٥ فلسطينيا بتهمة الانتماء لحركة حماس.

وأعاد الاحتلال اعتقاله عام ٢٠٠٧ إثر انتخابه عضوا في المجلس التشريعي عن كتلة التغيير والإصلاح عام ٢٠٠٦، وذلك ضمن حملة استهدفت غالبية نواب ووزراء ورؤساء البلديات والمجالس المحلية التابعة لقائمة التغيير والإصلاح في الضفة الغربية، حيث لا يزال يقبع إلى الآن قرابة ٢٧ نائبا تشريعيا في سجون الاحتلال.

كما اعتقلته السلطة الفلسطينية لعدة أشهر عام ١٩٩٨ لمعارضته المفاوضات مع الكيان الصهيوني.

وأصدر الشيخ البيتاوي عدة مؤلفات في حياته، منها الدينية ومنها السياسية، كان أهمها «سلسلة خطب داعية» و«ذكريات الإبعاد في مرج الزهور» و«رجال عرفتهم» و«اليهود»، و«المنافقون في القرآن الكريم» و«انتفاضة الأقصى».

حقائب طالب العلم

(منهج التأصيل الشرعي لطالب العلم)

أ.د. محمد بن علي باجابر

الحقائب العلمية هي حقائب تحتوي على منهج مقترح لطلاب العلم والراغبين فيه في هذا الزمان الذي شحت فيه المعاهد العلمية، وكثر فيه التخبط والعشوائية، وهي محاولة لإرشاد طلاب العلم إلى طريقة صحيحة لتحصيل العلم الشرعي، وتجنب الطرق الخاطئة في التحصيل، وهو جهد بشري قابل للتصويب والتحسين، نضعه بين أيدي الراغبين في طلب علوم الشريعة، ليكون لهم هاديًا ومرشدًا ودليلاً.

أولًا: أسباب إخراج الحقائب العلمية

إن الباعث على إخراج هذه الحقائب هو واقع حال كثير من طلاب العلم، وما يعانونه من عدم وجود منهجية وخطة علمية يسيرون عليها، وما ترتب على ذلك من آثار غير محمودة، فجاءت هذه الحقيبة كعلاج مقترح لحل هذه المشكلة أو الحد منها.

أ- واقع طلاب العلم

إن المتأمل في واقع طلاب العلم اليوم يلحظ بجلاء الواقع التالي:

١- عدم وجود المدارس الشرعية التي تقوم ببناء وتأسيس طالب العلم المتأصل في علوم الشريعة، وأما ما يوجد من معاهد علمية ونحوها فهي ليست متاحة لكل أحد، بل هي محصورة في عدد محدود ممن تنطبق عليهم شروط القبول في هذه المعاهد.

٢- وجود طلاب علم كثر راغبين في العلم الشرعي وحريصين على تحصيله، وتكوين أنفسهم تكوينًا علميًا صحيحًا، ويظهر ذلك جليًا من خلال أمور عدة:

منها: حرص الكثير من الطلاب على حضور الدروس والدورات الشرعية المقامة في المدن المختلفة، وسفر بعضهم إلى مدن بعيدة لحضور درس علمي أو دورة شرعية.

ومنها: إبداء كثير منهم الرغبة في طلب العلم الشرعي، وطلب إقامة بعض الدوس الشرعية في مناطقهم المختلفة.

ومنها: الإقبال الكبير على المكتبات التجارية لشراء الكتب الشرعية.

وهذا الإقبال ظاهر لكل من مارس تدريس علوم الشريعة في المساجد وغيرها.

الإخلال بالتدرج في الطلب أثمر عشوائية في المنهج وانتقائية مزاجية للدروس

٣- عدم وجود منهج علمي شامل متدرج، فقد نتج عن هذا الإقبال الشديد على طلب العلم مع عدم وجود المعاهد الشرعية التي تستوعب الجميع، وجود عشوائية في منهج الطلب عند هؤلاء الطلاب، وانتقائية في حضور الدروس وفي اختيار المشايخ، لعدم وجود منهج علمي متدرج يسير عليه الطالب الراغب في التحصيل.

ولذا فقد أصبح كثير من الطلاب يحضرون دروسًا علميةً وغيرُها أولى منها، أو يدرسون علومًا مبنية على معرفة علوم أخرى قبلها، أو يشرعون في دراسة بعض الكتب المطولة قبل الكتب المختصرة، وكل ذلك مبني على الرغبة الشخصية عند الطالب، أو الإعجاب بالشيخ المدرس، أو غير ذلك من أسباب.

ومثال ذلك: حضور بعض الطلاب دروسًا في كتب الحديث الستة، قبل أن يقرأ قبلها مختصرًا في الحديث وشيئًا في النحو أو الفقه.

أو يحضر درسًا في كتاب «كشاف القناع» في مذهب الإمام أحمد، أو «شرح المجموع» للإمام النووي الشافعي، قبل أن يدرس مختصرًا «كدليل الطالب» أو «متن أبي شجاع».

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة.

أو يشرع في دراسة «ألفية ابن مالك» في النحو قبل أن يعرف «الآجرومية» ونحوها، ويقاس على هذا.

خلاصة القضية

وتتلخص القضية في ثلاث مشكلات كبرى، يقع فيها الدارسون لعلوم الشريعة في طريقة الطلب، وهي:

١- الإخلال بالتدرج في اختيار العلم المطلوب درسه وإتقانه، وذلك بالبدء بعلوم المقاصد قبل علوم الآلة.

٢- الإخلال بالتدرج في اختيار الكتاب المقرر، وذلك بالبدء بالكتاب المطول قبل الكتاب المختصر.

٣- الإخلال بالتدرج في اختيار طريقة الشرح للكتاب المقرر، وذلك بحضور الدروس العلمية المشروحة من قبل المشايخ بطريقة مطولة، تناسب كبار طلاب العلم، ولا تناسبه لحاجته للشروح المختصرة.

٤- الإخلال بالشمولية لعلوم الآلة وعلوم المقاصد، والاقتصار على بعض العلوم مع الإهمال الكلي لعلوم أخرى.

ب- الآثار المترتبة

وقد نتج عن فقد المنهج العلمي للتحصيل عند كثير من الطلاب، والفوضى في اختيار الدروس والعلوم والكتب التي يدرسونها وهم غير مؤهلين لذلك، عدد من العيوب والسلبيات منها:

١- انقطاع كثير من الطلاب الراغبين في طلب العلم عن طلبه، بسبب فقد المنهجية وعدم التدرج في الطلب، وذلك حين يشرع الطالب من عند نفسه في دراسة الكتب المطولة قبل المختصرات، فيصعب عليه العلم، وينقطع عن طلبه، بعد أن يغلب عليه اليأس والإحباط، واعتقاد أن العلم صعب المنال، وحقيقة الأمر تكمن في عدم التدرج في الطلب.

٢- طول الزمن الذي يمكنه الطالب، وعظم الجهد الذي يبذله في التحصيل مع قلة الثمرة المجنية في مقابل هذا الزمن الطويل والجهد الكبير، وذلك بسبب فقد المنهجية، حيث يمضي الطالب وقتًا طويلًا، ويبذل جهدًا عظيمًا في دراسة كتاب مطول لم يحن أوانه بعد، ولو قرأ مختصرًا لكان أنفع له، أو يبذل ذلك في تعلم علم من علوم المقاصد كالفقه مثلًا، قبل علوم الآلة كالنحو، فتقل الاستفادة بسبب ترك التدرج، مع عظم الجهد المبذول في تعلم شيء وغيره أولى منه.

٣- ضعف التكوين العلمي عند طلاب العلم الذين يدرسون بغير منهجية، وذلك بسبب عدم معرفة الطالب بالعلوم المهمة التي يجب تقديمها وإتقانها، والاشغال بغيرها، بل قد يصل الأمر إلى إهمال بعض المواد المهمة بالكلية وعدم معرفتها، فضلًا عن إتقانها.

ومن صور ذلك الانشغال بعلم الفقه والتوسع في الخلاف والترجيح بين المذاهب والأقوال دون دراسة وإتقان لعلم أصول الفقه، الذي بقواعده يمكن الترجيح، أو معرفة بعلم الجرح والتعديل الذي به يتميز الصحيح من الضعيف، ويعرف المحفوظ من الشاذ، أو إدراك لعلوم اللغة العربية التي بها تفهم النصوص.

ولاشك أن هذا الحال ينبئ عن ضعف علمي، فإن العلوم مترابطة، يكمل بعضها بعضًا، والإخلال ببعضها يؤدي غالبًا إلى الإخلال بالبعض الآخر، ولذا يحتاج من هذا حاله إلى استكمال هذا النقص، لينتفع بهذا العلم وينفع الآخرين.

٤- ظهور فئة من أنصاف المتعلمين وتصدرهم للتعليم والإفتاء والتوجيه والأحكام في النوازل وعلى الأشخاص، واعتقاد أهليتهم للاجتهاد، وصدور بعض الفتاوى الشاذة والأقوال الباطلة، التي يترتب عليها خرق الإجماع، والجرأة على العلماء بتخطئتهم أو تفسيقهم أو تكفيرهم، وإثارة الفتن في المجتمعات، والتحريض عليها، ما قد يفضي إلى انتهاك الأعراض، ونهب الأموال، وسفك الدماء المعصومة، كل ذلك بسبب الجهل وقلة التحصيل مع اعتقاد الأهلية للاجتهاد، وكم سمعنا عجبًا: حين يتكلم الصغار في قضايا كبار لو عرضت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر رضي الله عنهم أجمعين.

ولو اشتغل هؤلاء بطلب العلم على وجهه لعلموا سوء البضاعة وقلتها، ولهابوا الكلام في العلم والجرأة على الفتوى.

٥- الخوف من انتقال المشكلة وسريان العدوى إلى الأجيال القادمة، فإن الإناء ينضح بما فيه، ويخشى أن تعم هذه الفوضى وتنتشر، ويظن الناس أنها هي الطريقة المثلى في التحصيل، وتصبح سنة متبعة في مستقبل الأيام، ما لم تعالج وتصحح في مهدها.

ج- العلاج المقترح

يمكن علاج هذه المشكلات بطرق عدة، ومن هذه الطرق:

١- الدروس الشرعية المنهجية

وذلك بإقامة دروس علمية منهجية لمدة سنوات، على غرار المعاهد الشرعية النظامية، تقام في كل مدينة في بعض مساجدها، يضع العلماء مناهجها، ويقررون كتبها، ويحددون مدرسيها، وينتظم طلابها، وتصرف لهم الشهادات العلمية من الجهة المنظمة (كوزارة الشؤون الإسلامية مثلًا).

وهو مقترح كبير يحتاج إلى دراسة وافية، وإعداد جيد، وميزانية مناسبة، ولذا جاء الاقتراح الأسهل والأقرب للتنفيذ والأقل كلفة وهو المقترح الآتي:

٢- المنهج العلمي المقترح (الحقائب العلمية)

وذلك بوضع مقترح لطلاب العلم يسيرون عليه، أو عدة مناهج علمية متقاربة تؤدي الغرض وتفي بالمقصود، بحيث يراعي هذا المنهج التدرج في طلب العلم، والشمول في دراسة العلوم، من خلال دراسة المتون العلمية في عدد من العلوم المهمة، التي تعين على تكوين طالب علم متأصل.

والمنهج العلمي المقترح هو منهج تقريبي، يُحددُ العلوم التي يجب دراستها ولا ويقبل إهمالها، ويقترح عددًا من الكتب المناسبة لكل علم، ولكل مستوى تعليمي، بحيث يعرف الطالب ما هي العلوم التي ينبغي عليه معرفتها، ولا يترك له الاجتهاد في تحديد منهجه العلمي بنفسه، أو بواسطة أقرانه، ويمكن تطبيق هذا المنهج من خلال ما يلي:

أ- أن يتردد الطالب على أهل العلم ليقرأ عليهم هذه العلوم، وفق هذا المنهج المقترح.

ب- كما يمكن تبني بعض أهل العلم لهذا المنهج أو نحوه، والقيام بتدريسه لطلابهم في المساجد وغيرها.

ومن المهم نشر هذا المفهوم بين الطلاب، وإشاعة هذه الثقافة المنهجية في طلب العلم بين طلابه، بحيث يعرف كل من أراد سبيل التعلم أنه ينبغي عليه أن يسير وفق منهج علمي وخطة مدروسة محكمة، توصله بإذن الله إلى مراده ومطلوبه، والبعد بهؤلاء المقبلين على العلم عن الفوضى الحاصلة في طريقة التلقي والطلب، وترك الاجتهاد في تحديد منهج التحصيل العلمي الذي لا يوصل إلى المطلوب، بل يوقع غالبًا في نقيضه.

ومن المعلوم أنه لا حرج في تعدد المناهج واختلاف الكتب المقررة ما دامت متقاربة، يحصل بها المطلوب ويؤدي من خلالها الغرض، حيث إنها وسائل اجتهادية وليست قطعية ملزمة.

ثانيًا: التعريف بالحقائب العلمية

فكرة الحقائب العلمية جاءت لاستكمال بعض النقص في الساحة العلمية، وليست هي الحل الأفضل والأكمل، لكنها إحدى الحلول الممكنة.

وتتلخص فكرة هذه الحقائب في عمل ثلاثة برامج علمية، لتكون على مستويات متدرجة، بحيث يوضع كل برنامج علمي في حقيبة مستقلة، تحتوي كل حقيبة على ما يلي:

١- بيان المستويات والمراحل العلمية.

٢- الخطة الدراسية لهذا المستوى.

٣- الكتب المقررة في هذا المستوى (في ملفات بصورة «وورد» أو «pdf».

٤- قراءة المتون العلمية صوتيًا.

٥- الشروح الصوتية للكتب المقررة.

٦- طريقة الدراسة والمراجعة لكل مادة في هذا المستوى.

٧- الأسئلة والتدريبات لبعض المواد بحسب الحاجة.

٨- المراجع العلمية لبعض المواد بحسب الحاجة.

وتفصيل ذلك في الآتي:

أ- محتويات الحقائب:

١- بيان المستويات والمراحل العلمية

تحتوي الحقائب على ثلاثة مستويات علمية، كل مستوى في حقيبة مستقلة، بحيث يتدرج الطالب من خلالها، فيبدأ بالمستوى الأول، ويدرس جميع موادها، ثم ينتقل إلى المستوى الثاني فيدرس جميع موادها، ثم ينتقل إلى المستوى الثالث كذلك، ولا ينتقل إلى مستوى قبل إتمام الذي قبله.

٢- الخطة الدراسية لهذا المستوى

تحتوي الحقيبة على منهج علمي وخطة دراسية متكاملة لكل مستوى، لكي يسير الطالب وفقها، بحيث لا يترك له الاجتهاد في اختيار المواد، والكتب التي يدرسها، والطريقة التي يدرس بها، وما يقدم من تلك المواد وما يؤخر منها.

وسيأتي تفصيل ذلك في المنهج العلمي والمقررات الدراسية.

٣- الكتب المقررة في هذا المستوى

تحتوي الحقيبة أيضًا على الكتب المقررة في الخطة الدراسية على صورة ملف «وورد» أو «pdf»، تيسيرًا على الطالب، وخشية من عدم توفر الكتاب في بلد الطالب.

وسيأتي بيان أسماء الكتب المقررة في المنهج العلمي والمقررات الدراسية.

٤- قراءة المتون العلمية صوتيًا

تحتوي الحقيبة على ملفات صوتية للمتون المقررة في الخطة الدراسية بحسب الاستطاعة والحاجة، ليتعلم الطالب القراءة الصحيحة للمتون، ولتيسير حفظها على الطلاب.

٥- الشروح الصوتية للكتب المقررة

تحتوي الحقيبة على شروح صوتية مقترحة للكتب المقررة في الخطة الدراسية، ماعدا الكتب التي وضعت

للاطلاع، والتي يطلب من الطالب قراءتها فقط، ولا تحتاج إلى شروح كالسيرة النبوية وغيرها.

٦- طريقة الدراسة والمراجعة لكل مادة في هذا المستوى

تحتوي الحقيبة على ملف لكل مادة يتضمن طريقة دراسة هذه المادة، وطريقة التحضير المسبق، والمراجعة.

٧- الأسئلة والتدريبات لبعض المواد بحسب الحاجة

تحتوي الحقيبة على ملف لكل مادة يتضمن اسئلة وتدريبات لبعض المواد، لحلها والتدريب عليها، لتعينه على فهم المادة والتمكن منها.

٨- المراجع العلمية لبعض المواد بحسب الحاجة

تحتوي الحقيبة على مراجع علمية للاستزادة والتوسع في بعض المواد، وهي على سبيل الاختيار لا الإلزام، وهي على صورة ملف «وورد» أو «pdf»، وهذه المراجع في بعض المواد وليس في جميعها، وذلك بحسب الحاجة.

ب- طريقة تنفيذ البرنامج العلمي بمستوياته:

١- التدرج في المستويات

يجب على الطالب مراعاة ترتيب المراحل الثلاث، فيبدأ بالمستوى الأول ويدرس جميع مواده مرتبة بحسب ترتيب الخطة العلمية، ثم ينتقل إلى المستوى الثاني فيدرس جميع مواده، ثم ينتقل إلى المستوى الثالث كذلك، ولا ينتقل إلى مستوى قبل إتمام الذي قبله.

٢- التدرج في المواد

يجب على الطالب مراعاة ترتيب المواد في كل مستوى بحسب ترتيبها في الخطة، فيبدأ بالمادة الأولى في الخطة ويدرسها كاملة، بحيث يتقنها

فقد منهج التحصيل أساس ضعف التكوين العلمي لطلاب العلم

جيدًا، ثم ينتقل إلى المادة الثانية فيدرسها كاملة بحيث يتقنها أيضًا، ثم ينتقل إلى المادة الثالثة كذلك، وهكذا حتى يأتي على جميع المواد، ولا ينتقل إلى مادة قبل إتقان المادة التي قبلها.

٣- عدم الجمع بين أكثر من مادة

لا يجمع الطالب بين مادتين سوى القرآن الكريم فقط، فيمكن الاستمرار فيه حفظًا ومراجعة مع دراسة بقية المواد بالترتيب الموجود في الخطة.

٤- المدة الزمنية لكل مادة ومستوى

١ مدة كل مادة أو مستوى يختلف بحسب قدرة الطالب وفراغه، فالعبرة بالفراغ من المادة وإتقانها في أي مدة كانت، ثم الفراغ من المستوى الأول كاملًا مع إتقانه في أي مدة كانت، وهكذا الأمر في المستوى الثاني والثالث، فالأصل في المدة الزمنية أنها مفتوحة وغير مقيدة بزمن معين، بل هي مقيدة بالفهم والإتقان للمادة العلمية.

٢- ومع ذلك فقد اقترحنا مدة زمنية لتنفيذ كل مادة ومستوى، وهو اقتراح يستأنس به الطالب وليس ملزمًا، بحيث يمكن أن ينفذ هذا البرنامج في هذه المدة المقترحة أو قريبًا منها.

وقد وضعنا هذه المدة المقترحة أمام كل مادة في الخطة العلمية، فلتراجع في مكانها.

ج- تنبيهات:

١- البرنامج هو وسيلة مقترحة لتحصيل العلم، وليس هو الوسيلة الوحيدة لذلك، بل هو إحدى الوسائل الاجتهادية المقترحة.

٢- كتب البرامج المقترحة

- الكتب المذكورة في البرنامج هي مجرد كتب مقترحة يمكن الاستعاضة عنها بكتب تقوم مقامها من قبل الشيخ المدرس.

٣- إمكان التنفيذ عبر المشايخ

- يمكن للطالب أن يسير على هذا المنهج من خلال التردد على المشايخ، والدراسة عليهم وفق هذا البرنامج أو ما شابهه من البرامج، ومع ملاحظة عدم التوسع في الشرح.

د- طريقة دراسة المادة

١- تحديد الجزء المقروء خلال فهرس المحتويات.

٢- قراءة الجزء المقرر من المتن.

٣- سماع هذا الجزء صوتيًا (إن وجد).

٤- حفظ هذا الجزء من المقرر (إن كان ضمن مقرر الحفظ).

٥- سماع الشرح الصوتي للمادة.

٦- كتابة التعليقات أثناء الشرح.

٧- مراجعة الدرس المشروح.

٨- حل الأسئلة والتمارين المتعلقة بالجزء المشروح.

٩- الاطلاع على مراجع المادة إن وجدت، وذلك بحسب الرغبة في الاستزادة.

هـ- حفظ المتون

وقد اقترحنا في هذا البرنامج متونًا للحفظ في عدد من المواد العلمية بحسب الحاجة، وهو اقتراح يستأنس به الطالب ويمكنه الزيادة عليه بحفظ مزيد من المتون الأخرى التي لم تقترح في البرنامج.

وقد وضعنا هذه المتون المقترح حفظها أمام كل مادة في الخطة العلمية، فلتراجع في مكانها.

ثمار ورد ذكرها في القرآن الكريم

درويش الشافعي

جاء في القرآن الكريم ذكر لعدد كبير من الأطعمة والثمار أمثال «التين، الزيتون، الأعناب، الرطب، الرمان، الموز (الطلح)، الثوم، البصل، القثاء، القرع، الزنجبيل...» وغيرها، وإذا كان القرآن الكريم قد خص بعض الأطعمة والثمار بالذكر المباشر أو غير المباشر ولم يذكر جميع الثمار المعروفة كلها، فإن ذلك يشير والله تعالى أعلم إلى وجود أسرار وحكم عظيمة فيها وإلى كثرة منافعها وفوائدها واستعمالاتها، ولما كان الله العليم قد كلف الإنسان بالتفكر والتأمل والتدبر في جميع مخلوقاته- من أصغر نملة إلى أكبر جبل وأكبر كوكب بدليل قول الله تعالى (أفلا يتفكرون، أفلا ينظرون، أفلا يعقلون...)، فعلى الإنسان تنفيذ أمر الله، والعمل بجد وإخلاص لاكتشاف أسرار هذا الكون الشاسع ومخلوقاته الحية وغير الحية، لما ينجم عن ذلك من ترسيخ للإيمان بالله وحكمته وقدرته، ثم من فوائد تعود عليه في حياته وتدبير معاشه، ولله في خلقه شؤون وهو يعلم وأنتم لا تعلمون.

وفي هذا المقال سنلقي الضوء على بعض الثمار التي خصها القرآن العظيم بالذكر المباشر لا من أجل الحث على تناولها فحسب، بل من اجل تشجيع الباحثين والمختصين على إجراء الأبحاث والدراسات لاكتشاف المزيد من فوائدها الطبية والغذائية.

١-الزنجبيل:

الزنجبيل Ginger نبات عشبي طبي له ريزومات ضخمة تحتوي على العديد من المواد الفاعلة من أهمها: السينول، اليلاندرين، السيترول، واليورنيول، والأصماغ، والراتنجات الدهنية، وزيت طيار يسمى الجنجرول المسؤول عن رائحة الزنجبيل العطرية، كما يحتوي على راتنج غير طيار يسمى الجنجرين المسؤول عن الطعم الحاد اللاذع للزنجبيل.

جاء ذكر للزنجبيل في القرآن الكريم في سورة الإنسان، يقول الله تعالى ﴿ويسقون فيها كأسًا كان مزاجها زنجبيلا﴾ وقوله تعالى ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا﴾.

وفي الحديث النبوي الشريف، فقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ملك الروم أهدى رسول الله ﷺ جرة زنجبيل فأطعم كل إنسان قطعة وأطعمني قطعة.

المنافع العلاجية والوقائية للزنجبيل

الجهاز الهضمي:

يخفف الزنجبيل تشنجات القولون ويفتح انسداد القناة المرارية ويمنع الغثيان والتقيؤ ويحفز إفراز اللعاب ويساعد في عملية هضم الأطعمة الدسمة ويلين البطن تليناً لطيفاً، ويفتح الشهية لتناول الطعام ويقاوم جراثيم تسوس الأسنان ويقوي اللثة، ولهذا جرى تركيب معاجين أسنان تحتوي على خلاصة الزنجبيل.

الجهاز الدوري (القلب والأوعية الدموية):

يقلل الزنجبيل مستوى الكولسترول في الدم ويمنع أكسدة وترسب الكولسترول منخفض الكثافة (LDL) على جدران الأوعية الدموية مما يسهم في منع تصلب الشرايين.

الجهاز التنفسي:

يعمل الزنجبيل على طرد البلغم ويخفف حدة السعال ويقاوم نزلات البرد والتهابات الجهاز التنفسي.

الجهاز التناسلي:

تستعمل السيدات في الصين واليابان منقوع الزنجبيل لتخفيف الآلام التي تسبق الدورة الشهرية وذلك لأن الزنجبيل ينشط إفراز هرمونات المبايض ويزيل الرطوبات من الرحم كما يعمل على زيادة الرغبة الجنسية لدى الجنسين.

البواسير ودوالي الساقين:

يكثر الصينيون من تناول منقوع الزنجبيل مع الحليب كعادة متوارثة، وقد تبين بأن هذا المزيج يمنع ظهور البواسير ودوالي الساقين، أما إكثار الصينيين من تناول الزنجبيل مع الثوم فإن ذلك يشجع على تصنيع وإفراز الكورتيزون الضروري للعديد من العمليات الحيوية خصوصًا منع انفلات واندفاع جهاز المناعة، مما ينتج عنه الإصابة ببعض الأمراض الروماتزمية، كما يُسهم الكورتيزون في تأخير ظهور أعراض الشيخوخة.

طرق استعمال الزنجبيل:

يوجد الزنجبيل في الأسواق بثلاثة أشكال

١-الجذور الغضة:

باحث أردني

تقطع الجذور إلى قطع صغيرة بمقدار (٥-١٠) جرام وتوضع في ربع لتر من الماء المغلي ويترك مدة ثلاثين دقيقة.

٢- مسحوق الزنجبيل(بودرة):

توضع ملعقتان صغيرتان في كوب من الماء حتى درجة الغليان ويترك مدة عشرين دقيقة.

٣- الزنجبيل المجفف:

يصعب التعامل مع قطع الزنجبيل الجافة حيث يتطلب استخلاص المواد الفاعلة الموجودة فيها إلى غلي مدة ربع ساعة على الأقل، ومن المعروف أن الأعشاب الطبية تفقد الكثير من مكوناتها بفعل الحرارة، ولكن في حالة عدم توفر الزنجبيل الغض أو الزنجبيل المسحوق فيتم وضع ١٥ جرام من قطع الزنجبيل المجفف للماء المغلي ويترك ليغلي في إناء مغلق مدة عشرين دقيقة ويصبح جاهزاً للاستعمال بعد مضي ساعة.

كبسولات الزنجبيل:

نظراً لأهمية ودور الزنجبيل في الوقاية من العديد من الأمراض وقدرته على وقف دوار البحر وتقيؤ السيدات الحوامل في الأشهر الأولى من الحمل، فقد قامت بعض مصانع الأدوية بتعبئة مسحوق الزنجبيل في كبسولات سعة (٦٠٠) مليجرام تؤخذ بواقع ثلاث كبسولات يوميًا.

ومن الطبيعي أن يستعمل الزنجبيل في تجهيز العديد من أطباق الطعام مثله في ذلك مثل البهارات المختلفة، فمذاقه اللاذع ورائحته الطيبة تجعله مناسبًا مع البيض المقلي والبندورة المقلية مع الثوم واللحم والدجاج



المشوي وغيرها من المأكولات.

كما يستعمل مسحوق الزنجبيل لإزالة النمش حيث يخلط مسحوق الزنجبيل مع مسحوق المحلب ويضاف إليهما زيت الزيتون فينتج مرهم يُدهن به مكان تواجد النمش عدة مرات في اليوم.

٢ - القرع الأصفر: pumpkin

نبات زاحف له ساق ضعيفة وأوراق عريضة وثمار صفراء ضخمة ينتمي إلى عائلة القرعيات cucurbitaceae التي تضم حوالي ٦٤٠ نوعًا، ومن أمثلتها اليقطين والبطيخ والشمام والخيار والكوسى والقثاء وغيرها، كما تنتمي إلى هذه العائلة أنواع سامة مثل الحنضل التي تستعمل بحذر لعلاج بعض الأمراض تحت إشراف المختصين، وقد جاء ذكر للقرع واليقطين في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي الآية ١٤٦من سورة الصافات قال تعالى ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾، واليقطين في اللغة هو الدباء والقرع والبطيخ وكل نبات لا يقوم على ساق، وسنرى فيما بعد الحكمة الإلهية من إنبات اليقطين على سيدنا يونس عليه السلام بعد أن قذفه الحوت إلى شاطئ البحر.

أما رسول الله ﷺ فقد أوصى بتناول القرع بقوله «عليكم بتناول القرع فإنه يقوي العقل».

القيمة الغذائية للقرع:

تتميز ثمار القرع باحتوائها على معظم العناصر المغذية بكميات جيدة مثل الفيتامينات (ب١، ب٢، ب٣، ج) والكاروتين الذي يتحول في الكبد إلى فيتامين (أ)، كما يحتوي على السكريات بنسبة ١١٪ وأحماض أمينية ومقادير قليلة من الدهون. وتعد الثمار مصدراً مهماً للعناصر المعدنية مثل الكالسيوم والبوتاسيوم، أما البذور فهي غنية بالدهون والأحماض الدهنية غير المشبعة مثل حمض الأوليك وحمض اللينوليك كما تحتوي على الزنك والكالسيوم والفلور والبوتاسيوم. وتستخلص مصانع الأدوية فيتامين (هـ) المتوفر بكميات كبيرة في البذور لتصنيعه وتعبئته على شكل أقراص وكبسولات دوائية. وتحتوي البذور أيضاً على بروتينات وأحماض أمينية لها خواص طبية فريدة.

أهمية القرع الطبية: يكاد لا يخلو جزء من النبات من الفوائد العلاجية التي عرفها الناس بغريزتهم تارة، وبخبرتهم تارة أخرى، ومع تطور وسائل العلم والبحث تبينت فوائد طبية جديدة للقرع لعل من أهمها ما يلي:

أولا: البذور

تحتوي البذور على حمض أميني يسمى الكوكوربيتين cucurbitin المسمى كيميائيا :-

-٣-amino

-٣-carboxypyrrolidine (-) الذي يحدث شللا كاملا للديدان الطفيلية خصوصاً الدودة الشريطية.

ويفيد مستحلب بذور القرع أيضاً

في معالجة أمراض واضطرابات الجهاز البولي، فقد ذكرت المجلة البريطانية لأمراض الجهاز البولي الصادرة في كانون أول عام ١٩٩٠ أن إحدى الدراسات تناولت ثلاثة وخمسين مريضا يعانون من تضخم البروستات والسلس البولي وعدم تفريغ المثانة وقد تمت معالجتهم بمستحلب بذور القرع. و لم تظهر لدى هؤلاء المرضى أية أعراض جانبية، كما تفيد بذور القرع في إخراج البلغم من الجهاز التنفسي ووقف السعال ونزف البواسير ومعالجة الأمراض الناتجة عن نقص الزنك والسلنيوم وفقر الدم الناشئ عن سوء التغذية.

وبعد أن تزايد اهتمام الأوساط الطبية ببذور القرع سارع معهد العلوم الزراعية في مقاطعة قانيو شمال غربي الصين إلى زراعة صنف من القرع الأصفر له بذور بلا قشور دون أن يحدث ذلك أي تغيير في قيمتها الغذائية أو الطبية، مما سهل استخلاص الزيوت والمواد الفاعلة منها لتعبئتها في كبسولات صيدلانية سهلة الاستعمال.

ثانياً: الثمار (لب القرع)

تحتوي ثمرة القرع على كمية كبيرة من البيتاكاروتين، والفيتوسترول المضادة للأكسدة Antioxidant وعلى عدد من المواد الفاعلة مثل البيوتيزيد والكوربيسين واللوسبن والسترولين والتيروزين، ومع أن الثمار والبذور تشترك في بعض الخواص الطبية إلا أن الثمار تمتلك ميزات إضافية من أهمها ما يلي:

تخفيف آلام الروماتيزم ومقاومة التهاب الأمعاء والمعدة وتسكين آلام المثانة والمغص المعوي ومعالجة تضخم البروستات وتخفيض حرارة الجسم الناتجة عن الحميات، وإزالة التوتر والأرق، وقد اكتشف أخيراً أن احتواء لب القرع على أنزيمات الببتيدات والأملاح القلوية يمنع ترسب الرمال

اللائي يعتمدن على زيت الزيتون في طعامهم أقل إصابة بسرطان الثدي

وتشكل الحصى في الكلية وطرح الموجود منها، كما وجد أن لب القرع يمنع تصلب الشرايين وتراكم الكولسترول في الأوعية الدموية، ويدر البول ويطرد الماء المتجمع تحت الجلد(الاوديما)، وهذا من شأنه تخفيف الأعباء عن القلب، ويفيد تناول القرع صيفا في إطفاء العطش وتبريد المعدة والأمعاء.

وورد في مجلة ارشف للأبحاث العلمية الصادرة في بريطانيا خلال خريف عام ١٩٩٢ أن لب القرع يساعد في تخفيف مستوى سكر الدم لدى الأرانب من خلال تنشيط إفراز الأنسولين، وجاء في مجلة ناجاتا Nagata العلمية أن لب القرع يستعمل في هاواي بنجاح تام لمعالجة الطفح الجلدي. ويقول الدكتور إبراهيم الراوي أخصائي الجراحة أن العلماء الألمان قد اكتشفوا مواد ومركبات في القرع تعمل على تنشيط الخلايا الدماغية، وتنمي التلافيف المخية المسؤولة عن الاستيعاب والحفظ، وعلى ضوء هذه الاكتشافات قرر المسؤولون التغذويون إضافة القرع إلى أغذية طلاب المدارس والعاملين في المجالات التي تتطلب مجهوداً ذهنيًا.

ثالثًا

أوراق القرع: تحتوي أوراق القرع على كميات كبيرة من الكالسيوم والنحاس والسكريات الدهنية والحديد والمغنيسيوم والفوسفوليبيدات والبروتين والزنك، وهي بذلك تصلح علفا للحيوانات، وتحتوي الأوراق أيضا على مواد ملطفة ومطهرة للجروح والحروق والرضوض كما تحتوي على مواد طاردة للذباب والحشرات المترممة، وهنا نستذكر قصة سيدنا يونس عليه السلام عندما لفظه الحوت إلى الشاطئ وكان جلده متقرحا ومتحللا بفعل الإنزيمات الهاضمة في بطن الحوت، فأنبت الله تعالى عليه شجرة اليقطين لتظله بأوراقها العريضة وتبعد عنه الحشرات، والله تعالى أعلم.

٣-زيت الزيتون:

ذكر الله تعالى الزيتون والزيت المستخلص منه في عدة سور مباركة مثل سورة النور، والنحل، والأنعام والتين وعبس وغيرها، وكان رسول الله ﷺ قد أوصى بتناول زيت الزيتون واستعماله لقوله «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

وعلى ضوء ما كشفته الأبحاث والدراسات عن فوائد زيت الزيتون نذكر ما يلي:

- تدعيم نمو الأطفال:

بين التحليل الكيميائي أن زيت الزيتون يعادل حليب الأم من حيث احتوائه على نسب متوازنة من حمض اللينوليك وحمض ألفا لينولنيك، ولهذين الحمضين أدوار حيوية على درجة عالية من الأهمية، إذ يؤدي نقصهما إلى تأخير النمو والعقم، وانحطاط في وظائف الكبد وتخلف عقلي وخمول في عمليات التحول والتمثيل الغذائي وزيادة القابلية للإصابة بالأمراض الالتهابية وغيرها، ولأن حليب البقر يحتوي على نسبة قليلة من هذين الحمضين لا تزيد عن ٢٪ فقد اقترح العلماء تغذية الأبقار بأوراق وثمار الزيتون لتعزيز محتوى الحليب من هذين الحمضين وسد حاجة الأطفال الرضع المعتمدين عليه في غذائهم.

- نمو العظام

وجد الباحثون أن أفضل نمو للعظام ومعدنتها يتم بوجود جلسيريدات الأليك المضاف إليها نسبة قليلة من الأحماض قليلة التشبع Poly-Unsaturated faty acids وهذا المزيج المتوازن لا يوجد إلا في حليب الأم وزيت الزيتون، وبالإضافة إلى ذلك يحتوي زيت الزيتون على كميات متوازنة من الفيتامينات المضادة للتأكسد وكذلك الفيتامينات الضرورية لنمو العظام وهي فيتامينات (A،D،E،C).

- منع هشاشة العظام:

كثيرًا ما يتعرض كبار السن خصوصًا السيدات إلى ظاهرة ترقرق العظام وهشاشتها بسبب نقص الهرمونات الجنسية (الإستروجين عند الإناث والتستسترون عند الرجال)، ويذكر الباحث (لا بال) بهذا الخصوص ان زيادة وتحسن تكلس العظام تتناسب طرداً مع كمية زيت الزيتون المتناول، وذلك بسبب احتواء زيت الزيتون على كميات وافرة من المواد الأولية اللازمة لبناء أنسجة العظام مثل الكالسيوم، كما يوفر زيت الزيتون مقادير مناسبة من فيتامين (D) الضروري لبناء هيكل العظام.

- الوقاية من أمراض الجهاز الدوري:

كانت أمراض القلب وتصلب الشرايين Atherosclersosis في الماضي القريب اقل بكثير مما هي عليه الآن، ومقتصرة في معظم الأحيان على كبار السن، أما اليوم فقد أصبحت هذه الأمراض شائعة عند كافة الأعمار، وتعتقد الأوساط الطبية بأن أسباب هذه الأمراض كثيرة ومعقدة أساسها القابلية الوراثية وتوفر عوامل أخرى مثل التدخين، وارتفاع ضغط الدم الشرياني ومرض السكري، وحبوب منع الحمل، والخمول والبدانة وارتفاع نسبة الدهون الثلاثية Tri-glyceride والكولسترول منخفض الكثافة Low density lipoprotein الذي يميل إلى التأكسد والترسب على بطانة الأوعية الدموية مسبباً تضيقها، وقد بينت الأبحاث أن أمراض الشرايين والقلب تزداد عند الشعوب التي تكثر من تناول الدهون الحيوانية والزيوت النباتية المهدرجة، بينما تنخفض نسبة حدوث هذه الأمراض عند الشعوب التي تعتمد على زيت الزيتون في غذائها، ويفسر الطبيب الباحث كيز في بحثه المسمى Seven countries study آلية عمل زيت الزيتون على أساس أن حمض الأوليك الموجود بكميات كبيرة في زيت الزيتون يُخفض كولسترول الدم ويمنع تراكم الصفيحات الدموية وتجمعها ويحافظ على ميوعة الدم، مما يمنع حدوث الجلطات الدموية، كما يلعب حمض ألفا - لينولنيك الدور ذاته.

وتتواجد في لب ثمار الزيتون مادة تسمى السكوالين Squalene التي تترسب مع مواد عديدة في قاع إناء الزيت، وهذه المادة تعمل على توسيع شرايين القلب مما يمنع حدوث جلطات دموية بإذن الله.

- الوقاية من السرطان

توجد في زيت الزيتون مواد أخرى لم يتم الكشف عن هويتها ودورها بشكل كامل حتى الآن إلا أنها تفيد في الوقاية من بعض الأمراض مثل سرطان الثدي، وقد بينت الدراسات الأولية والإحصائيات أن السيدات اللواتي يعتمدن على زيت الزيتون في غذائهن هن أقل إصابة بسرطان الثدي، وبهذا الخصوص يقول الدكتور ديمتريوس ترشوبولوس الباحث في كلية هارفارد للصحة العامة أنه توجد عناصر أخرى في زيت الزيتون تعمل على تثبيط نمو سرطان الثدي.

ولكن بعض الباحثين يعتقدون بأن أحماض زيت الزيتون (حمض الأوليك وحمض اللينوليك وحمض ألفا - لينولنيك) هي المسؤولة عن حماية المادة الوراثية الـ (D N A) من تأثير المواد المسرطنة.

بقي القول أنه إذا كنا قد تناولنا سالفًا عددًا من الثمار والأطعمة، ولم نتناول ثمارا وأطعمة أخرى جاء ذكرها في القرآن الكريم أيضًا، مثل الطلح (الموز)، التين، النخيل، الرمان، الأعناب، الحب، وكل الثمرات... فإن ذلك لا يعني قطعاً عدم احتوائها على فوائد عظيمة لصحة البشر وتغذيتهم، وإنما كان ذلك تجنباً للإطالة، وسنتعرض لهذه الثمار في مقالة أخرى إن بقي في العمر بقية.

المراجع:

١-أعمدة الصحة السبعة د .أيمن الحسيني(١٩٩٨م). مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٢- أغذية في مواجهة التلوث(٢٠٠٧) درويش مصطفى الشافعي. المجلة الثقافية. العدد (٧٠) أيار٢٠٠٧ الجامعة الأردنية- عمان - الأردن .
٣-الطب النبوي، ابن قيم الجوزية. إعداد المكتب العالمي للبحوث(١٩٩٨م). منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.
٤- التغذية الصحية للإنسان ر.ف موترام. ترجمة د.آمال السيد الشامي، د.منى عبدالقادر ١٩٨٥. الدار العربية للنشر والتوزيع- القاهرة.
٥-العلوم الطبيعية في القرآن الكريم. يوسف مروة (١٩٦٨). منشورات مروة العلمية.
٦- شفاء العليل في عجائب الزنجبيل. أبي الفدا محمد عارف. (١٩٩٧م). دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير. القاهرة.
٧- مضادات الأكسدة: اكتشاف جديد في مواجهة المرض. درويش مصطفى الشافعي.(٢٠٠٠م) مجلة القافلة، العدد الأول المجلد:التاسع والأربعون. بيروت.
٨-Global Herb Manual. (١٩٩٠). Zeke Fortiseven Global Health Ltd., Canada
٩- Internet Sites

المناظرات

التحرير

أول مناظرة جرت في العالم بين الملائكة- عليهم السلام- وإبليس- لعنه الله، لما طرده الله عن بابه.. ، فأمره مع جملة الملائكة بالسجود لآدم: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس...﴾.

فجمع اللعين ثلاث قواعد، قاعدتين لأهل العصيان والمخالفات، وقاعدة لأهل الكفر والضلالات، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، فالإباء والاستكبار هما قاعدتا أهل العصيان، تبعَ فيهما هواه بغير هداية، وكفر في الثالثة، حيث قام في مقام الاعتراض مجاهرًا، ولم يعقل الحقيقة في الأمر.

وخصَّ الله سبحانه الملائكة بالعلم، فعلموا أن المجد الذاتي والجمال ليسا إلا صفتين لذي العزة والجلال، وأن ذلك في حق المخلوق محال، وتحققوا أن العلم الأزلي والخبر الرباني لا تتطرق إليهما الأضداد، فلا يتصف القديم بصفة الحوادث، ولا الحوادث بصفة القديم، فافترق الحكمان عندهم لعلمهم، فخرُّوا له ساجدين كلهم، والتبس الأمر على اللعين لجهله، فبقي قائمًا وحده، منازعًا في صفة الربوبية، فعوقب بنقيض قصده، فطرد طرد الأبد، وسجل عليه بالشقوة الدائمة.

وتشعبت ضلالته إلى سبع في العقد، هي أصل أصناف الكفر والضلالات في سائر فرق الخلق في العالم إلى قيام الساعة، وإلى سبع في المعاملات، هي أصول المعاصي والمخالفات في الخلق أيضًا إلى قيام الساعة.

فالسبع التي في العقد هي:

الأولى: اعتقاد صفة الكمال الذاتي للمخلوق، حيث افتخر بأصله الذي خلق منه وهو النار على أصل آدم الذي خلق منه وهو الطين، ولم يعلم أن الفضل للمخلوق إنما يحصل بفضل الخالق، بحكم الخالق، فوصف

الإنحرافات البشرية مردها أمور ثلاثة ..أبى واستكبر وكان من الكافرين

المخلوق بصفة الخالق فأشرك.

الثانية: اعتراض العلم الأزلي والحكمة الإلهية، فوصف الخالق بصفة المخلوق فشبه.

الثالث: تعرضه للقسمة الربانية.

الرابعة: تغليب حكم العقل بالتحسين والتقبيح على حكم الشرع.

الخامسة: طلب العلة في حكم العزيز وهو تحيير.

السادسة: تعطيل فضل الله عن أن يتناول آدم بالتفضيل، وهو تنقيص.

السابعة: قصْر حكمة الله تعالى على فهمه، ومن حكم الله تعالى ما لم تصل الأفكار إليه، والإيمان والإسلام يناقضان جميع ما تقدم؛ لأنهما تصديق وانقياد واستسلام.

وأما السبع التي في المعاملات:

فالأولى: الحسد لآدم.

الثانية: البخل عليه بالسجود.

الثالثة: عدم الرضا بالقضاء.

الرابعة: البغي على آدم.

الخامسة: الكذب والقسم عليه حانثا، فالكذب ﴿هل أدلك على شجرة الخلد﴾ (طه: ١٢٠).

السادسة: الخديعة.

السابعة: اتباع الهوى لغير هداية.

هذا والمجوس قد طلبوا العلة في أفعال العزيز، وهي الآلام والعاهات الصادرة في العالم، وقالوا لا ننقاد إلا لما نفهم علته، فلما حجبوا عن فهم الحقيقة في صدورها أشركوا بسبب ذلك فاتخذوا إلهين.

وألحد بسبب النكتة أيضًا البراهمة والتناسخية والدهرية والطبائعيون، وتبعهم في ذلك القدرية، وتفرقت بهم الطرق في أحكام الآلام والتعديل والتجويز والتحسين والتقبيح والأغراض، والصلاح والأصلح.

ووصف المجوس القديم- سبحانه وتعالى- بصفة الحوادث فيما ذهبوا به في السبب في خلق إبليس لعنه الله، وما وجب للرب تعالى من وصف الكمال والقدم يقضي باستحالة ما قالوه.

فهؤلاء اليهود قد شبهوا، فوصفوا القديم تعالى بصفة الحوادث، وكذبوا

عيون المناظرات لأبي علي السكوني



الرسول ﷺ؛ حسداً وتعطيلًا لفضل الله تعالى أن يتناول ذرية إسماعيل بالنبوة، وقصرها على بني إسرائيل كما قصرها إبليس عن أن تتناول آدم عليه السلام.

أما النصارى فقد وصفوا المخلوق بصفة الخالق، والخالق بصفة المخلوق، فنظروا إلى ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام فاعتقدوه له، ولم ينظروا إلى المظهر لذلك عليه، كما أن اللعين كذلك نظر إلى نفسه وإلى آدم عليه السلام، ولم ينظر إلى الآمر والحاكم بالفضل لمن شاء على ما شاء ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه..﴾ (الرعد: ٤١).

أما المشركون من قريش فقد وصفوا الحوادث بصفة الربوبية فأشركوا، وحسدوا الرسول ﷺ وحجروا فضل الله سبحانه وتعالى، فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، واتهموا الحكم الأزلي بذلك تبعًا لإبليس لعنه الله تعالى.

والفلاسفة حكموا «العقل»، وأبطلوا الشرائع وأشركوا، حيث أثبتوا معه تعالى عقلًا وسموه فعالًا من غير برهان، ولا فعال إلا الله. وكذبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام فأعملوا الرأي الفاسد في مقابلة النص والبرهان القاطع، ووصفوا الخالق بصفة المخلوق حيث قالوا: لا يعلم الجزئيات، تعالى عن قولهم، فاتهموا العلم الأزلي كما فعل إبليس لعنه الله، ووصفوا المخلوق بصفة الخالق، فاعتقدوا قدم الحوادث، وأن بعضها يؤثر في بعض، ورأوا لبعض جواهر العالم فضلًا ذاتيًا كما اعتقد اللعين ذلك.

هذا، وكل من جادلوا المرسلين قالوا ﴿أبشر يهدوننا﴾ (التغابن: ٦)، ولا فرق بين هذا وبين قول اللعين ﴿أأسجد لمن خلقت طينا﴾ (الإسراء: ٦١)، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(البقرة: ١١٨)، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ (الأعراف: ١٠١).

هذه فرق أمتنا، افترقت أولا إلى أربع فرق، ثم وصلت إلى اثنتين وسبعين فرقة كما أخبر الصادق ﷺ.

فمنهم من وصف المخلوق بصفة الخالق في قولهم بالحلول، والخالق بصفة المخلوق حيث جوزوا في حقه تعالى ذلك.

ومنهم من قال في قصة التحكيم: لا حكم إلا لله ولا يحكم الرجال، ولا فرق بين هذا وبين قول اللعين: لا أسجد إلا لك! ﴿لم أكن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ (الحجر: ٣٣).

ومنهم من طلب العلة، وحكَّم العقل على الرب، وعطَّل الفضل، وأوجب المصلحة على من لا يجب عليه شيء.

وأخرى تدعي لنفسها الاختراع، فتصف المخلوق بصفة الخالق تعالى، وتعترض على الحكم، وتنفي القدر فرارًا من أن يكون له تعالى حكم في الأزل بسعادة من يشاء، وأن يكون فعالًا لما يريد.. وهذه كلها قواعد إبليس لعنه الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرًا.

ومنهم من أخّر العمل، وقالوا لا يضر تركه، كما أخّر اللعين السجود.

ومنهم من قال: لا نعقل معنى للأوامر والنواهي مع أنَّا لا نفعل، فعطلوا الشرائع، وأبدوا الاعتراض في مقابلة النص، ولم يلتزموا العبودية كما فعل اللعين في قوله: لا أعقل معنى لأمر السجود مع أني أفضل.

ومنهم من قال بنوع من الحلول، فتبعوا النصارى في ذلك، وزاد عليهم الكفر، والكل منهم تبع لإبليس لعنه الله.

وبالجملة.. إذا تأملت كل ملة ونحلة مخالفة لدين الله تعالى، وكذلك كل مخالفة ومعصية وجدتها مبنية على ما قدمه اللعين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨).

هل تجوز قراءة كتب الحديث كالأمهات في المساجد؟

وجواب العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله

التحرير

ورد إلى العلامة محمد بن علي الشوكاني سؤال حول قراءة كتب الحديث الأمهات في المساجد فكانت إجابته ماتعة وإليكم السؤال والجواب.

ورد إلي سؤال في شهر القعدة سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف، حاصله: هل تجوز قراءة كتب الحديث الأمهات في المساجد، مع استماع العوام الذين لا فطنة لهم؟

ثم أطال السائل الكلام، وذكر ما يلزم من ذلك من اعتقاد العوام للظواهر.

فإني كنت في هذه الأيام أملي في صحيح البخاري، وسنن أبي داود، ويحضر القراءة جماعة من العلماء، ويحضر للاستماع جماعة من العامة.

فأجبت بما حاصله:

الجواب عن هذا السؤال يستدعي بسطا طويلًا، لأنه يتشعب الكلام فيه إلى شعب كثيرة لا تفي بها إلا رسالة مستقلة، ولكني هاهنا أقتصر على ذكر أبحاث تتسع لها بياضة السؤال.

فأقول: اعلم أن التدريس في كتب السنة المطهرة في جوامع المسلمين مازال مستحسنًا عند جميع أهل الإسلام، منذ زمن الصحابة إلى الزمن الذي نحن فيه، معدودًا باتفاقهم من أعظم أنواع القرب، وأعلى مراتب التعليم والتعلم.

الأدلة الموجبة للتبليغ مطلقة لا تفرق بين عامة المسلمين وخاصتهم

أما في سائر أقطار المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وتباين آرائهم فأمر لا ينكره أحد، وأما في كتب المحدثين فمازال الأمر كذلك أيضا، منذ خروجها إلى اليمن إلى الآن، يأخذها أهل كل قرن عمن قبلهم، ويروونها لمن بعدهم على مرور العصور، وكرور الدهور.

ومن لم يعرف حقيقة الحال أو داخله رَيْبٌ فيما ذكرنا فليطالع تواريخ هؤلاء الأئمة، وينظر في مسموعاتهم وأسانيدهم ومؤلفاتهم، فإنه عند ذلك يعلم صحة ما حكيناه.

وإذْ نقرّ بالإجماع على هذه الصحة التي ذكرناها؛ فكون العامة يحضرون إملاء الحديث لا يصلح أن يكون مانعًا من قراءة كتب الحديث في المساجد والمشاهد والمحافل لأمور:

الأول: أن حضورهم في مجالس إملاء الحديث مازال منذ قديم الزمان، فكان الإجماع على قراءة كتب السنة في المساجد أو غيرها إجماعًا على جواز حضورهم وعدم صلاحية كونه مانعا.

الثاني: أنا نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يلقي هذه الأحاديث التي تجدونها في كتب الحديث إلى الصاحبة معهم الخاصة والعامة، والعالم والجاهل، ولو كان مجرد سماعهم لإملاء الأحاديث في المساجد وغيرها مانعا من التدريس في كتب الحديث لكان أيضًا مانعًا من إلقائه ﷺ هذه الأحاديث إلى عوام الصحابة، لأن العلة واحدة، واللازم باطل والملزوم مثله.

أما الملازمة فللاشتراك في تلك العلة، وأما بطلان اللازم فبالإجماع.

فإن قلت: إن النبي ﷺ كان يبين متشابه الأحاديث لعوام الصحابة، لأنه لا يجوز عليه أن يقررهم على اعتقاد الباطل.

◆ الفتح الرباني (٦/٢٨٧٣)



قلت: ونحن نقول: كذلك ينبغي للمحدث أن يعرف العامة الذين يحضرون قراءة ما كان مرادا به خلاف ظاهره، وما كان مؤولا، أو منسوخًا، أو ضعيفًا، أو مخصصًا، أو مقيدًا، أو لا يدعهم يتمسكون بما لا يحل التمسك به، لأن المفروض أن المحدث المذكور متأهل لذلك، وأنه قد بلغ إلى رتبة يصلح عندها للتحديث، وأما إذا كان غير متأهل لبيان ما ذكرنا فإنما هو وهم كما قال الشاعر:

كبهيمة عمياء قاد زمامها

أعمى على عوج الطريق الجائر

الأمر الثالث: من الأدلة على جواز إملاء الحديث بمحضر من العامة هو: أنا نعلم قطعا أن القرآن الكريم مشتمل على آيات في الصفات، وأحكام متشابهات، مثل ما اشتملت عليه السنة من ذلك أو أكثر، فلو كان استماعهم للحديث لا يجوز لتلك العلة لكان استماعهم للقرآن وتعليمهم إياه لا يجوز، لأن العلة واحدة، وهو خرق لإجماع المسلمين، فإنهم مازالوا يعلمون صبيانهم كتاب الله العزيز، وهم مع كونهم في سن الصبا خالين عن المعارف العلمية، وهم أيضا خالون عن كمال العقل الذي له مدخل في الفهم والتمييز، فهل يلتزم السائل – أرشده الله – مثل هذا اللازم الباطل بإجماع المسلمين.

الأمر الرابع: أن جعل سماع العامة مانعا من قراءة كتب السنة في المساجد يلزم منه تعطيل المساجد عن كثير من العلوم.

منها القرآن وعلومه لما تقدم.

ومنها علم الفقه الذي هو عمدة المسلمين في جميع الأقطار، وذلك لأن فيه الرخص التي تلحق المتتبع لها بالمتزندقين، فقراءته في المساجد مع حضور العامة مظنة لعملهم بتلك الرخص.

كما أن قراءة كتب السنة مظنة لعملهم بما يسمعونه مما لا يجوز العمل به، ولا فرق بين المظنتين، ولا بين ما يستلزمان من اعتقاد العامي مما لا يجوز.

ومنها علم الكلام، فإن فيه من الشبه والأقوال الباطلة ما لم يكن في غيره من العلوم، حتى إن أهله يحكون فيه أقوال اليهود والنصارى، ومذاهب المعطلة والملحدة، والزنادقة، وقراءتها في المساجد مكانَة لحضور العامة المستلزم لاعتقاده مذهبا كفريا، فالتحرج من قراءتها في المساجد أولى من التحرج من قراءة السنة فيها، التي هي أقوال المصطفى ﷺ، وبيان أفعاله.

وهكذا علم أصول الفقه، فإنه لا يخلو من مباحث إذا سمعها العامي واعتقدها وقع فيما لا يحل، كما يقع بين علمائه من المراجعات في علل القياس، وما فيها من الأمثلة التي لا يراد منها حقيقتها، وإيراد مبطلاتها من المنع، والنقض، والكسر، والقدح، والمعارضة، وغيرها، وكذلك ما في مقدماته من المسائل التي هي أمهات علم الكلام.

ومنها علم المنطق، وعلم الإلهيات، وعلم الطبيعيات، فإن المفسدة في سماع العامي لهذه العلوم أشد من المفسدة في سماع ما تقدم من غيرها.

الأمر الخامس: أن الأدلة الدالة على وجوب تبليغ الأحكام على علماء هذه الأمة قاضية بوجوب مطلق التبليغ من غير فرق بين عامة المسلمين وخاصتهم، ولاسيما وقد ثبت عنه ﷺ مدح «من بلغ مقالة كما سمعها»، فمن ادعى اختصاص ذلك بالخاصة فعليه الدليل، ولا يقال إن هذه المصلحة قد عارضتها مفسدة، وهي ما يعتقده العامي مما لا يجوز، لأنا نقول: المفروض أن العالم المتصدر للتحديث يقوم ببيان كل ما يحتاج إلى البيان؛ فلا مفسدة.

وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وسلم.

الشيخ عبد الرزاق الحلبي في ذمة الله

التحرير

فقدت دمشق قبيل فجر يوم السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ، الموافق ٤ فبراير ٢٠١٢م أحد علمائها الأجلاء فضيلة العلامة الشيخ عبدالرزاق الحلبي، الفقيه الحنفي، والمقرئ، وصدر المدرسين في جامع بني أمية الكبير بدمشق، وفي معهد الفتح الإسلامي، وأحد كبار علماء الشام، عن نحو تسعين سنة، رحمه الله تعالى، وغفر له. هو العلامة المربي الكبير الفقيه المقرئ الشيخ عبدالرزاق بن محمد حسن بن رشيد بن حَسَن بن أحمد الحلبي أصلاً وشهرةً، الدمشقي الحنفي.

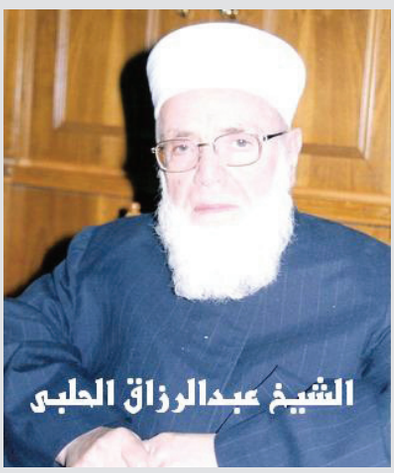
وُلد الشيخ عبدالرزاق الحلبي بدمشق في شعبان سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ونشأ بين أَبَوَين صالحين، فوالده طالبُ علم جَمَعَ بين التِّجارة وحُضور مجالس العلماء، ووالدته هي السيدة «وسيلة» ابنة مفتي الشام العلامة الشيخ محمد عطاء الله الكسم رحمه الله. تُوفي والده سنة ١٣٥٢هـ فَنَشَأَ يتيمًا في تربية وتوجيه عمِّه الشيخ محمد عيد الحلبي، فَدَخَلَ الابتدائية في مدرسة الرَّشيد بدمشق سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، وتَخَرَّج منها سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

دَخَل بعدَها «التجهيزَ» فمَكَث فيها نحو سنتين، ثم ترك الدراسة والتحق بالعَمَل في صنعة النسيج.

شيوخه في تحصيل العلوم

ثم تَعَرَّف على العلاَّمة الشيخ محمد صالح الفرفور، فبدأ بملازمة حَلَقاته منذ ناهز البلوغ سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وبقي مُلازمًا له إلى وفاته سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

لازَمَه في حَلَقَاته في المسجد الأموي، وفي المدرسة الفتحية، وفي منزله، وفي سائر نشاطاته التدريسية، وهو شيخ تحصيله وتخريجه، قرأ عليه جُلَّ العُلوم الشرعية والعربية قراءةَ بحث وتحقيق ومُدارسة وإتقان، وأسَّس معه ومع نُخبة من تلاميذ الشيخ وتُجَّار دمشق الأبرار جمعيةَ الفتح الإسلامي، ثم معهد الفتح الإسلامي، ورَافقه طوال مسيرته العلمية والتربوية، وكان- مع زُملائه في الطَّلب- ساعِدَه الأيمنَ في إدارة معهده وجمعيته



ونهضته، وأجازه إجازةً عامةً بالمعقول والمنقول.

أما القرآن الكريم وعُلُوم القراءات، فأخذها عن الشيخ محمود فايز الديرعطاني، والشيخ د.محمد سعيد الحلواني والشيخ حسين خطَّاب، وذلك أنه بدأ بحفظ الشاطبية على الشيخ محمود فايز الديرعطاني، ثم تُوفي فأتمها على د.سعيد الحلواني، وحفظ عليه الدرة أيضًا، وقرأ عليه عدة ختمات بالروايات المتنوعة إفرادًا، ثم بدأ عليه بالجمع الكبير، فتُوفي إلى رحمة الله، فتحوَّل بعده إلى الشيخ حسين خطاب، فقرأ عليه خَتمًا كاملاً بالقراءات العَشر، وأتمَّ عليه في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩١هـ، وأجازه أن يَقرأ ويُقرئ بشرطه المعتَبر عند أهل العلم.

شيوخه في الإجازة

حصل الشيخ- رحمه الله- على عددٍ من الإجازات سوى ما ذُكر، فأجازه:

١- العلامة الشيخ محمد أبواليسر عابدين مفتي الشام.

٢- العلامة الشيخ محمد العربي العزوزي أمين الفتوى ببيروت.

٣- العالم المُعمَّر الشيخ أحمد بن محمد القاسمي بإجازته من الشيخ محمد عطاء الله الكسم، كما أجازه الشيخ مُلا رمضان البوطي.

٤- وتبادل الإجازة مع الشيخ محمد أديب الكلاس.

والتقى في الحجاز بعددٍ من مشاهير عُلمائه، منهم الشيخ محمد إبراهيم الفضلي الختني، وأهداه عددًا من الكُتُب والرسائل بطريق المناولة الحديثية، منها رسالة «نشر الغوالي من الأسانيد العَوَالي» ورسالة «الإسعاد بالإسناد»، كلاهما للشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري اللكنوي ثم المدني.

عنايته بالتعليم والإرشاد

قضى الشيخ- رحمه الله- جميع عُمُره في التدريس وإقراء الكُتُب ليلاً ونهارًا، لا يَكلُّ ولا يَمَلُّ، فأقرأ العَشَرات من الكُتُب الأمهات في مُختلف العُلوم. بدأ الدرس الأول سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م تحت قُبَّة النَّسر في الجامع الأموي، حيث ألقَى دَرسًا عامًا حَضَره- تشجيعًا- العلامةُ الشيخ محمد هاشم الخطيب، وكان أكثر تدريسه في المسجد الأموي، أقرأ فيه بعد الفجر، وبين المغرب والعشاء، في كل يوم أكثر من ستين سنة، كما درَّس في مساجد أخرى

كالباذرائية، ومسجد القطاط، ومسجد فتحي القلانسي في القيمرية، ومسجد الياغوشية في الشاغور، وغيرها من المساجد، بالإضافة إلى تدريسه في معهد الفتح الإسلامي منذ تأسيسه حتى قبيل وفاته.

أما الكُتُب التي أقرأها خلال مسيرته العلمية فلا تكادُ تُحصى، وكان يهتم في إقرائه للكُتُب بأمورٍ مهمة:

أولها: يختار الكُتُبَ الأمهات، ولاسيما المطوَّلات منها في مختلف العُلُوم.

ثانيها: يقرأ هذه الكُتُب بطريقة السَّرد بحيث يقف عند المُشكِلات، ولا يُسهِبُ في شرح ما سِواها.

ثالثها: يحرِصُ على المواظبة وإتمام الكتاب إلى آخره ضمن برنامجه المُحدَّد له.

رابعها: يُعيدُ قراءة الكُتُب المهمة مرَّتين أو ثلاثًا أو أكثر.

فمن الكُتُب التي أقرأها (لا على سبيل الحَصر): تفسير النسفي، والخازن، والقُرطبي، والإتقان في عُلوم القرآن، الكُتُب الستة في الحديث، وموطأ مالك، وشرح النووي على مُسلم، وبذل المجهود شرح سنن أبي داود، وجامع الأصول، مراقي الفلاح، وحاشية الطحطاوي، والاختيار، وحاشية ابن عابدين، والهدية العلائية، وكشف الحقائق شرح كنز الدقائق، والأشباه والنظائر لابن نُجيم، والهداية للمرغيناني... وغيرها من الكُتُب في مختلف العُلوم.

إقراؤه للقرآن الكريم

تصدَّر الشيخ للإقراء، فَحَفِظَ القرآنَ عليه مئاتٌ من طلبة العلم، ونالوا منه الإجازة برواية حفص عن عاصم، ولا يُمكن إحصاؤهم لكثرتهم.

أما الوقت الذي يُقرئ فيه الشيخ فغالب يومه، بعد صلاة الفجر، ومن فترة الضُّحى إلى ما بعد العِشاء، لا يردُّ قارئًا، ولا يكلُّ ولا يَمَلّ.

وفي سنة ١٤٢٧هـ اختير الشيخ- رحمه الله- مع مجموعة من كِبَار المُقرئين في دمشق للتكريم من قِبَل وزارة الأوقاف ومركز زيد بن ثابت لخدمة الأنشطة القرآنية.

تَضلُّعُهُ بالعُلُوم

الشيخ- رحمه الله- عالمٌ مُتمكِّنٌ في جميع العلوم الشرعية والعربية، واسع الاطِّلاع، قوي الحافظة، حادُّ الذاكرة، يستحضر الكثير من المتون وعبارات العلماء، ويستشهد بها عند الحاجة إليها وكأنَّه يقرأها من الكتاب، يُحبُّ الاطِّلاع على معارف عصره، فقد تعلَّم اللغتين الفرنسية والتركية، وكان يتحدث بهما مع الطلاب أحيانًا.

وهو إلى ذلك مُولَعٌ بالقراءة والمطالعة كُلَّما سَنَحَت له الفرصة، ولمَّا تقدَّمت به السِّنُّ صار يُكلِّف مَن حولَه بأن يَقرأ له.

وظائفه التي تقلَّدها

أولًا: وظيفة الإمامة والخَطابة في عدد من مساجد دمشق، ففي سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م وُجِّهت إليه وظيفة الخطابة في المدرسة الفتحية جامع فتحي وكالةً ثم أصالةً سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م.

وفي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م كُلِّف بوظيفة الخطابة في جامع الجوزة وَكَالةً.

وفي سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م نُقل من وظيفة إمامة جامع القطاط الموكلَة إليه سابقًا، إلى إمامة المِحراب الحنفي في المسجد الأموي.

وأخيرًا تولَّى الخطابة في جامع بلال الحبشي.

ثانيًا: وظيفة التدريس الديني في دار الفتوى.

ثالثًا: وظيفة إدارة المسجد الأموي منذ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

رابعًا: سُمِّيَ شيخَ الجامع الأموي بقرار من وزير الأوقاف عام ٢٠٠٥م.

خامسًا: عضوية جمعية الفتح الإسلامي منذ تأسيسها سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ثم نائبًا للرئيس، ثم رئيسًا لها سنة ١٩٨٦م، بالإضافة إلى إدارة معهدها منذ تأسيسه إلى سنة ١٩٨٤.

سادسًا: رئاسة جمعية النداء الخيري في القيمرية.

سابعًا: كما حضر الكثير من المؤتمرات في العديد من البلدان الإسلامية وغيرها.

صِفاته الخُلُقية وهِمَّتُه في العبادة

الشيخ- رحمه الله- من العُلماء الكُمَّل المخلِصين (ولا نُزكِّي على الله أحدًا) جمع صفات الرِّجال الكِبار من الهمة العالية في الطاعة والعبادة والعِلم والتعليم، مع حُسن الأخلاق وطِيب العِشرة، والتواضع والزهد في الدنيا، والكَرَم والجود، يبذل الصدقات ويقضي حوائج الناس، ملتزمٌ بالسنة المطهَّرة، يُحبُّه كلُّ من حوله، ويهابه كلُّ من يراه، يحفظ وقته كلَّه بين الطاعة والعبادة والعلم والتعليم والإقراء، مواظبٌ على برنامجه اليومي منذ نشأته، لا يخرمُه ولا يبدِّله، يُحافظ على صلاة الجماعة في المسجد الأموي بلا انقطاع إلا في مَرَض أو سَفر، مواظبٌ على الحجِّ في كلِّ عام منذ سنة ١٣٧٠هـ تقريبًا، فزادت حِجاته على خمسين حجةً، كان في الكثير منها مُشرفًا على البعثة السُّورية.

وفاته

توفي- رحمه الله- قبيل فجر يوم السبت ١٢ ربيع الأول ١٤٣٣هـ، الموافق ٤ فبراير ٢٠١٢م، وصلى عليه جمهور كبير من العلماء وطلبة العلم بمسجد الثناء بدمشق، وكان من بين المشيعين رفيقه وصديقه شيخ قراء بلاد الشام العلامة محمد كريم راجح، الذي ذكر بعض مناقب الشيخ «الحلبي» بالقول: «رافقت الشيخ لسنين طويلة جدًا، وأستطيع أن أقول لكم إن علماءنا عرفوا فضل الشيخ «الحلبي» وهو ما يزال شابًا يطلب العلم، وأذكر مرات عديدة أن الشيخ «حسن حبنكه الميداني» والذي كان شيخ الشام في عصره كان يطلب رأي طالبه «عبدالرزاق الحلبي» عندما ترده مسائل تخص المذهب الحنفي، وكان من أدب الشيخ «عبدالرزاق» أن يقول له: «كيف أفتي بحضرتك يا سيدي»، فيقول له الشيخ «حبنكه»: «أحب أن أستأنس برأيك» فيقوم الشيخ «الحلبي» بإحضار الكتب التي تحتوي الفتوى ويفتحها بحضرة الشيخ «حبنكه» ويقرأ العبارة المطلوبة».



نظرة طائر إلى العناية بها بين الحالي والخالي

عبقرية اللغة العربية الفصحى وكمالها (١-٢)

عبد الله آيت الأعشير

في زمن يضج ويعج بغير قليل من الآراء الفطيرة التي لم يخمرها البحث والتنقر والاعتيام، أضع بين أيدي القراء الرصفاء هذه المائدة اللغوية العربية النجار، جاعلا سأوي وسدمي الهدْي إلى السبل المرشدة التي تبصر عقلاء الأمة بالدسائس التي تحاك في السر وفي العلن لإخماد جذوة الفصحى، من خلال الإصرار على تضييق منافسها، والأخذ بخناقها، وتمزيق أحشائها، أملا في إنهاكها لتخرج من معترك اللغات الأجنبية، وسوق اللهجات، بأكبر الخسائر التي تجعلها منزوية في حدود ضيقة، لا تظفر في التأثير في مجالات العلم والمعرفة بسوى حسو الطائر.

ولقد أنهضني إلى الخوض في هذا الموضوع الذي لا ينكش، استصغار كثير ممن عميت عليهم الأنباء لموضوع العربية الفصحى، التي تمتلك في مغربنا الحقوق العلمية والفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، فهي أولا لغة موحّدة وموحِّدة، وثانيا لغة الدين والدنيا، بينما غيرها من اللهجات يشيع الفرقة، ويلقي عصا الشتات بين أبناء الإقليم الواحد، ويهدد السِّلم اللغوي الذي ننعم به في مغربنا العزيز، لأنها لهجات مفرّقة ومفرِّقة. فلينظر عقلاء الأمة، بم يأخذون ويعضُّون عليه النواجذ، أبلهجات مفرّقة ومفرِّقة أم بلغة فصحى موحّدة وموحِّدة؟!

اللغة مسكن الهوية والوطن الذي لا تجمعه لغة لا يمكن أن يجمعه شيء آخر

وإذ قرّ في الأذهان أن الناس في أطوار حياتهم، ليسوا سوى لغاتهم، فإن الشعب الذي لا يبذل أقصى طاقاته للحفاظ على لغته من الويلات المهلكة التي تُصرُّ اللهجات العامية واللغات الأجنبية على إلحاقها بالعربية الفصحى، أملا في إبعادها من مصادرها، وحرمانها من ماضيها المجيد، وتاريخها الأقعس، وحضارتها الفاتنة، وأدبها الماتع، وأنظمتها المعيّرة، شعب لابد سينتهي به الحال إلى ضروب من الانهزام النفسي، والاستسلام المُذل المذعن لهجر سيل جُراف قُحاف من الكلمات الأجنبية الشعثاء الغبراء التي يرتق بها نقيصته لغير علّة ولا حكمة مدركة، لأن تلك النقيصة لا توجد في سوى فكره الذي لم يكابد مشاق البحث والتنطس.

والحق أن اللهجات العامية، وشوب الألفاظ والعبارات الفرنسية، قد أحرزت نصرا مبينا في مجالات الحياة المغربية، ناشرة جيوشا غازية من الكلام الغريب عن المحتد العربي، حتى أوقع الروع في نفوس الغيورين الحذاق، ولاسيما أن التدفق المعلوماتي والمعرفي الذي يشهده العصر، يوحي بأن فرص التحصين اللغوي الذي يبقي على عربية فصحى سليمة، قد تداعت – أو كادت – أمام موجات التلهيج والتمزيغ والتغريب، التي تنشر أظلالها بحرًا وبرًا وجوًا، لأن العولمة الكونية أحكمت إعداد خططها، حتى أضحت العربية من أكبر ضحاياها، حيث تهاوت السلطة اللغوية المعيّرة أمام سيل الرسائل البرقية التي تقول أي شيء من دون الالتزام بالقواعد اللغوية التي يعد أمرها أشهر من القمر، إذ أضحت الكلمات مختصرة إلى أبعد الاختصار، كما أضحت بعض الأحرف العربية مجرد أرقام. وهكذا أسقطت ريح العولمة العاصفة والقاصفة من شجرة اللغة العربية الفصحى جميع الأكمام والأزاهير، سواء منها التي بدا عليها الشحوب والإنهاك، أو التي تمتلك عناصر القوة والنجاح في أن تصبح ثمرة ناضجة تزود المتكلمين بالغدد المقوية القادرة على الاشتعال في أثناء استعمال العربية الفصحى.

وقبل أن تتكسر الإرادة أمام هذا الشيطان الليطان العولمي الذي يغري فئة الأغتام، ويعدهم ويمنيهم، وما يعدهم إلا غرورا، لابد من التذكير بأن اللغة مسكن الهُوية، وأن طلب المعرفة والسلطة والسيادة يبدأ من التحكم في

كاتب مغربي



اللغة، إذ كلما كان الفكر غنيا بالألفاظ والعبارات السليمة، كان ذلك أدعى لتوسع سلطانه والتحكم في العالم من حوله، لهذا فإن أي تأجيل للحسم في تقوية دور العربية الفصحى في كافة مناحي الحياة، سيجعل ألسنتنا مثل المظاهر الاجتماعية والعمرانية والفنية التي لا يستطيع أحد أن ينكر مقدار الاستلاب الذي لحق بها. كما يجب النظر إلى العربية الفصحى بمنظار الربح والخسارة، ومن ثمة توزيع الأدوار اللغوية بكيفية واضحة ومعقولة، وبتخطيط أجدى وأنفع، يجعل الفصحى مقتعدة الصدارة في القيام بوظائف الدين والعلم والمعرفة والاقتصاد والسياسة والتجارة والصناعة والخدمات والآداب، بينما تقوم اللغات الأجنبية بوظائف تعميق البحث والإفادة من كل جديد مُجْدٍ، لتزويد الفصحى بالخميرة اللازمة لضمان النضج والجودة. أما اللهجات العامية والأمازيغية، فتقتصر وظائفها على الإشباع التواصلي الوجداني والإمتاع الفني الذوقي. وبهذا نضمن الوحدة والاتحاد، لأن الوطن الذي لا تجمعه اللغة الرسمية، لا يمكن أن يجمعه شيء آخر، سوى جمع تبديد، حيث يسعى كل فرد أو جماعة إلى تغليب مصلحته من دون أن يقوى على بلوغها، ومن ثمة تُطلّ رؤوس الفتنة، التي تبدأ لغوية شكلية، ثم يزداد فتيلها رويدًا رويدًا، حتى تنتهي إلى حرب شعواء يقتتل فيها على كلمات أسيء استعمالها من لدن المجتمع اللغوي. وقانا الله شرّ هذه النازلة.

هذا هو حال العربية الفصحى اليوم، فهل بقي لنا ما نَرِمُّ به ما فسد وأضحى بعرات نحسبها جواهر نقلدها



جيد الفصحى، أما آن لهذا الليل البهيم الأليل أن ينجلي؟ أسئلة تجد جوابها البليغ في الاستفادة من دروس الأجداد الذين أحيوْا للعربية الفصحى ذكرها، وبنوا لها منارات وصوى وأمجادًا سافًا من فوق ساف، حتى جرّت الفصحى على غيرها من اللغات ذيول العزّ والمباهاة، وأخرست شقاشقها، لم تَدَعْ شعاعا من الريب يتسلّل إلى كمالها وجمالها وقدرتها على التكيف مع الوقائع، بعجائب لا تحصى، ولطائف لا تستقصى على هذه الشاكلة.

عناية الأسلاف بالعربية الفصحى

لقد حَبّر الجهابذة الذابرون في العلم بالعربية الفصحى مُصنّفات، رفعت لها منارات وأصواءً، وأحْيَوا لها آثارا، وسبروا غورها، وعجموا عودها، ورازوا ألفاظها ومعانيها، ورَمَوا الرميات فأصابوا المحز والمفصل الذي لا يستطيعه إلا خَبير محكم. وليس يخفى على من شدا قليلا من هذه الفرائد والنفائس التراثية، أن أغلب هؤلاء الحذاقيين لم يتَصَعّدهم البحث في يم العربية الذي لا يُنكش، حيث تقَفّوْا البحث في رياضها الأرجة، يتَوكّفون ويسألون عن عجائبها التَي لا تنتهي، حيث إن العربية الفصحى لغة مجتباة، انتقرت من بين لغات الدنيا أفضل الأصوات وأجملها، مع الحرص على الباعث الفني الخالص في أثناء انتجاث واصطفاء أبهى وأحلى الأصوات، أملا في بلوغ أقصى مراتب الجمال الصوتي الفتان، الذي هيأ لها أسباب البسطة في الأرض، وعلى القلوب، حيث حرَصت على التوفر على الدرر المستفرهة من الألفاظ الحلوة الشائقة، ناهيك عن جمال حروفها، حتى إن الروم كانوا يعلقون بعض رسائل الخليفة المأمون بخط أحمد بن أبي خالد على أبواب كنائسهم لاستحسانهم لخطوطها.

وقد ألفيت هؤلاء المفنين الخناذيذ قد طبقوا المفصل في صيانة اللغة العربية الفصحى من أن يندس إلى خدرها ما لا ترضى عنه أساليبها، فعقدوا لكل جانب من جوانبها فصولا أتَوا فيها بالمتخير اللباب. فمنهم من رأى أن للعربية أسرارا، ثم صرفوا سأوهم وسدَمَهم إلى الغوص عن جواهرها النيّرات، وأودعوا المهارق لفتات فنية دخلَت جنان البلاغة، آوت من حسن تصرفها إلى ركن عجيب، من خلال إشباع الكلام عن أسرار البلاغة العربية وفصاحتها. ومنهم من هدَتْه شاكلته وجديلته إلى أن للعربية خصائص فدبّجوا كتبا لتعليل أسباب إجادتها ويفاعها، وبسطوا للمتلقي خصائص تمكينها، لم تفتهم سوابقها ولواحقها، وأزاحوا الأستار عن عجائب هذه الخصائص، واقتحموا عليها مكامنها، وفتقوا كمّها. ومنهم الذين أنعموا النظر في فقْهها، فوضعوا على صخر الثبات الأساس الذي بواسطته تتميز الفروق الدقيقة بين الألفاظ



والمعاني، فبلغوا الأرب في تحديد الخيوط الدقيقة التي لا يدركها إلا من أعرق في البحث، وضرب أكباد الإبل في التنقية والانتقار لكل شاردة وآبدة. ومنهم من أحسن التبريز والإجادة في الجمع بين اللفظ النقي وروعة التحديد لدلائل الإعجاز، ودخلوا جنان البلاغة فاجتنوا من أشجار العربية الموسقة كل ما طاب من الأثمار المشتهاة، ثم رفعوا في الخافقين قدرها، عندما انتهوا إلى اجتلاب كل عين وغُرّة، في حلل مُنشّرة تري الناظرين الباحثين منظرا بديعا أخمل ذكر سائر اللغات وقتئذ.

جمال الفصحى

يؤكد الراسخون في علم اللغات، الذين ينظرون بعين الحق، أن اللغة العربية الفصحى تستمد حجتها من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكلام الشعراء المُفلقين، والخطباء المصاقعة، والأدباء البلغاء. وقد ظلت هذه المصادر نماذجها الباهرة في القدرة والاقتدار على الإحاطة بالأطراف والقواصي فضلا عن الأقطاب والموارد، إحاطة جمعت أطايب المدنيّتين العربية والغربية في زيّ يبهر بيانه ولا يشق غباره. وقد انبَرى هؤلاء المنصفون إلى الذود عن حياضها، والإشادة بطاقاتها الهائلة. يقول ابن جني: «العرب إنما تحلّي ألفاظها وتدبجها وتشيها، وتزخرفها، عناية بالمعاني التي وراءها، وتوصلا بها الى إدراك مطالبها، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا». ألا ترى إلى قول بعضهم وقد سأل آخر حاجة، فقال المسؤول: إن عليّ يمينا ألا أفعل هذا، فقال له السائل: إن كنت – أيدك الله– لم تحلف يمينا قط على أمر فرأيت غيره خيرا منه فكفرت عنها له، وأمضيته، فما أحب أن أحنثك، وإن كان ذلك قد كان منك فلا تجعلني أدْوَن الرجلين عندك، فقال له: سحرْتَني، وقضى حاجته (١). أما ابن سنان الخفاجي فيؤكد جمال العربية وأفضليتها في اختيار ما احلولى واعذوذب من الألفاظ، واطّراح ما امْلولح وخبُث قائلا: «وقد أخبرني أبوداود المطران – وهوعارف باللغتين: العربية والسريانية – أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخست، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طُلاوة وحُسنا، وهذا الذي ذكره صحيح، يخبر به أهلُ كل لغة عن لغتهم مع العربية» (٢). أما ابن الأثير فيروي حكاية يهودي ذكرت عنده العربية وما تمتاز به من جمال قائلا: «فجرى ذكر اللغات، وأن اللغة العربية هي سيدة اللغات، وأنها أشرفهن مكانا، وأحسنهن وضعا، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك. وقد جاءت آخرا. فنفت القبيح من اللغات قبلها، وأخذت الحَسن، ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة، فاختصر ما اختصر، وخفف ما خفف، فمن ذلك اسم الجمل، فإنه عندنا في اللسان العبراني «كوميل» مُمالا على وزن «فوعيل» فجاء واضع اللغة العربية، وحذف منها الثقيل المستبشع، وقال: «جمل» فصار خفيفا حسنا، وكذلك فعل في كذا وكذا، وذكر أشياء كثيرة. ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلام عالم به» (٣). من أجل ذلك كرهت العرب تجاور بعض الأصوات في كلامهم طلبا للخفة وتجنبا للثقل مثل: القاف والكاف والجيم، والصاد والسين، والزاي، وهلم جرا. وقد تكفلت كتب الأسرار والفقه والخصائص والإعجاز المشار إليها آنفا ببسط البراهين والأدلة التي تنبئ أن جمال العربية أشهر من القمر كما يؤكد السيوطي قائلا: «إنها أفضل اللغات وأوسعها. قال ابن فارس في فقه اللغة: لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فوصفه– سبحانه – بأبلغ ما يُوصَفُ به الكلام، وهو البيان. وقال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فقدم – سبحانه – ذكر البيان على جميع ما توحّد بخلقه، وتفرد بإنشائه... فلما خص – سبحانه – اللسان العربي بالبيان، عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: إن سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأنّا لو احتجنا إلى أن نعبر بالسيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟» (٤). وقد استمدت العربية هذا الجمال وذاك السموق من ارتباطها بلغة القرآن الكريم، ولذلك قال الراغب الأصفهاني: «ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمتهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها، وماعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمنتقاة منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنّور بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لُبوب الحنطة». (٥).

الهوامش

١- الخصائص. أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي البجاوي، الجزء الأول، ص ٢٢٠ و٢٢١. دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.

٢- سر الفصاحة، أبومحمد بن عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ص ٥٠. ط ١. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق: د- أحمد الحوفي ود- بدوي طبانة، القسم الأول، ص٢٠٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الجزء الأول، ص٣٢١ و٣٢٢، ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، المكتبة العصرية صيدا- بيروت.

٥- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الجزء الثاني، ص٢٥٥. ط- ٨، ١٩٧٤م شركة الطباعة الفنية المتحدة.



عويل

جيكر خورشيد

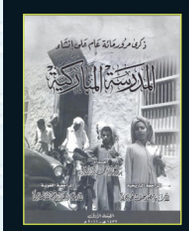
عويلٌ... عويلْ
دمـــاءٌ تـــراقُ.. دمـــوعٌ تـسـيـلْ
وأشـــلاءُ نـــاسٍ تـطـيـرُ شـظـايـا
وفـــي كـــلّ يـــومٍ مـئـات الـضـحـايـا
مـــطـــارق فـــي مـسـمـعـي تـدقّ
مـــسـامـيـر فـــي خـافـقـي
وتـــطـــارد روحـــي وحـــوشٌ
كـــوابـيـسُ رعـــبٍ تحـاصـرنـي
تـقـتـل الـنّـوم فـي مـقـلـتـيّ
فـــأهـــتـــزّ خـــوفًـــا
أذوبُ عـلـى جـمـر هـمٍّ ثـقـيـل
ألـــوذ بـحـضـن الـعـويـلْ!
عويلٌ... عويلْ
يـضـجّ الـفـضـاء الـرّحـيـبْ
وأيـــن تـسـيـر هـنـاك الـنـحـيـب
ســـوادٌ يـلـفّ الـبـسـيـطـة تـغـدو
كـثـكـلـى عـلـيـهـا ثـيـاب الحـداد
ســـوادٌ رهـــيـــب...
كـخـيـمـة حـزن تـغـطـي بـلادي
ســـوادٌ... كـقـلـب الـطـغـاة
أحـــال الـنـهـار قـتـامًـا
وهـــذي الحـيـاة جـحـيـمًـا
فـبـتـنـا نـقـاسـي عـذابًـا وويـلْ!
عويلٌ... عويلْ
دمـــاءٌ تـــراق... ودمـــعٌ يـسـلْ
يُـضـام شـيـوخٌ.. وتـسـبـي صـبـايـا
بـأرضـي تـدار كـؤوس الـمـنـايـا
يُـدنّس عـرضٌ.... ويـقـتـل طـفـلٌ وزهـرٌ
ومـا مـن بـصـيـص لـهـذا الـعـويـل!
عـويـلٌ... يـجـوب الـفـضـاء
ويـعـلـو تجـاه الـسّـمـاء
لـعـلّ الإلـه الـعـظـيـم
يـطـيـح بـكـل الـطـغـاة
لـعـلّ الـبـهـاء
يـعـود لـوجـه الحـيـاة

شاعر سوري

ثمرات المطابع

«ذكرى مرور مائة عام على إنشاء المدرسة المباركية»

هذا عنوان كتاب يقع في حوالي ٥٢٠ صفحة من القطع المتوسط قام بإعداده الأستاذ بدر عبدالله حمد الزوير وهو يؤرخ لأول مدرسة ثقافية في تاريخ الكويت والخليج بأسره، تلك النبتة التي نمت حتى غدت شجرة كبيرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وباتت نافذة العالم على دولة الكويت بالعلم والأدب والثقافة.



كتاب «الدعوة والداعية إلى الإسلام»

وذلك في حوالي ١٩٢ صفحة من القطع الصغير، وهذا الكتاب تأصيل علمي لعمل الدعوة يرشد الدعاة إلى السبيل الأقوم ولا يترك أمر دعوة الخلق إلى الخلق على سجية النفوس واندفاع كثير منها بغير هدى ولا حكمة، وإن أثار ذلك عواطف العامة ونال إعجابهم، وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى مهمة جليلة اصطفى الله تعالى لها خيرة خلقه من الأنبياء والرسل يبلغون رسالات الله ويدعون الخلق إلى الله ووفق لها صفوة هذه الأمة من العلماء والدعاة، صحابة وتابعين ومن بعدهم.



«الأولاد ودائع الله عندنا»

يقع الكتاب في حوالي ١٥٦ صفحة من القطع الصغير، ويتضمن الكتاب كلمات إلى أشطار القلوب وفلذات الأكباد والجيل الصاعد، أملاها عرفان بأنهم أجمل هبات الله للآباء، وهم كذلك في ميزان الفطرة وفي اعتبار الأبرار منذ خلق الله آدم وحوّى وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء.



همس الدموع!

محمد مروان مراد

كانت الساعة تدق معلنة الخامسة صباحًا، أفاق «الأستاذ خيري» على ضيق في تنفسه، وألم مبرح في صدره، وخدر شامل في ذراعه اليسرى، تقدم من نافذة الحجرة المفتوحة، وراح يعب من الهواء البارد، ويمسح حبات عرق تجمعت على جبينه، ثم عاد ليجلس على حافة سريره، فوقعت نظرته على التقرير الطبي، فرفعه ليقرأه ربما للمرة الخمسين خلال الشهرين الماضيين، وهو يستعيد عبارة الطبيب الملحة:



– لابد من العمل الجراحي لتبديل الشرايين الثلاثة المسدودة، وخلال ثلاثة أشهر لا أكثر.

– ثلاثة أشهر.. وها قد مرّ شهران، وأنا أنتظر فرج الله تعالى، إن كلفة العملية الجراحية مئتا ألف ليرة بالكامل، مئتا ألف تعادلان ما قبضت من رواتب عملي في التعليم طوال عشرين سنة، راتبي التقاعدي اليوم ألف ليرة لا غير.

الحمد لله، لقد عشت بهذا الراتب سنوات مع زوجتي وابنتي، ثم توفيت المرحومة، وتزوجت «سعاد»، وبتُّ وحيدًا أدبر أمور حياتي بتقتير شديد، ومداراة كبيرة للألف ليرة، حتى لا أضطر لمدّ كفي إلى الآخرين.

نعم.. لقد واجهت أمراضًا عابرة، وصرفتها بوسائلي الخاصة، فلم أحتج إلى الطبيب والعلاج، ولكن انسداد الشرايين الثلاثة لم يكن في الحسبان، وحين داهمتني الجلطة اللعينة منذ شهرين، وأسعفت للمشفى الحكومي في اللحظة الأخيرة، أكد لي الطبيب وهو يهنئني بالسلامة:

– هذه المرة كتب لك عمر جديد، ولكن لابد من العمل الجراحي قبل فوات الأوان.

شهران و«الأستاذ خيري» يجتر التفاصيل والآلام نفسها، في الصباح حين يفيق، وفي النهار، وهو يجرّ خطاه إلى البقال روحة وإيابًا، وفي الليل الطويل الذي يمضيه ساهرًا قلقًا متقلبًا يثقله الضيق والوهن والتفكير:

– مئتا ألف ليرة، وليس في جيبي غير خمسين ليرة لا غير يجب أن تكفيني إلى آخر الشهر، أليس أرخص لي وأسلم أن تداهمني «جلطة» جديدة، فتخلصني دفعة واحدة من هذه الجبال الرابضة على صدري لا تبرح؟

وعاوده الألم الجارح، كما لو أن سكينًا حادة تنشر ضلوعه، وتزايد إحساسه بالاختناق حتى لم يعد يطيق الاحتمال، فمد يدا مرتجفة إلى الهاتف، ونفث بهمسة واهنة:

– سعاد.. ثم سقطت السماعة من قبضته.

سمع «الأستاذ خيري» تمتمات خافتة تتردد:

– ها هو يصحو..

وشعر بكف حانية تمسح جبينه:

– أنا سعاد يا أبي.

ففتح عينيه بجهد واضح، ورأى من خلال غشاوة رقيقة وجه ابنته وعينيها الدامعتين، وقبل أن يفتح شفتيه الجافتين بكلمة، قالت:

– الحمد لله على سلامتك.

– أين أنا؟ خرجت العبارة ضعيفة كما لو كانت صادرة من بئر عميقة، وتفرس فيما حوله، فإذا الأهل ملتفون حول سريره، وقد ارتسمت على الوجوه أمارات القلق والخوف، اقترب الطبيب يجس نبض المريض ويقول:

– الحمد لله.. كل شيء على ما يرام، وستولي الآلام إلى غير رجعة، وتغادرنا بعد أيام بصحة وسلام، وخرج الجميع بإشارة من الطبيب، وبقي «الأستاذ

قاص سوري



خيري» وحيدًا، ولم يدر بعدها كم ساعة مرت حتى صحا من جديد، وكانت ابنته «سعاد» إلى جواره.

– لقد أجرى الطبيب العمل الجراحي بمهارة فائقة، وتم تبديل الشرايين الثلاثة في ساعتين وحسب، (أخبرته سعاد).

نظر الأستاذ إلى جسده، فألقى صدره مغلفًا بالضماد، ومع شعوره بوخز ضعيف، فإن نشاطًا جديدًا دب فيه، وزايله الضيق من ثقل الجبال على ضلوعه.

– الحمد لله .. (هتف من الأعماق).

– ولكن التكاليف، مئتا ألف ليرة، فمن أين لي بهذا المبلغ الجسيم يا سعاد؟

– لا يهمنك الأمر، العائلة كلها تجهد لتدبيره، وحين تخرج بالسلامة سيكون كل قرش مسددًا بإذن الله.

مرت ثلاثة أيام، انهمكت العائلة خلالها بتأمين تكاليف العملية، وهبّ الأهل والأصدقاء كبيرهم وصغيرهم، ليشارك كل واحد بما يستطيعه، وتحول الأمر إلى عرس من المحبة والإيثار.

قدمت العمة «أم عصام» عشرين ألف ليرة أعدتها لشراء قبر لها – بعد طول عمر– ورهنت الخالة «دعاء» عقدها الذهبي مقابل خمس عشرة ألف ليرة، وقدم الصهر «برهان» زوج «سعاد» ثمانية آلاف ليرة حصيلة مشاركته في الجمعية الشهرية مع أصدقاء العمل، وأسهمت الجارة «أم سليم» بثلاثين ألفًا كانت وفرتها لتكاليف الحج إلى بيت الله الحرام، وشارك «ياسر» ابنها بألفي ليرة ثمن دراجة هوائية كان يزمع اقتناءها، وفيما كانت الابنة سعاد تعد المال وتضعه في كيس قماش، وتتساءل بعينين كاسفتين:

– إن الحصيلة لم تصل بعد إلى نصف التكاليف المطلوبة، فما العمل يا رب؟

وجاء الرد سريعًا، دخل «أبونعمان»

لقد واجهت أمراضًا كثيرة عابرة وحرفتها بوسائلي الخاصة .. أما هذا فلا قبل لي به!

تاجر القماش، وصديق عمر «الأستاذ خيري» فناول الابنة، ستين ألف ليرة، وأخبر بأنها زكاة تجارته السنوية، والأستاذ خيري أحق الناس بها.

انطلقت سعاد بالمبلغ إلى المشفى، وكان الأب قد دخل لتوه إلى مكتب المحاسبة، مشتت الذهن تنتابه الأفكار، فلما أقبلت سعاد وقدمت الكيس القماشي للمحاسب، قالت بلعثمة حزينة:

– هذا كل ما جمعناه، ولعل إدارة المشفى تتكرم وتسامحنا بباقي التكاليف؟

رفع المحاسب رأسه ، وقال:

– ما اسم المريض من فضلك؟

– هذا أبي الأستاذ خيري الشريف.

مشى المحاسب بقلمه على صفحة السجل أمامه وهو يكرر:

– خيري الشريف، خيري.. وتوقف، ثم أردف مبتسمًا بلطف:

– الحمد لله على السلامة يا أستاذ، الحساب مدفوع منذ يومين.

شهقت «سعاد» – عفوًا، هنالك خطأ بالتأكيد.

– صدقيني، قائمة التكاليف مسددة بالكامل، وذمتكم بريئة تمامًا.

حملق «الأستاذ خيري» غير مصدق، وأدار بصره بين المحاسب وبين ابنته:

– ولكن من؟.. من الذي دفع المبلغ؟

.. هتف الأستاذ من أعماقه..

أجاب المحاسب:

– فاعل خير.. وقد أصر ألا نبوح باسمه أبدًا، ليبقى عمله خالصًا لوجه الله تعالى.. لم يستسلم الأستاذ، وعاد يردد بإلحاح وتوسل:

– أستحلفك بالله أن تخبرني، ولك وعد الحر الصادق أن يظل اسمه سرًا في صدري إلى الأبد.

نهض المحاسب من وراء مكتبه، وأسر في أذن الأستاذ:

– إنه الطبيب أيمن راجي، وهو الذي أجرى لك العمل الجراحي بنفسه!

تسمر الأستاذ خيري في مقعده، حين سمع بالاسم، وأغمض عينيه وهو يفرك جبينه، مستعيدًا في ذهنه أسماء طلابه القدامى، ويكرر مرّات:

– أيمن راجي؟ وما لبثت شاشة ذاكرته أن أضاءت لتشع في صفحتها ملامح تلميذ صغير في المرحلة الإعدادية، بلى هو أيمن اليتيم الفقير، ذو القميص المرقع الذي شغفه بهدوئه ولطفه وخطه الجميل، أيمن راجي الذي احتضنه الأستاذ برعايته وخصه بعطفه وأمَّن له مقعدًا مجانيًا في القسم الداخلي بالمعهد، وتوسط له للعمل صيفًا في متجر صديقه «أبي نعمان»، ثم تقاعد هو بعد سنين الخدمة الطويلة وابتعد عن المعهد، وغابت عنه أخبار طلابه، وشغله هم مرضه عن كل شيء، يا الله، أممكن أين يكون ذلك الفتى الضعيف هو نفسه الطبيب الإنسان الذي بدل له في ساعتين شرايينه الثلاثة المسدودة، وأعاد إلى قلبه نبض الحياة الدفاق، ثم سدد عنه تكاليف العمل الجراحي بالكامل؟ حمدًا وشكرًا يا الله..إن عهد المعجزات لم ينقض بعد.

نهض الأستاذ خيري مستندًا إلى ذراع ابنته، التي احتضنت كيس المال إلى صدرها، وما سار غير خطوة واحدة حتى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام طبيبه المنقذ، ففتح ساعديه عن آخرهما، وضمه بكل محبة وسعادة، وهمس بدموعه الحارة ما عجزت عن البوح به شفتاه.

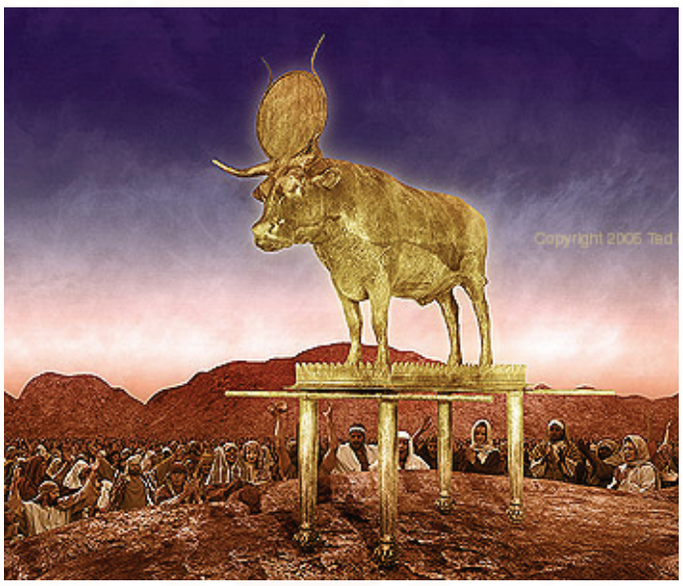


القصة القرآنية وسيلة بناء ونهضة

محمد الشحات

إن التطلع لمستقبل مشرق وباهر لا يتأتى بنظرة انفصالية عن تجارب السابقين من الأمم الأخرى، وحري بمن يحاول البعث والنهوض وإعادة الكيان للأمة من جديد أن ينظر بعين الاعتبار لحال الأمم السابقة في بعثتها ونهوضها، في محاولة جادة وواضحة للاعتبار والاستفادة من مواقف الرجال والدول، وأخذ العبرة. وليس هناك في الوجود كله كتاب يحوي عبر قصصه الفريد تلك النماذج والخبرات والمواقف غير القرآن الكريم، وصدق الحق سبحانه إذ يقول: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (يوسف: ٣). ولقد شغلت القصة التاريخية القرآنية حيزا غير قليل في الكتاب الخالد، ومع نهاية العرض- سواء كان مفصلاً أو مجملاً- يأتي الختام الهام والضروري بالتركيز على العبرة، فليست القصة الواردة في القرآن للتسلية والتلهي والسرد، وإنما وردت في سياق آيات القرآن لتقرر واقعا جديدا، وترسم للإنسان معالم جديدة، إذ المقصود هو استخلاص العبر والدروس.

والقصة في القرآن إحدى وسائل البناء والتشييد في معالم البعث الحضاري الجديد الذي تنشده الأمة حتى وهي في كبوتها، إذا حاولت استنهاض الهمة، والعودة للقرآن، والنظر للتاريخ. إن الفوائد الجمة التي تجنيها البشرية من القصة القرآنية إنما تعطي فعالية وحيوية، وتمنح الحياة الجديدة معنى هامًا، ألا وهو إمكانية استعادة الدور من جديد، وهو أمر ليس بالمستحيل ولا الصعب.



والقصص في السياق القرآني أداة تربية وتوجيه للفرد وللجماعة، والقرآن عندما يقص عن الماضين يعطي دروسًا من العبر ليرشد بها أتباع خاتم الرسل(١).

قال تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾(طه: ٩٩)، والقصة في كتاب الله تمثل محورًا هادفًا جاء ليؤدي دورًا، وليصنع واقعًا ومثالاً يحتذى في الترغيب والترهيب.

فالأمراض التي تحياها البشرية على مر الزمان تكاد تكون متشابهة، حتى وإن تعددت العلل والأمراض، لكن العلاج واحد يتمثل في اتباع المنهج. والقصة هي استدعاء من ذاكرة القرون السالفة؛ لنعرف التاريخ والواقع، وقصة حياة البشرية في حقبة من الحقب السالفة، والشيخ الجليل محمد الغزالي يرى أن دراسة قصص القرآن الكريم فريضة دينية، وفريضة إنسانية، وضرورة بقاء(٢).

والساعي للنهضة الآن يختلف عن سابقه، لماذا؟ فالسابق كان ينهض وينشئ ويعمر ويقيم حضارة على غير مثال سابق، فلم تسبقه أحداث وتجارب يستفيد منها، ويستخلص الفائدة من مراحلها، أما الآن فرصيد الماضي وحضارة السابقين وتجارب الأمم عبر أحداث التاريخ والقصص القرآنية.. خير مثال سابق، لابد أن ننظر إليه نظرة عميقة تعطي أبعادًا في عمق الحدث؛ حتى نستجلي ما فيها من فوائد جمة وخطيرة في سعينا الآن، إذ لابد أن نستجمع خيوط الأحداث، ونمسك بأطرافها، ونعطيها الاعتبار والتقدير، وندرس ونحلل وننحي الأخطاء جانبًا، ونسعى بالفوائد نحيلها واقعًا ملموسًا في مستقبلنا، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف الزمان والمكان والبيئة العامة وطبائع الناس، فما علينا إلا أن نغوص في عمق الحدث.

ناقد أدبي مصري



الغزالي: دراسة قصص القرآن فريضة دينية وإنسانية وضرورة بقاء

وفي القصة القرآنية صورة واقعية لمعالم حضارات سابقة من لدن آدم عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، والدارس للقصص القرآني لا يرفض البعد المادي لمعالم الحضارة السابقة، بمعنى أن هناك أقوامًا جبارين ظالمين في الأرض أقاموا أعظم الحضارات، وأخذوا بأسباب النهضة المادية، ومنحهم الحق سبحانه وتعالى القدرة على ذلك.. فلا نرفض النظر والاعتبار فيما قام به هؤلاء في بعثهم الحضاري بالأسباب المادية البحتة، حتى لو كانوا غير مسلمين، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها، مثل قوم عاد وثمود إذ يقول الحق عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ٦ -١٤).

نعم، صدق الله سبحانه وتعالى، فأرض الجزيرة في جنوبها أظهرت الأقمار الصناعية أن في صحراء الربع الخالي معالم تحت الأرض لقصور ذات أعمدة، وأبنية ضخمة تدل على أن القوم كانوا في قمة النضج الحضاري المادي، فهل نرفض هذا الرصيد من إشارات القصة القرآنية بزعم أنهم غير مسلمين؟

إن من السخف الكبير ألا نستفيد من تجربة النشأة وتجربة السقوط، ونعلم أن السقوط كان بسبب البعد عن وحي السماء ومنهج الله- تبارك وتعالى- ومن سننه أنه يمنح التقدم، وأسباب التفوق لأمة ولو كانت كافرة طالما أخذت بأسبابه.

ومها تدعي الإنسانية البعيدة عن القرآن العلمية والدراسة المنهجية في التاريخ والمجتمع فإنها لن تصل إلى ما يطمح إليه عقلاء البشر، وأسوياء الإنسانية من سعادة، إلا في ظل الوحي القرآني، باعتباره أسلم كتاب من الانحراف(٣)، مصداقا لقول الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

ومن الأمثلة الشهيرة في القصة القرآنية ما أشار إليه النص القرآني من تقدم الفراعنة الباهر والمحير للعلماء في جميع مجالات الحياة حتى الآن، بعد سبعة آلاف سنة، خاصة في التشييد والبناء والطب، فالأمة التي تسعى للنهضة لابد أن تستفيد من تجاربهم وأحوالهم، وأن تحسن قراءة التاريخ قراءة منهجية بنظرات عميقة فيها الفائدة، وفيها خلاصة التجارب البشرية المفيدة النافعة، فالقصة القرآنية هي استدعاء من الذاكرة للأحداث التي تمت في سابق الزمان.

والكتاب العظيم دعا الحق سبحانه وتعالى في صفحاته المشرقة البشرية إلى السير والنظر في عواقب الأمم الغابرة.. فهل يسرد روايات السابقين فيه للتسلي والتلهي؟ لا، وحاشا أن تكون الإيماءات النيرات مجرد حكايات كحكايات ألف ليلة وليلة، ولكنها نظرات في عمق التاريخ، نظرات فيها القيم والمبادئ ومعالم النهضة، أنزلها الحق سبحانه وتعالى في كتابه تربية وإعدادًا للجيل الناهض، أيا كان زمانه ومكانه؛ حتى يظل القرآن يخدم البشرية أيا كان موقعها وزمانها، فهو عطاء لا ينفد.. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١). ولقد علم الله أن الإنسان عادة ما يعتبر بمن هو أكثر منه، وأشد منه قوة وأعظم شأنا، ولعل في هذا إشارة إلى عاد وثمود، والآثار هي قصور السابقين وحصونهم وعددهم، وكل ما يوصف بالشدة من الآثار(٤).

والقصة القرآنية وحي السماء فيها مجموعة من القيم يجب الإشارة إليها، والوقوف عندها بعض الوقت؛ لندرك تمامًا أهميتها في البناء النفسي للإنسان الذي يسعى لإقامة جسور التواصل بين الحضارات، وأهميتها في البناء المادي كأسباب حسية أخذ بها السابقون فتقدموا، وأهم هذه المبادئ:

- أن القصة القرآنية وحي من الله، دراستها والاعتبار بها عبادة لله، فكثيرًا ما قال القرآن: أفلم، أولم؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار.
- إنها وسيلة استئناس ومعايشة، تمنح الدفء والمعية للإنسان، بل والأمة.
- إنها استدعاء من ذاكرة التاريخ.
- والقصة قرآن خالد على مر الزمان للبشرية، نأخذ منها تجارب الأمم السابقة.
- فيها الدرس والعبرة والفائدة العامة في مجالات كثيرة.

الفهرس

١- مقال «الشيخ محمد الغزالي والقصص القرآني» للدكتور محمد سيد أحمد فرج ص ١٩٣٠، عدد ذي الحجة عام ١٤٣٠ هـ/ ديسمبر، الجزء ١٢، سنة ٨٢ .
٢- المصدر السابق.
٣- توفيق محمد سبع: قيم حضارية في القرآن الكريم، ص ١٥٣.
٤- تفسير الكشاف، سورة غافر، الآية ٢١ .

صحيح ابن حبان

التحرير

الفن: الحديث النبوي.
سنة النشر: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
رقم الطبعة: الأولى.
عدد المجلدات: (٨ مجلدات)
تحقيق: د.محمد علي سونمز، ود.خالص آي دمير.
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
اسم الكتاب: «المسنَد الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جَرْح في ناقليها».

سبب تأليف الكتاب: بيّن الإمام سبب تأليفه لصحيحه بقوله: «لما رأيت الأخبار طرقها كثرت، ومعرفة الناس بالصحيح منها قلّت».

فعزم على جمع الصحيح الثابت حتى يسهل على المتعلمين الوصول إليه، فتدبّر الصحيح من السنة فوجده ينقسم كما قال: أقسام متساوية متفقة التقسيم غير متنافية:

فأولها: الأوامر التي أمر الله عباده بها.

والثاني: النواهي التي نهى الله عباده عنها.

والثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفته.

والرابع: الإباحات التي أبيح ارتكابها.

والخامس: أفعال النبي ﷺ التي انفرد بفعلها.

ثم رأيت كل قسم منها يتنوع أنواعا كثيرة، ومن كل نوع تتنوع علوم خطيرة...».

إلى أن قال: «وإنا نملي كل قسم بما فيه من الأنواع، وكل نوع بما فيه...».

ثم شرع يذكر هذه الأقسام والأنواع حتى انتهى منها فقال: «فجميع أنواع السنن أربعمائة».

ومن هذا التقسيم يظهر سبب تسمية المؤلف كتابه هذا والذي عرف بصحيح ابن حبان باسم «التقاسيم والأنواع».

أهمية صحيح ابن حبان:

قال الشيخ أحمد شاكر، رحمه الله، في بيان أهمية الكتاب: «صحيح ابن حبان» كتاب نفيس، جليل القدر، عظيم الفائدة، حرَّرَهُ مؤلفه أدق تحرير، وجوَّده أحسن تجويد، وحقق أسانيده ورجاله، وعلل ما احتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، وتوثق من صحبة كل حديث اختاره على شرطه، ما أظنه أخل بشيء مما التزم، إلا ما يخطئُ فيه البشر، وما لا يخلو منه عالم محقق.

وقد رتب علماء هذا الفن ونقاده هذه الكتب الثلاثة -التي التزم مؤلفوها رواية الصحيح من الحديث وحده- أعني: الصحيح المجرد؛ بعد «الصحيحين»: البخاري ومسلم- على الترتيب الآتي: صحيح ابن خزيمة، صحيح ابن حبان، المستدرك للحاكم؛ ترجيحًا منهم لكل كتاب منها على ما بعده، في التزام الصحيح المجرد، وإن وافق هذا - مصادفة - ترتيبهم الزمني، عن غير قصد إليه.

وأستطيع أن أجزم - أو أرجح - أن لابن حبان في كتابه شروطا دقيقة واضحة بينة لتصحيح الحديث، وأنه وَفَّى بما اشترط -كما قال الحافظ ابن حجر- إلا ما لا يخلو منه عالم أو كتاب، من السهو والغلط، أو من اختلاف الرأي في الجرح والتعديل، والتوثيق والتضعيف، والتعليل والترجيح.

وهو - فيما رأينا من كتابه - قد أخرج كتابه مستقلاً، لم يبنه على «الصحيحين» ولا على غيرهما، إنما أخرج كتابا كاملا.

وفي «الشذرات» - في ترجمة ابن حبان -: «وأكثر نُقَّادِ الحديث على أن «صحيحه» أصحُّ من «سنن ابن ماجه».

التعريف بالإمام

هو الإمام الحافظ العلامة أبوحاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي البستي صاحب التصانيف.

ولد سنة بضع وسبعين ومائتين.

من أشهر شيوخه:

الحسين بن إدريس الهروي، وأبوخليفة الجمحي، وأبوعبدالرحمن النسائي، وعمران بن موسى بن مجاشع، والحسن ابن سفيان، وأبويعلى الموصلي، وأحمد بن الحسن الصوفي، وجعفر بن أحمد الدمشقي، وأبوبكر بن خزيمة، وغيرهم.

من أشهر تلاميذه:

أبوعبدالله الحاكم، ومنصور بن عبدالله الخالدي، وأبومعاذ عبدالرحمن بن محمد بن رزق الله، وأبوالحسن محمد بن أحمد بن هارون الزوزني، ومحمد بن أحمد بن منصور النوقاتي، وغيرهم.

مصنفاته: صنف -رحمه الله- الكثير من التصانيف، منها:

كتاب تفسير القرآن، كتاب التقاسيم والأنواع، وهو المشهور بالصحيح. كتاب

التمييز بين حديث النصر الحداني ونصر الحراز، كتاب ثواب الأعمال، كتاب الجرح والتعديل، كتاب الجمع بين الأخبار المتضادة، كتاب روضة العقلاء، كتاب السنن في الحديث، كتاب شعب الإيمان، كتاب صفة الصلاة، كتاب طبقات الأصبهانية، كتاب علل أوهام أصحاب التواريخ، كتاب علل حديث الزهري، كتاب علل حديث مالك، كتاب ما أسند إلى أبي حنيفة، كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه، كتاب غرائب الأخبار، كتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا، كتاب الفصل بين حديث أشعث ابن مالك وأشعث بن سوار، كتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الأزدي، كتاب الفصل بين منصور ابن المعتمر ومنصور بن زاذان، كتاب الفصل بين النقلة، كتاب الفصل بين نور بن يزيد ونور بن زيد، كتاب الفصل والوصل، كتاب الأبواب المتفرقة، كتاب الأسامي من يعرف بالكنى، كتاب التابعين، كتاب تبع الأتباع، كتاب الثقات، كتاب الضعفاء، كتاب الصحابة، كتاب كنى من يعرف بالأسامي، كتاب ما أسند جنادة من عيادة، كتاب ما انفرد به أهل المدينة من السنن، كتاب ما انفرد به أهل مكة، كتاب ما خالف الثوري شعبة، كتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان، كتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيدالله بن عمر، كتاب المسند في الحديث، كتاب المعجم على المدن، كتاب المقلّين من الحجازيين، كتاب المقلين من العراقيين، كتاب موقوف ما رفع، كتاب وصايا الأتباع وبيان الابتداع في الحديث، كتاب وصف العلوم وأنواعها، كتاب الهداية إلى علم السنن، كتاب مناقب الشافعي، كتاب مناقب مالك، وغيرها.

من ثناء العلماء عليه:

قال أبوسعد الإدريسي: كان من فقهاء الدِّين وحفّاظ الآثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم، وفقَّه الناس بسمرقند.

وقال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال.

وقال الخطيب: كان ثقة نبيلًا فهمًا.

ووصفه الذهبي بقوله: الإمام العلامة، الحافظ المجوِّد، شيخ خراسان. بعض ما أُنكر عليه، وجواب الذهبي عنه:

وقال أبوإسماعيل الهروي: سألت يحيى بن عمار عنه فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علمٌ ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكرَ الحدَّ لله فأخرجناه.

قال ابن الذهبي: كلاهما مخطئ؛ إذ لم يأت نصٌّ بإثبات الحدِّ ولا بنفيه ومن حسن إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه.

قال أبوإسماعيل: سمعت عبدالصمد بن محمد بن محمد سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله «النبوة: العلم والعمل»، فحكموا عليه بالزندقة وهُجر، وكُتبَ فيه إلى الخليفة فكتَبَ بقتله.

قلتُ (الذهبي): وهذا أيضًا له محمل حسنٌ، ولم يُرد حصر المبتدأ في الخبر ومثاله: الحجُّ عرفةَ. فمعلومٌ أن الرجل لا يصير حاجًّا بمجرّد الوقوف بعرفة وإنما ذكرَ مهمَّ الحجِّ ومهمَّ النبوّة؛ إذ أكمل صفات النبيِّ العلمُ والعمل، ولا يكون أحدٌ نبيًا إلا أن يكون عالما عاملا. نعم؛ النبوّة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولى العلم والعمل، لا حيلة للبشر في اكتسابها أبدًا، وبها يتولّد العلم النافع والعمل الصالح، ولا ريب أن إطلاق ما نُقل عن أبي حاتم لا يسوغ، وذلك نَفَسٌ فلسفيٌّ؟!.

وفاته: مات الإمام أبوحاتم بن حبان -رحمه الله- في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مائة (٣٥٤)، وهو في عشر الثمانين.

شرط ابن حبان في هذا الصحيح:

قال رحمه الله: وأما شرطنا في نقله ما أودعناه كتابنا هذا من السنن، فإنا لم نحتج فيه إلا بحديث اجتمع في كل شيخ من رواته خمسة أشياء:

الأول: العدالة في الدين بالستر الجميل.

والثاني: الصدق في الحديث بالشهرة فيه.

والثالث: العقل بما يحدث من الحديث.

والرابع: العلم بما يحيل من معاني ما يروي.

والخامس: المتعري خبره عن التدليس.

فكل من اجتمع فيه هذه الخصال الخمس احتججنا بحديثه وبنينا الكتاب على روايته وكل من تعرّى عن خصلة من هذه الخصال الخمس لم نحتج به.



الأرجوزة المئية في ذكرى مولد خير البرية

للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢)

صالح بن محمد بن عبدالفتاح بن عبدالخالق
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

تنوعت المصنفات في سيرة النبي ﷺ فمنها المطول والمختصر منثورًا ومنظومًا، ومن بين المنظوم المختصر أرجوزة مفيدة أشارت إلى كثيرٍ من أمهات أحداث السيرة قبل الهجرة وبعدها وضعها مؤلفها العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢) رحمه الله تعالى في مائة بيت .

قال العلامة شمس الدين بن طولون الحنفي: ... أخبرنا أبوالعباس أحمد بن أبي الصدق العمري من لفظه، أخبرتنا أم أحمد أمة اللطيف ابنة المسند شمس الدين محمد بن محمد بن المحب سماعًا عليها بمنزلها بجِسر البطِّ، أخبرنا والدي من لفظه، أخبرنا قاضي المسلمين الصدر علي بن علي بن أبي العز بن عطاء سماعًا من لفظه بمسجد «ابن العفيف فخر الدين» بالقرب من «اليغمورية» بسفح «قاسيون» لنفسه في مختصر السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام فقال مرتجزًا:

اَلْحَمْدُ لله الْقَدِيم الْبَارِي ... ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ

وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ

مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ... رَبِيعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ

لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ

وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ... وَقَبْلَهُ حَينٌ أَبِيهِ حَانَا

وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا

حَلِيمَةٌ لأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ

وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَائِي ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الأَبْوَاءِ

وَجَدُّهُ لِلأَبِ عَبْدُالْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ

ثُمَّ أَبُوطَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ

وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنَيْ عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَحِيرَا مَا اشْتَهَرْ

وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

لأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلَا إِبْرَاهِيمْ ... فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ

وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَهْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَهْ

وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُالله ... وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي[1]

وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ[2] ... وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ

وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرْ ... بُنْيَانَ بَيْتِ الله لَمَّا أَنْ دَثَرْ

وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ ... فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمّ

١- أراد: أن «الطاهر» و«الطيب»لقبان لعبدالله وليسا ابنيْن آخرين للنبي ﷺ، ثم حكى قولًا آخر مصدِّرًا له بـ«قيل» للإشارة إلى تضعيفه، وهو أن هذه الأسماء لثلاثة أفراد فيكون أولاده الذكور منهَا أربعة.

٢- الحِمامُ: الموت.

وَبَعْدَ عَامٍ أَرْبَعِينَ أُرْسِلَا ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلاَ
فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الأَوَّلِ ... وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ
ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ عَلَّمَهْ ... جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةْ
ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ ... فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَةْ
ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعٍ[٣] الأَعْوَامِ ... بِالأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الإِسْلاَمِ
وَرابِعٍ[٤] مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ ... مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ
إِلَى بِلاَدِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ ... وَفِيهِ[٥] عَادُوا[٦] ثُمَّ عَادُوا[٧] لاَ مَلاَمْ
ثَلاَثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ ... وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ
وَهُنَّ[٨] عَشْرٌ وَثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ ... أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الأَسَدْ
وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ ... مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ذُو كَفَالَتِهْ
وَبَعْدَهُ خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلاَثَةٍ مَضَتْ
وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ[٩] أَسْلَمَا ... جِنٌّ نَصِيبِينَ وَعَادُوا فَاعْلَمَا
ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ ... فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ
عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ ... وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ
أُسْرِيْ بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ ... خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ
وَالْبَيْعَةُ الأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا ... مِنْ أَهْلِ طَيْبَةَ كَمَا قَدْ ذُكِرَا
وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى ... سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا
مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ ... مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ
فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ... إِذْ كَمَّلَ الثَّلاَثَ وَالْخَمْسِينَا

٣- كذا في الأصل وأظن المراد «رابع».
٤- كذا في الأصل ولعل الصواب وأربع.
٥- أي في العام الخامس.
٦- عادوا إلى مكة.
٧- عادوا إلى بلاد الحبشة.
٨- أي النساء ثماني عشرة امرأة.
٩- أي وربع عام وهو ثلاثة أشهر.

فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا ... عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلاً نَحْكِيهَا

أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلاَةَ الْخَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ[10] فَاسْمَعْ خَبَرِي

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ... وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَهْ

أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ... إِلَى بِلاَدِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا[11]

وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ... بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ[12] ... وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَاقْتُدِي بِهِ

وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ[13] بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ

إِلَى بُوَاطٍ ثُمَّ بَدْرٍ وَوَجَبْ ... تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ

مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ... وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ

وَالْغَزْوَةَ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ ... فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ

وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ... مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ ... وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفَرِ ... زَوْجَةُ عُثْمَانَ وَعُرْسُ الطُّهْرِ

فَاطِمَةَ عَلَى عَلِيٍّ الْقَدْرِ ... وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ

وَقَيْنُقَاعٌ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ ... وَبَعْدُ ضَحًّى يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ

وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَةْ ... وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَةْ

فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمِ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَةُ الْكَرِيمِ

زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهَ ... ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَهَ

وَزَيْنَبًا[14] ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ ... فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ

١٠- يعني: صلاة الجمعة.
١١- وهم ثلاثة وثلاثون من الرجال، وثمانية من النساء.
١٢- عائشة رضي الله عنها.
١٣- وتسمى أيضًا غزوة (ودّان) والأبواء وودّان موضعان متجاوران.
١٤- بنت خزيمة الهلالية.

وَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ ... هَذَا وَفِيهَا[15] وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ
وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ... بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلا
وَبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ ... وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ
وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ[16] ... وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ
ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا ... خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا
كَيْفَ صَلاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي[17] ... وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ
قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ ... وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ
وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ ... الْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ وَحَصَلْ ... عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ[18] بَعْدُ وَاتَّصَلْ
وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ[19] فِي ذِي الْخَامِسَةْ ... ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ
وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ ... وَصُدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدْ
وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّلْ وَبَنَى ... فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيِّنَا
وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ ... وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ
وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّهْ ... فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّدِيَّهْ
ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةٍ عَقَدْ ... وَمَهْرَهَا[20] عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ
وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةْ ... ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّهْ
ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا ... وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا
وَقَبْلُ إِسْلامُ أَبِي هُرَيْرَةِ ... وَبَعْدُ[21] عُمْرَةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةِ
وَالرُّسْلُ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ... أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ
وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّهْ ... فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّهْ

١٥- أي في السنة الثالثة.
١٦- وتسمى «بدر الآخرة» فإن الغزوات التي تتعلق ببدر ثلاث: الأولى، والكبرى، والآخرة (الموعد).
١٧- أي: رفع ونقل عنه ﷺ.
١٨- يعني: جويرية بنت الحارث وكانت من سبي بني المصطلق.
١٩- يعني: ريحانة بنت زيد وهي من سبي بني قريظة. وقيل هي من إمائه ولم تكن زوجة له.
٢٠- ضبطت في الأصل بضم الراء.
٢١- أي: بعد غزوة خيبر.

لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ ... قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ
وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ
وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتَمَارُهْ ... مِنَ الْجِعِرَّانَةِ وَاسْتِقْرَارُهْ
وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا ... مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا
وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَهْ ... سَوْدَةُ مَادَامَتْ زَمَانًا عَائِشَهْ
وَعُمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِي ... وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ
ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ ... وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ[٢٢]
وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُوبَكْرٍ وَثَمّ ... تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ
أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا ... يَطُوفَ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فَعَلا[٢٣]
وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى ... هَذَا وَمِنْ نِسَاهُ آلَى[٢٤] شَهْرَا
ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى ... عَلَيْهِ مِنْ طَيْبَةَ نَالَ الْفَضْلاَ
وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ ... وَالْبَجَلِيْ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ
وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنَا ... وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا
وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ ... (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ)
وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهْ ... وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ
وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا ... إِذْ أَكْمَلَ الثَّلاَثَ وَالسِّتِّينَا
وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ ... فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ
وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خُمْسَا شَهْرِ[٢٥] ... وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ[٢٦] فَادْرِ
وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيّهْ ... فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّهْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ... أَصْحَابِهِ وَآلِهِ وَمَنْ تَلاَ

٢٢- أي: رافعًا الضِّرار الذي بُني هذا المسجد لأجله.
٢٣- أي: أبوبكر وعلي.
٢٤- أي: حلف عليه الصلاة والسلام ألّا يدخل عليهن شهرًا كاملًا.
٢٥- يعني: اثني عشر شهرًا.
٢٦- الخمس ستة أيام والثلث عشرة فالمجموع ستة عشر يومًا.

الصورة النمطيّة للعربيّ في الإعلام الغربيّ

أنور الجمعاوي

أدمنت وسائل إعلاميّة عدّة خلال العشريّة الأخيرة الحديث عن التطرّف الدّيني، وبدت ميّالة إلى وصل ظاهرة الغلوّ في الدّين بالإسلام والمسلمين دون غيرهم. وتأكّد هذا النّهج في التّوصيف إبّان أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. فقد سعى كثيرون إلى إجراء مقولة صراع الحضارات التي أخبر بها «صاموئيل هنتنجتون» مجرى التّطبيق، فطفقوا يُحبّرُون، وينظّرون، ويصرّحون على الملأ بأنّ الإسلام الموسوم بالمارد الأخضر هو العدوّ القادم الذي حلّ محلّ الشيوعيّة، وأصبح خطرا حقيقيًا يهدّد السّلم الأهليّ في العالم، وينذر بتقويض مبادئ الحداثة الأوروبيّة ونسف قيم المجتمع الدّيموقراطيّ في الغرب.

الواقع أنّ هذا الموقف محكوم بخلفيّة أيديولوجيّة ونزعة عنصريّة، قوامها التّشريع لكراهيّة المسلمين وتأليب النّاس عليهم، وذلك بإشاعة مغالطات شتّى لعلّ أهمّها جمع المسلمين كافّة في سلّة واحدة اسمها سلّة التطرّف. وهذا الموقف المتحامل من العرب والمسلمين موقف معياريّ، غير موضوعيّ ولا يسلم لأصحابه من جوانب عدّة ، لعلّ أهمّها أنّ التّعميم في ظاهر الحال غير منطقيّ، ففي كلّ مجتمع وبين أتباع كلّ ديانة، نجد قراءات مختلفة للنصّ المقدّس تتراوح بين اللّين والشدّة وبين الاعتدال والتطرّف، والأمر ملحوظ في أدبيّات أتباع اليهوديّة أو المسيحيّة أو البوذيّة أو غير ذلك من الدّيانات. ولا سبيل إلى نعت هؤلاء جميعا بالمتطرّفين بل يقتضي العقل التّمييز بين المواقف وتفكيك الآراء، وكشف آليّات انتظامها ومواضع تهافتها، بدل إصدار الأحكام القبليّة والمواقف الانفعاليّة من الآخر.

وقد تابعت، مثلا، عبر وسائل الإعلام الأجنبيّة والعربيّة أحداث التّفجيرات الإرهابيّة في النرويج، وقد هالني الأمر لمّا رأيت الفضائيّات، على اختلافها، تتسابق أوّل الأمر في نسبة تلك الفعلة النّكراء إلى العرب والمسلمين، فمنهم من ردّ ذلك إلى السلفيّة الجهاديّة، ومنهم من نسب الحادث إلى تنظيم القاعدة، وسواهم اعتبروه رغبة من العرب في الانتقام ممّا آل إليه الوضع في العراق، وغيرهم قالوا إن الواقعة أقدم عليها عرب للاحتجاج على حملة حلف شمال الأطلسي على ليبيا، ولم يتوان آخرون في اعتبار ذلك ردًا فلسطينيًا على تعثّر مشاورات السّلام في الشّرق الأوسط، واستمرار إسرائيل في عنتها واستخفافها بإرادة الشّعوب العربيّة وإمعانها في التّنكيل بالفلسطينيين. وبذلك فقد وقع الجميع في فخّ إصدار الأحكام المسبقة، وإدانة العرب والمسلمين بغير وجه حقّ، واتهامهم بصفة استعجاليّة مجانيّة ودون استحضار أيّ حجّة أو دليل على ما يدّعون.

لوبيات مشبوهة استأثرت بتوجيه المادة الإعلامية واحترفت صناعة الإسلاموفوبيا

وقد تبيّن للعيان أنّ أحد أنصار اليمين المسيحيّ المتطرّف قد أقدم على ذلك العمل الإرهابي ليعبّر عن رفضه لنهج التعدديّة الثقافيّة في بلده، وليعبّر عن كراهيّته للمسلمين ودعوته الصريحة إلى تهجيرهم والقضاء عليهم حماية لأوروبّا من خطر الإسلام الدّاهم في نظره، فتجلّى بذلك أنّ مصدر التطرّف هذه المرّة هو معسكر الماسونيّة ودعاة الصّليبيّة الجديدة لا العرب أو المسلمون.

وبدا بذلك أنّ نهج عدد من القنوات الإعلاميّة في وصف الحدث قد تأسّس على الارتجال والتّهافت القائم على اعتبار أن العرب والمسلمين مسؤولون عن كلّ عمل مشين أو عن كلّ فعل إرهابيّ. والحقيقة أنّ هذا الموقف يرجع في جانب مّا إلى ارتهان الإعلام الغربيّ والإعلام العربيّ إلى مصادر المعلومة ووكالات الأنباء التي تهيمن عليها لوبيّات مشبوهة استأثرت بتوجيه المادّة الإعلاميّة، واحترفت صناعة الإسلاموفوبيا، وانتهجت نهج شيطنة العرب، وهي بذلك تساهم في تغذية ظاهرة العنصريّة والنّزعة القوميّة المتعصّبة في المحضن الأوروبي خصوصا والغربيّ عموما. وبدا جليًا أنّ علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا، والمشرفين على مخابر الدّراسات التحليليّة ومخابر استشراف المستقبل

باحث جامعي تونسي

في الغرب، غير مواكبين لحركة الشّارع في بلاد العم سام، وغير مكترثين بصعود اليمين المتطرّف في المنطقة، وإلاّ كان بإمكانهم التنبيه إلى مخاطر انتشار هذا التيّار ومعاداته الصّريحة للآخر، وحرصه على نسف مشروع التعدديّة الحضاريّة والثقافيّة الذي أنتجه عصر التنوير وفكر الحداثة.

يُضاف إلى ذلك أنّ الصّورة النمطيّة البغيضة التي صنعتها آلة الإعلام الغربيّ واستوديوهات السّينما الهوليوديّة عن العربيّ والمسلم، ما فتئت تسكن عقول الكثير من النّخب المثقّفة في الغرب فما بالك بعامة النّاس، فقد درج الكثيرون منهم على تصوير المهاجر إلى ديارهم من العرب والمسلمين بصورة الإرهابيّ، المتعطّش إلى الدّماء، أمّا من كان خارج الفضاء الغربيّ، فما انفكّوا يعدّونه بدويّا يعيش حياة الرّعاة ويتلهّف على ممارسة الجنس، وتعدّد النّساء، وينتظر السّماء أن تمطر له ذهبا أو أن ترفع عنه بأسا. وغاب عن أذهانهم أنّ العرب والمسلمين قد قدّموا عبر حقب تاريخيّة مختلفة أمثلة رائعة في التّعايش مع الآخر وفي القبول بواقع التعدّد الثقافيّ والتنوّع الحضاريّ، ومجالس العلم وحلقات الجدل في القيروان وبغداد وإشبيليّة وقرطبة ودمشق، تشهد بما كان يعرفه المشهد الاجتماعيّ والعمرانيّ الإسلاميّ من تعدّد وانفتاح على الغيريّة الثقافيّة.

ولا ينكر الدّارس الموضوعيّ أنّ النظرة الدونيّة للعرب والمسلمين عند بعضهم قد أورثتها مقولات النّفخ في أيديولوجيا الصراع الحضاريّ بين الشّرق والغرب، والممارسات الفرديّة لعدد من الأشخاص المحسوبين على العرب والمسلمين، والذين قد يحدث أن يرتكبوا بعض الأفعال المتعارضة مع



سماحة الإسلام، لكن لا يمكن بحال اعتبار تلك الأفعال قاعدة مركزيّة ومقياسا نهائيّا يتمّ- بالاستناد إليه- الحكم على كلّ العرب والمسلمين بالرّعونة والتطرّف.

والثّابت أنّ الخطاب الإعلاميّ يبدو في كثير من الأحيان خطابا غير بريء، محكوما بأجندة مسبقة، تروم التّهوين من العربيّ والمسلم، وتشويه حضوره في المشهد الحضاريّ الكونيّ.

والرّأي عندي أن العرب اليوم في حاجة أكيدة إلى إبداع آلة إعلاميّة موازية، قادرة على تقديم الصورة الحقيقيّة للعربي والمسلم باعتباره كائنا مدنيّا إيجابيّا، قادرا على التعايش مع الآخر، والتحاور معه والإفادة منه، وقادرا أيضا على تقديم الإضافة، وعلى المساهمة، على نحو مّا، في صياغة ملامح مجتمع ثقافيّ تعدّدي بامتياز.

ومعلوم أنّ للنّخب العربيّة المثقّفة الدّور الرياديّ في هذا المضمار، فالمبادرة بإنتاج أعمال إبداعيّة وأشكال تعبيريّة جديدة، وبلغات مختلفة في مجالات السّينما، والغناء، والأدب، والرّسم، والمسرح وغير ذلك... وتوظيفها لتقديم الوجه الحقيقيّ للعربيّ المسلم باعتباره ذلك الكائن البشريّ الكريم، المضياف، المتسامح، المسالم والتوّاق إلى الحرّية والعدالة والسّلام يمكن أن يساهم في تكسير الصّورة النمطيّة النّكراء للعربيّ والمسلم في عدد من وسائل الإعلام الغربيّ، ويمكن أن يغيّر رؤية جمهور النّاس من الفرنجة للعالم الإسلاميّ في منعطف الألفيّة الثالثة وبالتّزامن مع انتشار ألواح الرّبيع الثوريّ العربيّ.

وفي السّياق نفسه، فإنّ الدّور موكول إلى المراكز الثقافيّة والجمعيّات المدنيّة العربيّة والإسلاميّة في الخارج التي يُفتَرَض أن تكثّف من نشاطاتها التوعويّة فتُصْدِرَ نشريّات، وتعقد ندوات مفتوحة، وتبثّ ومضات إعلانيّة مختصرة، واضحة ومُعَبّرَة تساهم في الترويج لصورة العربيّ المسلم المستنير والفاعل في التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا. كما أنّ الجالية العربيّة والإسلاميّة في الغرب وفي مختلف أصقاع الكون مدعوّة إلى تقديم النموذج المثاليّ في القبول بالتعدديّة الثقافيّة داخل المجتمعات التي تهاجر إليها، فمن المفيد الانخراط داخل منظومة قيم الحداثة، والتفاعل مع مبادئ مجتمع الديموقراطيّة قصد الانفتاح على الغير، والتّعبير عن القابليّة للتّعايش معه، ونبذ كلّ أشكال التطرّف والإقصاء، إن بدافع الانتماء الطبقيّ أو العرقيّ أو الدينيّ أو غير ذلك. ومن ثمّة يكون لنا أن نرفع اللّبس عن الأذهان، ونجلو الحقيقة للعيان ونبرز للناس كافّة مواكبة العرب والمسلمين للعصر، وقدرتهم على تقديم الإضافة الإيجابية للعالم، وبذلك يبين للنّاس الوجه المستنير لحضارة لغة الضّاد، ويتبيّن لعلماء الاجتماع في الغرب أنّ خطرا حقيقيّا آخر جدير بالدّراسة وبالتحليل وبالاهتمام، ويُعدّ خطرا على أوروبا وعلى العالم وعلى التعدديّة الثقافيّة في مجتمع الحداثة وهو خطر صعود اليمين المتطرّف المتلبّس بلبوس الكهنوت وبرداء الصليبيّة الجديدة.



صلة الرحم سبيل هناء الأسرة

جميل حسين

صلة الرحم شعبة من شعب الإيمان، أوصى بها رسول الله ﷺ فكانت أشبه ما تكون بأركان الإسلام كالصلاة أو الصيام، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل القيام بحقها سببًا من أسباب دخول الجنة، وجعل التهاون بها وتركها سببًا من أسباب دخول النار، قال صلّى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة قاطع رحم» (١)

دعم الإسلام هناءة الأسرة، فأحكم وثاقها بمن تربطها بهم قربى، وشد أزرها بما أوجب من تراحم الإخوة والأخوات، وبني العمومة والعمات ومن يليهم، فليس أرضى لله من صلة الرحم التي امر أن توصل، وبر الأهل والعشيرة، الذين يزكو عندهم إسداء المعروف، وليس اجلب لسخط الله من إهدار هذه الحقوق التي يوغر إهدارها الصدور، ويثير العداوة، ويورث الأحقاد، ويجعل الأسرة متعاطفة متدبرة متخالفة.

ورعاية أولي الأرحام، والتوسعة عليهم، بما لا يشق إسداؤه إليهم، هوعصام هذه الأسرة من التفكك، وزمامها من الانحلال والزوال، وهو دواء أنفس أن غفلت عن مغزى قول طرفة بن العبد الجاهلي:

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

فما ينبغي أن نغفل عن صورة الرحم الفذة في قول المعصوم صلوات الله عليه (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم، فقالت:هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم. اما ترضين أن اصل من وصلك، واقطع من قطعك؟قالت:بلى قال:فذاك لك.ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم)(٢)

لقد شق الله للرحم اسماً من اسميه



الرحمن الرحيم، ومن رحمته التي وسعت كل شيء في هذه الحياة، وجعلها خالصة للمؤمنين يوم نلقاه، ليعظم حقها على العقلاء، الذين يفهمون أن الحياة لا يمكن أن تصفو بغير تراحم الأقرباء، وتعاون الأحياء.ذلك وحي الحياة، وحديث الواقع قبل أن يكون وحي السماء وحديث النبوة، ووصايا الآباء للأبناء!!

أقاربنا أعضاء في جسم المجتمع

وأن في أفراد كل أسرة من الجفوة، والشطط عن صراط الله، قدراً مما شكا منه احد صحابة الرسول فيما روى أبو هريرة (أن رجلاً قال:يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، واحلم عليهم ويجهلون علي، فقال:إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل – الرماد الحار– ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)(٣)

ومن معاني هذا التوجيه النبوي، أن لهؤلاء الجاحدين حقوقاً على ذوي القلوب الكبيرة، فالإحسان إلى المسيء من أدب الإسلام الذي يقول رسوله لعقبه بن عامر– وقد سأله: يا رسول الله أخبرني بفواصل الأعمال – فقال يا عقبة. (صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك)(٤) ثم أليس هؤلاء أعضاء في جسم المجتمع الذي يمنى بتشويه فادح إن نحن بترناهم من قبل أن نبلوا عذراً بمحاولة إصلاحهم.والعربي يقول:

وامنحه مالي، وودي، ونصرتي
وإن كان مطوي الضلوع على بغضي

ويقول المقنع الكندي:

وأن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني أمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي، وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا!

ومن قبل هؤلاء قال حاتم:

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى
وما منهما إلا سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة
غنانا ولا أزري باحسابنا الفقر!

وأين من هؤلاء الأمجاد، ذلك الذي قيل فيه:

سريعا إلى ابن العم يلطم خده وليس إلى داعي الندى بسريع!

صلة الرحم في كتاب الله

قال الله تعالى (أنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر

كاتب صحفي سوري



الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب...)(٥)

وقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٦)

فانظر في أي سياق وضع الله الذين يصلون أرحامهم؟ومع من سلك الجفاة القاطعين؟! ولا أراك تود أن تذكر بين الذين يفسدون في الأرض، فيستجلبون لأنفسهم لعنة الدنيا والآخرة، و أنما تسارع لتكون بين أولي العقول الراجحة والقلوب المبصرة...

(فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم)(٧)

وقال الله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...)(٨)

وقال الإمام النسفي (كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة، ثم نسخ ذلك، وجعل التوارث بحق القرابة)(٩)

الرسول المثل الأعلى في صلة الرحم

إن القول في صلة الرحم ذو سعة.. ولكن نجتزئ منه ببعض أطراف من تاريخ رسول الله وآله في ذلك، فهي قبس يضيء جوانب البحث، ويجمع القلوب والعقول على الأسوة الحسنة بالرسول في بره بأهله وحدبه على مؤمنهم وكافرهم على السواء، ولعل في ذلك ذكرى للذاكرين..

كان العباس عم رسول الله بين أسرى بدر، مع عقيل بن أبي طالب، وغيره من أبناء أخوته وحلفائهم، فلما أمسى الأسرى في الوثاق، بات النبي ليلته مسهداً فقال أصحابه، مالك يا رسول الله؟قال سمعت أنين العباس من وثاقه، فقاموا إليه فأطلقوه، فنام النبي بعدئذ، ثم لم يلبث أن اقتضاه فداءه، وفداء بني أخويه، وحليف بني هاشم- عقبة بن عمر- فالفداء حق المسلمين، وما كان صلوات الله عليه ليحابي في شيء منه أحداً، وان كان عمه الذي توجع لأنينه.!!

ولقد كان إسلام حمزة براً منه بابن أخيه، يوم أن عاد من الصيد، فقالت له امرأة:أن أبا جهل آذى ابن أخيك وسب أباه، فذهب حمزة إلى أبي جهل فشجه وأنَّبَه وقال (أتسب محمداً وأنا على دينه أقول ما يقول) وبهت عدو الله وعدو رسوله عند ذلك، وكان إسلام حمزة أوجع لقلبه و أنكى من هذا الأذى المادي الذي أصاب جسمه، وبقي الرسول يذكر هذه المنة لعمه، حتى وقف على جثمانه حين استشهد في أحد، وقال (يرحمك الله يا عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات).

وكان فتح خيبر عيدا من أعياد الإسلام – وعاد يومئذ جعفر من الحبشة – فقال النبي (ما ادري بأيهما أنا اشد فرحاً بفتح خيبر أم برجوع جعفر) وتوالت الأيام، ونعم جعفر بالشهادة في غزوة مؤتة، وضجت المدينة ببكاء الشهداء، وسمع الناس إلى النبي وهو يقول (لكن جعفر لا بواكي له) ثم يلتفت إلى أهله ويقول (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد نزل بهم ما يشغلهم)!!

يقول عبد الله بن جعفر (جاءنا النبي بعد ثلاث، من موت جعفر، فقال) لا تبكوا على أخي بعد اليوم، وادعوا إليّ بني أخي) فجيء بنا، كأننا أفراخ، فأمر الحالق فأصلح من شعرنا ثم داعبنا!!!

صلة الرحم مثمرة في الدنيا والآخرة

إن الرحم وشيجة إلهية، نافعة في الدنيا والآخرة، فالنبي يقول (من أحب أن ينسأ له في عمره وان يوسع عليه في رزقه، فليصل رحمه)(١٠) وهي- بعد الإيمان بالله – أبر ما يرجى يوم القيامة، قال تعالى مؤيساً الكافرين من رحمته: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم..)(١١) فليس عجباً أن يكثر الرسول الوصاة بهذه الفضيلة فيقول: (بلوا أرحامكم ولو بالسلام)(١٢)

يقول البلوى: (صلوا أرحامكم بما أمكن، فإن عدمتم، فأقل شيء يكون بالسلام، وهو بأن تزور ذا رحمك، فتسلم عليه، وتؤنسه بالقول، وتلين له الحديث وبمثل هذا يستمال الغريب، فكيف بالقريب، و النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم؟أفشو السلام بينكم)(١٣)

فهل نرعى الرحم- أفرادا وجماعات وشعوبا- فنرغم غمرات الحياة التي تحيق بأممنا على التبدد والزوال إنما يهتم بأمر المسلمين بكل مكان ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) ولله الفضل و ألمنه (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا(١٤)

وأخيراً فإن صلة الرحم تزيد في العمر والرزق وهي سبب في التوفيق لطاعة الله، والابتعاد عن معصيته وتشعر بالسعادة والطمأنينة في الحياة، وتكشف الكروب، وتدفع البلاء، وتقضي الحوائج، لأن من وصل رحمه وأعان أقرباءه كان عونه لهم سبباً في عون الله تعالى له.لهذا فإن محافظة الأسر على صلة الرحم حلقة من حلقات اتحاد الأمة وتعاضدها وتساندها .

المراجع

١- صحيح البخاري ح (٥٦٣٨)
٢- ألمنذري ج٣ص ٣٣٨-٣٣٩. والأية من سورة محمد ٢٢-٢٣.
٣- المصدر السابق ص ٣٤١.
٤- المصدر السابق ص٣٤٢.
٥- سورة الرعد(١٩-٢١)
٦- سورة الرعد :٢٦.
٧- محمد :٢٢-٢٣.
٨- الأحزاب:٦.
٩- تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٢٦.
١٠- متفق عليه وفي رياض الصالحين ص ١٤٥.
١١- الممتحنة-٣.
١٢- المجازات النبوية للشريف الرضى ص٨٤.
١٣- ألف باء ج١ص٤١١.
١٤- صدر سورة النساء.



كيف تعالجين عادة السرقة عند طفلك؟

د. نجيب محمد الجباري

لماذا يلجأ بعض الأطفال إلى سرقة أشياء من منازلهم أو سرقة نقود من والديهم أو سرقة أدوات مدرسية من رفاقهم رغم أن أسرتهم تكون قد وفرت لهم كل شيء من لعب وملابس ونزهات وأدوات... الخ؟

لماذا يسرق الأطفال ؟ ما أسباب ودوافع ذلك؟ وهل يمكن اعتبار هذا الفعل سرقة فعلا؟ وكيف يتصرف الآباء عندما يعلمون أن طفلهم ارتكب هذا الفعل؟

يقول أرسطو: «لا يمكن اعتبار إنسان ما سارقا لمجرد أنه سرق» معنى ذلك أن الطفل الذي لم يتمثل بعد معنى الملكية الفردية ليميز بين ماله أو حاجته ومال وحاجة الآخرين، ولم يفهم بعد معنى الخير والشر والصالح والطالح.. لا يمكن اعتباره سارقا، بما للكلمة من دلالة وفظاعة، إذا ما قام بهذا الفعل. لذلك ذهب بعض علماء النفس إلى أن الطفل يدرك معنى السرقة ابتداء من السنة السادسة أو السابعة، وهي السنة التي يدخل فيها المدرسة حيث يبدأ يتكون لديه ما يمكن تسميته بالحس الاجتماعي Sens social الذي يساعده على التعامل مع الآخرين على أساس الحقوق والواجبات.

وتنتشر السرقة في هذه المرحلة بين الأطفال الذكور، وتبدأ بالظهور لأتفه الأسباب، إما لشراء أشياء يرغبون في اقتنائها، وإما لكسب صداقة رفاقهم، أو يسرقون من والديهم بدافع الرغبة في معاقبتهم، حتى إن بعض الأطفال يسرقون بدافع لاشعوري للاستمتاع بتلك القشعريرة التي تنتابهم أثناء عملية السرقة، أو ليثبتوا لأنفسهم أنهم يتمتعون بالشجاعة والحيلة أو ليتأكدوا بأن الحظ إلى جانبهم... إلى غير ذلك من الدوافع اللاشعورية التي قد تكون السبب الرئيسي في ميل الطفل إلى السرقة(١).

والطفل الذي يجمع ممتلكات الغير ويخفيها، ربما يعود ذلك إلى افتقاره للقدر المناسب من الزخم العاطفي المتمثل في الحب والحنان، وربما يحاول الحصول على الشيء الذي يحس أنه لا يملكه أو يمنع عنه، أو عندما يغار أو يحسد طفلا آخر. وقد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو لإحساسه بالحرمان، أو تقليدا لبعض الزملاء في المدرسة، أو بهدف الشعور بنوع من القوة والانتصار وتقدير الذات، وقد يسرق الطفل بسبب وجود مرض نفسي أو عقلي أو بسبب معاناة من الضعف العقلي وانخفاض الذكاء، مما يجعله فريسة سهلة تحت سيطرة أطفال أكبر منه قد يوجهونه إلى السرقة.

وعندما يعلم الآباء بإقدام الطفل على السرقة ينتابهم شعور بالغضب أو الخوف وأحيانا الخجل والحرج، خاصة إذا كان ضحية السرقة أحد الأقارب أو الأصدقاء أو زملاء المدرسة وتزداد حدة هذه المشاعر إذا لاحظ الآباء أن طفلهم يستمر في هذا السلوك ويكرره متحديا سلطتهم وسلطة القيم الأخلاقية والاجتماعية السائدة.

والأدهى من ذلك والأمر هو أن يجد الطفل من أحد أبويه من







يدفعه أو يشجعه على السرقة، فإن الطفل، لا محالة، سيكون متماديا في الإجرام عريقا في الانحراف والسرقة.

وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصات

يحكى أن إحدى المحاكم الشرعية حكمت على سارق بقطع يده، فلما حانت لحظة التنفيذ صرخ بأعلى صوته قائلا: «قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي، فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني، ولم تطلب إليّ إرجاعها إلى الجيران، بل زعردت وقالت: الحمد لله، لقد أصبح ابني رجلا، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقا»(٢).

لهذا وجب على الآباء والأمهات وأولي الأمر جميعا، أن يعطوا لأطفالهم القدوة الحسنة والنموذج الصالح في التربية والتعليم، ويجنبوهم لعب الشارع وأصحاب السوء والشر حتى لا يتأثروا بانحرافهم ويكتسبوا من عاداتهم، ويلقنوهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وسير الخلفاء الراشدين والصحابة والتي تحذر

قد يسرق الطفل لشعوره بالنقص أو الإحساس بالحرمان

من هذه العادة وتبيّن ما أعد الله للسارقين والسارقات من إثم كبير وعذاب أليم. قال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة.. فانحدر بنا راع من الجبل، فقال له عمر ممتحنا: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك، فقال عمر: قل لسيّدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك، فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

يوجه خبراء التربية وعلم النفس عدة نصائح للأهل والأسرة حتى لا تتفاقم هذه الآفة، منها ضرورة وقوفهم ضد فعل السرقة من بدايتها مهما كان حجمها ومستواها عن طريق إخبار الطفل بأن السرقة سلوك خاطئ، وأنه لا يستفيد منها بأي شكل من الأشكال، كما أن مواجهة الآباء لهذا الموقف ينبغي أن تكون مواجهة عقلانية بعيدة عن الغضب والانفعال والتعصب والتهديد لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى نتائج وخيمة وخصوصا على المدى البعيد مادام الطفل لم يقتنع بعدم جدوى السرقة، بل يجب علينا نحن الكبار أن نشعر الطفل بأننا نتفهم الإغراء الذي تعرض له، مع حثه على مقاومة هذا الإغراء وعدم الاستسلام والرضوخ له بسهولة، وبذلك فإننا نعبد طريق الحوار والتفاهم بيننا وبين الطفل، يتعهد فيه بعدم تكرار ذلك مرة أخرى، محافظا في الوقت نفسه على كرامته وتقديره لذاته، وعدم شعوره بالإحباط والهزيمة وبالتالي نقوي لديه قيم الصدق والأمانة، وفي نفس الوقت يشعر الطفل باستمرار حبنا وحمايتنا له، ويحتفظ بصورة إيجابية عن ذاته(٣).

الهوامش

(١) راجع: Bettelhein (Bruno): pour etre des parents acceptables- Collection Reponses. Ed: Robert Laffont Paris -1988 p132-133.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي ص١٦٢ نقلا عن: عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام: المجلد ١ ص١٤٠- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط٣٢- ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣) انظر: hijazi (Med): delinquance juvenile et realisation de soi. ED. Massou. Paris ١٩٦٦



فكرنا مرتع خصب للخرافات!

مليكة محمد الحامدي

لما كانت قوة الإنسان تكمن في الجنوح نحو الخيال لابتكار كل ما يخدم مصالح الإنسان، ويسد حاجته، ويُرضي فضوله، كان لابد من وضع أسس منطقية عقلية تحد من شططه، وتنظم تلك القدرة الكامنة فيه تنظيمًا يُحقق له التوازن والأمان والرقي، ولأن الإنسان يؤثر ويتأثر بمحيطه، فقد عني الإسلام منذ بزوغ فجره عناية فائقة بتربية الطفل تربية صحيحة سليمة لتأسيس فكر إسلامي علمي واعٍ موّحد، يكون المثل الأسمى في الصرح الحضاري التربوي الإنساني.

يتبدى لي في خضم هذا الزخم الهائل من وسائل التثقيف المرئية والمسموعة والمقروءة والمتعارف عليها في أوساط مجتمعاتنا من محاضرات تربوية ومنتديات إرشادية وخطب دينية ومجالس فكرية، تسلل وهن اللاتوعية إلى هيكل العقلانية الإسلامية عبر حلقة مفرغة تنخر بأسس منهجها التربوي المتزن، وذلك بإدراج معلومات خرافية وخاطئة إلى بنية الفكر الإسلامي من خلال الأمثال الشعبية، وقصص الأطفال، وبعض الأفلام الخيالية الخاصة بشرائح معينة، إما عن قصد لتكبيل قواها العقلية، أو عن تبعية وتقليد أعمى لمروجيها، وبالتالي صياغة هيكل فكري إسلامي مشوش يعزز الخرافة وشطحات الخيال ويعتمد الاحتمالات في أموره المهمة وحتى الهامشية منها.

فالمعلومة الخاطئة والخرافية ظاهرة تكاد تكون منتشرة في جميع الأسر والمجتمعات والطوائف والشعوب والأمم، وقد شاع ذلك منذ زمن بعيد وفي مجالات عديدة.

لكن هالني ما سمعته من موقف خرافي في عصرٍ يتسم بالعولمة والسرعة والانفتاح، فقادتني الدهشة من هذا التلوث الفكري المجتمع إلى جمع بعض المعتقدات الخرافية السائدة، لتكشف لي عن أسرار وخبايا تلك التصورات الخيالية وربطها بالواقع، والدوافع الكامنة وراء تعزيزها رغم أنها لا تمت إلى الحقيقة بصلة، لكنها وللأسف مازالت تطبق وتمارس عند كثير من الأسر في مجتمعاتنا الإسلامية المنوعة.

ويدرجونها تحت بند التفاؤل أو التشاؤم إما عن إيمان متوارث بها يورثونها لأبنائهم، أو على اعتبارها اسلوبًا من أساليب التخويف والترهيب والاخضاع والردع، أو اتخاذها ضربًا من ضروب الفكاهة لإنماء ذاكرة الطفل بحسب زعمهم.. أو التذرع بها هروبًا من واقعهم.

هذا نزر يسير ومبسط مما جمعته من معتقدات وممارسات خرافية متأصلة ومنتشرة بشكل يدعونا إلى وقفة تأملية عميقة، وإلى مراجعة ذاتية الطريقة حياتنا وتربيتنا ومعتقداتنا لمعالجة هذه الظاهرة.

الخرافات في حياة أبنائنا

تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الأطفال من خلالها خبرات متنوعة تضبط سلوكهم باتجاه إيجابي أو سلبي في ضوء تلك المكتسبات.

ومن المعروف أن التفاعل الأمومي يجعل الطفل في شهوره الأولى شديد الالتصاق والتأثر بوالدته، فتعتبر هي المحطة الأولى التي تتم من خلالها عملية الاكتساب، ثم فيما بعد يصبح شديد التعلق بوالده، فيشكل له هذا الثنائي محور الحياة، وتبدأ عنده عملية تقمص شخصيتهما منذ السنوات الأولى من عمره، فيقلدهما فيما يفعلانه، ويصدقهما في كل ما يقولانه، ويخزن في ذاكرته صورًا ومواقف كثيرة لهما ويطبقها في سلوكه، حتى وإن أبدى في إحدى مراحل حياته تمردًا عليهما واستقلالية عنهما، إلا أنه لا إراديًا ينصاع لنمط تربيتهما.

ومن الأسهل على الأطفال أن يتقمصوا نماذج أبوية عديدة، ثم نماذج من الراشدين، ثم نماذج من أترابهم وخاصة عند دخولهم المدرسة، ولأن الأطفال لا يميزون ولا يقدرون الفروقات التربوية فيتم من خلال النماذج الثلاثة (الآباء- الراشدون- الأتراب) إدخال معايير وأنماط سلوكية مختلفة، إيجابية أو سلبية، واقعية أو خيالية إلى مخزون الذاكرة وساحة اللاشعور، فيتأثرون بها تأثرًا بالغًا ويمارسونها بقناعة كبيرة إذا لم يتلقوا الإرشادات السليمة والمستمرة من أولياء أمورهم.

فإن تم اكتساب أصول من التربية الصحيحة المعتمدة على الأفكار العلمية الدقيقة فإن ذلك من فضل الله تعالى،

باحثة سورية



وإن تم العكس فتلك الطامة الكبرى، حيث تعمل المعلومات المشوشة والخرافية في نفوس الأطفال عملها السلبي في أوانها وعلى المدى البعيد من حياتهم، وربما تستمر حتى كهولتهم، إذ يتشربون عقيدة دينية خاطئة، ويتبنون ثقافة اجتماعية وسياسية واقتصادية مهشمة ومهمشة، ويتصرفون إزاء المواقف المهمة من حياتهم بكثير من الاستهتار المبطن بالقلق والشكوى والضياع، وهناك الكثير من المشكلات النفسية والجسدية والذهنية التي يعانيها أبناؤنا قد تعزى إلى الخرافات والمعلومات الخاطئة التي ندخلها إلى عالمهم الفطري من دون أن نلقي لها بالاً، ومنها:

السلوك العدواني إزاء شخص ما أو إزاء مقتنياته، وكره الذات والانفلات الاجتماعي، وقد يصاحب ذلك السلوك تشنجات عصبية واضطرابات في النوم وسوء الهضم والقلق والخوف من أبسط الأمور كالظلام والأصوات المرتفعة والتجول على انفراد حتى في الأماكن الآمنة، فضلاً عن التأثير السلبي على الأداء الدراسي والإدراكي والحركي.

وإن استمرت المعلومات الخرافية في أخذ مجال أوسع وصولاً إلى سن الرشد دون تصحيح أو تنبيه إلى عدم مصداقيتها، فإنها قد تأخذ بسلوك الراشد إلى منحى أسوء، حيث تؤدي به إلى الانعزال الاجتماعي التام، وربما إلى الجنوح والشذوذ، وممارسة نشاطات غير إنسانية كالسرقة والاحتيال والخيانة ونثر الأكاذيب وبث الإشاعات و... الخ.

وقد يتخذ أحيانًا الوجه الآخر، فينحو نحو الدين ويتشبث به في كل صغيرة وكبيرة، إلى أن يصل إلى حد التصوف اللامعقول والتعصب له، والزهد في الحياة، كل ذلك مرده إلى التناقضات التي يعايشها بشكل مباشر وغير مباشر، وتنمو استجابة للإحباطات والمعاناة في الطفولة.

وتلك السلوكات تتم بدافع الانتقام من ذلك العالم الذي حرمه العيش بأحضان الحياة بصدق وشفافية وعلاقات مباشرة مع ذاته ومحيطه ومدارك حواسه بشكل طبيعي.

فعلينا أن ندرك إذن أن المناداة بأصول التربية الإسلامية الصحيحة وضرورة الاقتداء برسول الله محمد ﷺ، وجميع الأنبياء والرسل من قبله في المنهج العلمي التربوي ستتبخر أصداؤها إلى الفضاء الخارجي إن لم نحطم أصنام فكرنا التي نجعلها شركاء لله جل وعلا دون دراية منا، قال العزيز الجليل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف -١٠٦).

خلاصة

إن التربية السليمة تهدف إلى جعل السلوك القويم للفرد هو منطلق النجاح والتميز والسمو بالمجتمع من خلال الانفتاح الفكري المرتكز على أسس علمية دينية أخلاقية، والمربي.. سواء كان الأب أو الأم أو الأخ أو المعلم، هو العنصر الفاعل في العملية التربوية، ويكون أثره مرهونًا بما يحمل في رأسه من علم وفكر، وما يحمل في قلبه من إيمان وصبر، وحتى يحصد ثمرة نجاحه في التربية، عليه أولاً إزالة كل الشوائب المعلوماتية من فكره، ثم يسعى جديًّا بالقضاء عليها بالتوعية الإرشادية الدائمة للأسرة والمجتمع والمدرسة، وزرع المعلومات العلمية الدقيقة في عقول ونفوس أبنائه، مع مراعاة بث روح التفاؤل والرضا، وتجنب الحديث عن الأشياء المخيفة، كالموت والجرائم وما شابه ذلك.

وهنا أُذكّر أنه على المربي أن يسرد لأبنائه قصصًا من الخيال الواقعي يحثهم من خلالها على القيم الأخلاقية والعلمية والدينية الاجتماعية، ويبتعد عن السرد الخيالي اللاواقعي وينبههم دومًا إلى أن معظم ما يشاهدونه اليوم من أفلام الرسوم المتحركة، وأفلام «الأكشن» الخيالية إنما هو عالم لا وجود له، وليضبط مدة زمن متابعتهم لها، ويسد حاجتهم إليها بشيء مفيد ونافع لهم، كممارسة الرياضات والهوايات التي يحبذونها، وتعليمهم بعض المهارات الفكرية واليدوية، ومن الأهم أن يقتطع ولي الأمر جزءًا من وقته بشكل يومي ولو بضع دقائق للجلوس مع ابنائه، والغوص إلى عالمهم الفكري ليكتشف جوانب خفية من مكنوناتهم تساعده على إرشادهم وتوجيههم للأصوب، مما يزيدهم إحساسا بالأمان ورفع مستوى الفاعلية الفكرية والإبداعية في جميع مجالات حياتهم.

صحيح أن هناك الكثير من المشكلات التي يعانيها أبناؤنا وتنعكس سلبًا على مجتمعاتنا.

لكن هناك أيضًا الكثير من الحلول غير المستعصية تتطلب منا صبرًا وحكمة وحبًّا حقيقيًّا.

وهنا أذكّر ببعض الحلول التي تحتاج إلىخطوة واعية، مؤمنة وأمينة وهي:

أولًا: أن يكون التوجيه التربوي الأسري موحّدًا: أي أن يتنازل أحد الأبوين عن وجهة نظره في فكرة أو موقف معين للطرف الآخر أمام أبنائهم، حتى يكون مثالًا يحتذى به في الاتزان الفكري والقوة العقلية، لأن الأبناء الذين يواجهون نظامًا غير ثابت وموحد في التوجيه ينزعون إلى استنتاج أن أبويهم أناس لا يعتمد عليهم ولا يوثق بهم.

ثانيا: أن يكون الكادر المدرسي ذا نظام توجيهي تربوي علمي متفق عليه، لتخريج تلاميذ أسوياء تربويًّا وعلميًّا وفكريًّا، واجتماعيًّا.

ثالثا: أن تكون الجبهة الاجتماعية متعاونة ومخلصة لدينها ووطنها ومسؤولياتها.

وذلك بتبني أصول وإيجابيات التربية الحديثة، ومحاربة كل ما هو سلبي منها من أجل الارتقاء بمجتمع يستحق أن يطلق عليه المجتمع الإسلامي الأرقى.

هل تمنع الإعاقة العلم والعمل؟

أحمد محمد القزعل

الإعاقة هي الحالة التي تعمل على الحد من قدرة الشخص على القيام بوظيفة أو أكثر من وظائف حياته اليومية، وتنشأ عن إصابة بدنية أو نفسية أو عقلية، ولا تقتصر كلمة «معوق» على المعوقين عن الكسب والعمل والإنتاج فحسب، بل تشمل المعوقين عن التكيف اجتماعيًا ونفسيًا مع البيئة المحيطة بهم، وكان يسمى أصحاب الإعاقة- قديمًا- بالمكفوفين، والصم، والمشلولين... وهذه تسميات سلبية تؤثر سلبًا في علاقة الفرد بمجتمعه؛ لذلك تم استبدال مصطلح «ذوي الاحتياجات الخاصة»- حديثًا- بهذه التسميات، وهذه تسميات إيجابية تمنح الفرد انطباعًا جيدًا وتفاعلاً مثمرًا مع مجتمعه.



وأذكر أمثلة من نماذج حية من رحب فضائنا الإنساني المبدع قاموا بتفعيل إمكاناتهم، وتوظيف طاقاتهم الكامنة في خدمة الإسلام والإنسانية جمعاء، ومنهم:

١- عبدالرحمن بن عوف: هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، كان رضي الله عنه ساقط الثنيتين، أهتَم، أعسر، أعرج، حيث أصيب يوم أحد، فهتم، وجرح عشرين جراحة بعضها في رجله، فعرج، وكان يزرع بالجُرُف على عشرين ناضحًا، ويمتهن التجارة، وخلف ألف بعير، ومائة فرس.

من أفضل أعماله: عزل نفسه من الأمر وقت الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض بذلك وجمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص (١).

٢- عبدالله بن مسعود: شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وهو من النجباء العالمين السابقين الأولين، روى علمًا كثيرًا، وقد انفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله في مسند بقي بن مخلد بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا.

كان خفيف اللحم قصير القامة شديد الأدمة، وفي ذات يوم أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله حين صعد الشجرة، فضحكوا من حُمُوشَة ساقيه، فقال ﷺ: «ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبدالله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد» (٢). (٣).

٣- سعيد بن المسيب: هو سيد فقهاء التابعين، كان طويل القامة أبيض الرأس واللحية، أعور، عُرف بسعة العلم والفقه، وهو سيد علماء المدينة السبعة المشهورين وأفضلهم بشهادة العلماء، ولذلك لُقّب بـ «فقيه الفقهاء» (٤).

٤- عطاء بن أبي رباح: كان ثقة فقيهًا عالمًا كثير الحديث وقُطِعت يده مع ابن الزبير، وكان عطاء أسود اللون، أعور، أفطس، أشل، أعرج، لكن ذلك لم ينل من علمه وعمله شيئًا، ويقول ابن جريج: لزمت عطاء ثماني عشرة سنة، وكان بعدها قد ضعف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك، وكان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة.

ويقول عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: ما أدركت أحدًا أعلم بالحج من عطاء بن أبي رباح (٥).

٥- محمد بن يعقوب بن مَعْقِل بن سِنَان الأموي: إمام محدث، مُسند العَصر، كان أصم، وقد لحقه الصمم وهو شاب له بضع وعشرون سنة، ولم يختلف أحد في صدقه وصحة سماعه، وكان يأكل من كسب يده، حدّث عنه الحسين القباني والحافظ أبوعلي النيسابوري والفقيه أبونصر محمد بن علي الشيرازي وآخرون (٦).

باحث دراسات إسلامية سوري



٦- عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري: لم يشهد بدرًا وكان أعرج، ولما خرج المسلمون يوم أحد منعه بنوه وقالوا: عذرك الله، فأتى رسول الله ﷺ يشكوهم، فقال: "لا عليكم ألا تمنعوه لعلّ الله يرزقه الشهادة" (٧). (٨).

٧- الترمذي: من أصحاب السنن وعلماء الحديث الأفذاذ، وكان ضريرًا قوي الحافظة يُضرب به المثل في الحفظ والضبط (٩).

٨- أبوالأسود الدؤلي: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، واشتهر بأبي الأسود الدؤلي، لسواد لونه، وهو أول من وضع النحو، وقد وصل في عهد علي رضي الله عنه إلى أعلى المراتب، إذ أصبح قاضيا للبصرة أميرا عليها، وجُعل وسيطا بين عليّ ومعاوية في معركة الجمل، وشارك في معركة صفين (١٠).

٩- بشار بن برد: أبومعاذ، الشاعر الضرير المشهور، جاحظ الحدقتين، قد تغشاهما لحم أحمر، وهو من أشهر الشعراء في العصر الأموي والعباسي، ولد أعمى، فما رأى الدنيا بعينيه، وكان يقول:

عميت جنينًا والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئلًا (١١)

١٠- فرانكلين روزفلت: أصيب روزفلت بمرض شلل الأطفال في صيف ١٩٢١م، فنتج عنه عجز روزفلت التام عن استخدام ساقيه، لكن روزفلت تذرع بالشجاعة والمثابرة للسيطرة على حالته الجديدة.. وفي عام ١٩٣٢م أصبح روزفلت الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأميركية (١٢).

أخيرًا ما أحوج شعوب العالم الإسلامي للاستفادة من دروس وعبر الإعاقة التي تحول المحنة إلى منحة، والأمل إلى واقع، فتشحذ الهمم، وتذكر الإنسان بنعمة الصحة والعافية.

هؤلاء معاقون صنعوا التاريخ



الهوامش

١- انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد، الذهبي، عمل: حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط١٤٢٤،١هـ-٢٠٠٤م، الجزء: ٢، الصفحة: ٢٢٠٩.

٢- أبوعبدالله، أحمد بن حنبل، المسند، عمل: أحمد محمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة،١٤١٦هـ-١٩٩٥م، رقم الحديث: ٩٢٠، الجزء: ١، الصفحة: ٥٥٩.

٣- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة: ٢٥٢٣.

٤- انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، عمل: إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، الجزء ٢، الصفحة: ٣٧٥.

٥- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة: ٢٦٨٧.

٦- المصدر السابق نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٣٧٧٦.

٧- أبوعبدالله، محمد بن محمد، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الجزء ٢، الصفحة ٣٧٥.

٨- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة ٢٨٤٢.

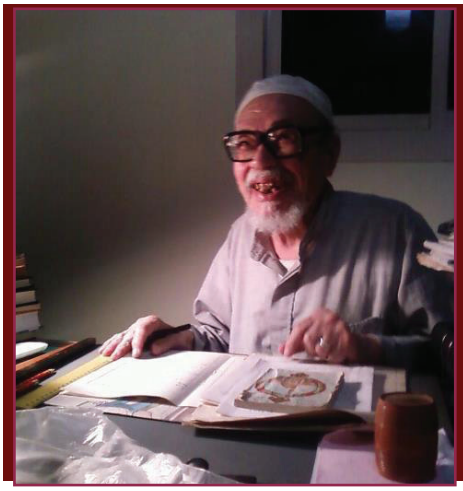
٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء ٤، الصفحة: ٢٧٨.

١٠- سير أعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة ٥٣٥.

١١- المصدر السابق نفسه، الجزء ١، الصفحة ٢٧٢.

١٢- موقع إنسانيات، الرابط الإلكتروني:
http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=٣٣٤f١b٩٦٠٤٣fed٥e

العالم البحاثة المدقق المسند .. الشيخ أحمد مختار رمزي



محمد عبداللطيف رمضان

ولد في بيت علم وصلاح سنة ١٣٤٢هـ- ١٩٢٤م ونشأ في كنف والده الذي كان سببا في عشق ابنه للعلم، وبعد حصوله على الابتدائية التحق الشيخ بالمدرسة الخديوية الثانوية، ولازم الأستاذ حسن البنا وهو مازال بالسنة الأولى الثانوية، وحضر له دروس الثلاثاء، وعيّن الشيخ بدار المحفوظات العمومية سنة ١٩٤٧م، وظل يترقى بها إلى أن صار وكيل دار المحفوظات العمومية.

تردد الشيخ أحمد مختار رمزي على كوكبة من أكابر العلماء الفضلاء النبلاء، نذكر منهم:

فضيلة العلامة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين- شيخ الأزهر، وفضيلة العلامة الإمام الشيخ الرباني محمد الأودن، وفضيلة الشيخ منصور علي ناصف، صاحب كتاب «التاج الجامع للأصول»، وكان الشيخ منصور ناصف يقرأ كتابه المذكور في مسجد السيدة زينب- رضي الله عنها- يوميا من المغرب إلى العشاء، وفضيلة الشيخ مصطفى أبوسيف الحمامي، خطيب الجامع الزينبي، وكان يلقي درس التفسير فيه أيضا بعد صلاة العصر، وفضيلة الشيخ عبدالسلام المنير، وفضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكي، وفضيلة الشيخ عمر وجدي الكردي، شيخ رواق الأكراد والأتراك بالأزهر الشريف وتلميذ الإمام الكوثري، والسيد الأستاذ أحمد خيري، تلميذ الإمام الكوثري أيضا، والأستاذ علي داود تلميذ العلامة يوسف الدجوي- رحمهم الله- وغيرهم.

شيوخه في الرواية

لم يكن الشيخ أحمد مختار رمزي أثناء تردده على هذه الكوكبة من السادة أهل العلم معتنيا بالرواية، فلم يستجز أحدا من المذكورين الذين يعنون بالرواية ويقصدون للاستجازة، لكنه اعتنى بعد ذلك بالرواية، واستجاز عددا من أهل العلم من الأئمة الأعلام الحجج الأثبات- ذكر أسماءهم في إجازته، وفي طليعتهم: العالم الرباني عبدالقادر كرامة الله البخاري، إمام وخطيب الجامع السنوسي برابع، والعلامة محمد عبدالرشيد النعماني- بركة الديار الباكستانية، وإمام العصر فضيلة العلامة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، وكانت بينهما مكاتبات ومراسلات علمية، والمحدث الكبير فضيلة الشيخ عبدالفتاح حسين راوه، المدرس بالحرم المكي الشريف وصاحب كتاب «المصاعد الراوية إلى الأسانيد والكتب والمتون المرضية»، والعلامة المبارك صاحب الفضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية بالقاهرة، وأصحاب الفضيلة الشيخ المسند مالك بن العربي بن أحمد الشريف السنوسي، ومحمد علي المراد الحموي المدني، ومحمد بن أحمد عمر الشاطري، وعبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن محمد بن حسين الحبشي العلوي، ومحمد أبوبكر أحمد الحبشي، وأبوعبدالله محمد تيسير بن توفيق المخزومي

أبوغدة كان يقول له : سيدي المحدث العلامة.. والنعماني : مولانا المحدث

باحث من الأزهر الشريف

الشافعي المكي أصلا، الدمشقي مولدا، وعبدالرحمن بن أبي بكر الملا، وأبوالحسن علي الحسني الندوي الداعية الإسلامي الكبير، وفضيلة الدكتور سعد سعد جاويش، وعبدالغني الدقر، وكريم راجح شيخ القراء في دمشق، وغيرهم.

أخلاقه وعلمه

تميز الشيخ- رحمه الله- بدماثة خلقه وبشاشة وجهه وتواضعه مع الصغير والكبير، فكان- رحمه الله- لا يكل ولا يمل من استقبال طلاب العلم والمعرفة في بيته الكريم، حيث كان يقصده الكثيرون من المتعطشين إلى المعرفة والاستفادة من أخلاقه وحلمه وعلمه، برزت أخلاق الشيخ في معاملته مع الجميع حتى أصبحت سجية له حتى في حواره مع الآخرين، ويتضح لنا هذا المعنى جليا أثناء قراءتنا لمؤلفات الشيخ وطريقة مناقشته لأفكار وعقائد المخالفين، يقول- رحمه الله- في مقدمة كتابه «عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين»: «أما بعد: فهذا مختصر في عقائد أهل الكتاب، كتبت فصوله في أوقات متفرقة وأحيان متباعدة، استقيته مباشرة من نصوص أسفار كتابهم المقدس، ورسائل رسلهم، وقراءات مجامعهم، وأقوال أحبارهم ورهبانهم، حتى يكون القارئ على بصيرة من أمره وتستبين له الحقيقة، وعلم الله أني لم أرد به غلبة في جدال، أو تفوقا في مناظرة، أو تهجمًا على اعتقاد، وما قصدت به إحراجًا ولا إيلامًا، بل كان قصدي إظهار الحقيقة لتصل الهداية إلى القلوب، وتشرق النفوس بنور اليقين».

فتأمل أخي القارئ هذه الكلمات النيرات الطيبات الباسقات المشرقات التي يبرز لنا فيها صدق النية وإخلاص الطوية، ويتجلى لنا فيها قوة الفكر ودماثة الخلق وجمال الأداء في بيان غرض الحوار والنقاش مع الآخر في وقت نحن أحوج ما نكون إلى مثل هذا المستوى من الرقي في الفكر والنقاش والحوار مع الآخرين، أما عن علمه فقد كان- رحمه الله- مولعا بالعلم عاشقا له، كثير الاطلاع، محبا للكتب، حتى بلغ به ولعه بالكتب وعشقه لها أن يعلق على جدران مكتبته بيتين من الشعر في هذا المعنى:



ألا يا مستعير الكتب دعني
فإن إعارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي
وهل أبصرت محبوبا يعار

ومع حبه للكتب وولعه بها يتكلم الشيخ عن الرحلة في طلب العلم، مشيرا إلى أن الأصل في العلم التلقي، وأن العلماء جابوا الفيافي ورحلوا في البلاد لطلب الحديث، وينشد قول الشاعر:

وما العلم بمخزون كتب
لديك منها الكثير
فلله جاجة ريش
لكنها لا تطير

وقد كتب صديقنا الأستاذ حمدالله الصفتي كلمات في رثاء الشيخ أحمد مختار أسماها: «رجل فقدناه» قال فيها:

«وكان- رحمه الله تعالى- عالي الهمة، كثير البحث، ذا نشاط في العمل، وجلَد على مطالعة المطوّلات، وشغَف بمقارنة الآراء والكتابات، وقدرة على حفظ ما يقرأ وما يسمع، ملمًّا بعلوم الحديث، يكتب إليه العلامة عبدالفتاح أبوغدة- رحمه الله- مفتتحاً بقوله: «سيدي المحدّث العلامة»! ويخاطبه العلامة عبدالرشيد النعماني بقوله: «مولانا المحدّث»! ثم هو فوق كلّ ذلك عارفٌ بالفقه الحنفي، متقنٌ للعربية، جميل الخط متفنّن فيه، يتكلّم الإنجليزية، ويعرف شيئًا من الفرنسية». أ.هـ.

من نصائحه

ينصح الشيخ مذكرا فيقول: «تفرغ فيما بينك وبين الله سبحانه وتعالى»، ويقول منبها: «أحيانا يكون العلم مدخلا من مداخل الشيطان، فعلى الإنسان أن ينشغل بإصلاح نفسه»، ويقول: «إذا أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه» ثم قال متسائلا: كيف أعطيه كلي؟ فقال: «حتى الآن لا تقل قراءتي من ست إلى سبع ساعات» وكان هذا أثناء زيارتي للشيخ سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ثم يذكر ويقول: العلم لا ساحل له فلابد من تنظيم شيء من الوقت.

مؤلفاته

عكف الشيخ رحمه الله على البحث والتأليف مسارعا إلى التقاط الفوائد وقيد الشوارد، وتتميز مؤلفاته- رحمه الله- بسهولة العبارة، وجودة الترتيب وقوة الأداء.

ترك الشيخ- رحمه الله- تراثًا

قيمًا ماتعًا ينتفع به طلاب العلم والعلماء والأجيال المتعاقبة، وعلى رأس هذه المؤلفات:

١- موسوعة الإمام أبوحنيفة ومدرسته الفقهية، وتخرج في حوالي سبعة مجلدات (غير مطبوع) وعسى أن تخرج إلى النور قريبا بإذن الله تعالى، وتتميز هذه الموسوعة بأنها جامعة لشتات الأقوال المنثورة التي قيلت في شأن أبي حنيفة، وأنها ردت على كل المطاعن التي وجهت إلى الإمام في حوالي مجلدين.

٢- سير أعلام المحدثين (مطبوع) وفيه جزء لم ينشر عسى أن يضم إليه أو ينشر مستقلا.

٣- التركة والميراث في الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة وغيرها، مع مدخل في الميراث عند الشرائع القديمة والحديثة (مطبوع).

٤- المرجع الحديث في علوم السنة ومصطلح الحديث.

٥- الجدول الحديث في علم مصطلح الحديث (مطبوع).

٦- الجداول المختارة في علوم النحو والصرف والبلاغة.

٧- أحكام الحج والعمرة، وآداب زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

٨- الإسلام والسلام.

٩- حدائق الريحان في فضائل القرآن(مطبوع).

١٠- الجزية ومعاملة أهل الذمة.

١١- ميلاد الخلود في الجهاد في سبيل الله، طبع منه جزء صغير سنة ١٩٤٨، وقدم له الشيخ حسن البنا- رحمه الله.

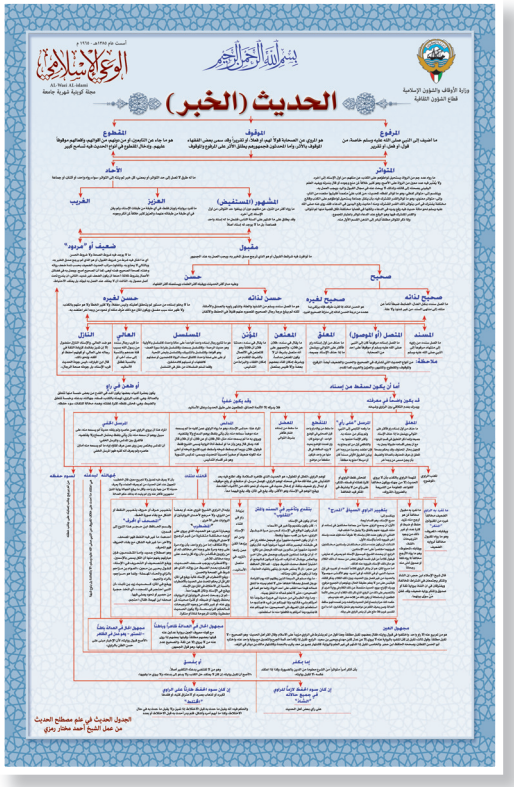
١٢- مختارات من مثنوي جلال الدين الرومي.

١٣- عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين (مطبوع).

١٤- دار المحفوظات المصرية في ماضيها وحاضرها ونظم الحفظ بها.

قد يكون العلم مدخلًا من مداخل الشيطان .. فعلى الإنسان الانشغال بإصلاح نفسه

وبعد، هذه لمحة يسيرة عن مسيرة الشيخ، ومهما كتبت فلن أوفي حق الشيخ الفاضل رحمه الله، ولكن امتثالا لأمر سيدنا رسول الله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم» وعسى أن تسعدنا هذه الكلمات في الدنيا والآخرة، فقد جاء في كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»: إن الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر- ولو بتواريخهم- من علامات سعادة الدنيا والآخرة، إذ هم شهود الله في أرضه، وبذكر الله ينزل الرضوان، وبذكر رسوله تنزل المحبة، وبذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساء من ذكرهم، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره، ويرجى لمن أرخ لجماعة أن يشفع السعيد منهم للشقي، وفي الخبر الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».



وفاته

عانى الشيخ من المرض في سنواته الأخيرة، حتى أدركه الأجل، وتوفي- رحمه الله وطيب الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، يوم الأربعاء الموافق ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٢ من فبراير سنة ٢٠١٢م، اللهم انفعنا بعلومه في الدارين، اللهم ارحمه رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناتك، اللهم ارزقه الروح والريحان، وأسكنه فراديس الجنان، واحشره مع سيد ولد عدنان ﷺ (آمين)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر الترجمة

١- إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبدالفتاح، تخريج تلميذه فضيلة الشيخ محمد عبدالله آل رشيد، ط مكتبة الإمام الشافعي، ص ٧٠، ٧١- بتصرف.

٢- معجم الشيوخ، تأليف الشيخ الدكتور أسامة السيد محمود الأزهري، ط١- صفا فرودقشين (sofa production)- نجري سمبيلان ماليزيا، ص٢٣- بتصرف يسير.

٣- عقائد أهل الكتاب، دراسة في نصوص العهدين، تأليف العالم البحاثة الأستاذ أحمد مختار رمزي، ص ٥، ٦.

٤- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، تأليف العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي. ط دار النوادر- ص ٣٦.

٥- مقال بعنوان: «رجل فقدناه» بقلم الأستاذ حمدالله الصفتي.موقع رابطة العلماء السوريين.



من قواعد السلوك الإسلامي.. في علم المحاسبة

د. سلطان السهو

تقدم المحاسبة المالية معلومات هامة تساعد إدارة المؤسسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها، ومن ثم تسهل مهمتها في تخطيط نشاط المؤسسة وتوجيهه، والإشراف عليه، كما تسهل مهمة الهيئات الحكومية المسؤولة عن الرقابة والإشراف على الاقتصاد القومي وجبايته للضريبة والزكاة، من خلال المعلومات المالية التي تنتجها.

تهدف المحاسبة المالية إلى مساعدة مستخدميها- فيما تنتجه من معلومات- في اتخاذ قراراتهم تجاه علاقاتهم بالمؤسسة، وذلك عن طريق إصدار تقارير مالية دورية عن مركزها المالي ونتائج أعمالها.

إن مجال المحاسبة في الإسلام يتعلق بتوثيق المعاملات، وتعيين الحقوق ومستحقيها بمراعاة العدل، لإعطاء كل ذي حق حقه، وذلك مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥).

المحاسبة من منظور إسلامي

والمحاسبة المالية في المنظور الإسلامي تشمل- بالإضافة إلى تعيين الحقوق- الكشف عن النتائج والوضع المالي بكيفية خاصة، يُراعى فيها التمييز بين الحلال والحرام، إذ يجب على المحاسب المالي أن يؤدي واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية بأعلى مستوى من الثقة والنزاهة والصدق والأمانة والاستقامة.. لذا يجب أن يعرض ويقدم المعلومات والأحكام والآراء المهنية بشفافية تامة، سواء كان المضمون إيجابيًا أم سلبيًا.

وكذلك المحافظة على حرمة المعلومات التي يباح له الاطلاع عليها في أثناء تأديته واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، وعدم الكشف عن هذه المعلومات إلا في حدود متطلبات الإفصاح، وفقًا لمعايير المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية، أو تنفيذًا لمتطلبات قانونية، والامتناع عن أي سلوك أو تصرفات تهدد- بشكل صريح أو مستتر- حقيقة الأهداف الشرعية والأخلاقية للمؤسسة التي يعمل بها، وتجنب استغلال المعلومات الخاصة بالمؤسسة، فيما يتاح له الاطلاع عليه في أثناء تأدية واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، من أجل نفع لشخص أو مصلحة الغير.

السلوك الأخلاقي للمحاسبة

من قواعد السلوك الأخلاقي لمهنة المحاسبة في الإسلام التحقق من مشروعية كل ما يتعلق بأداء واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية، وعلى المحاسب أن يفي بمسؤوليته أمام الله تعالى على الوجه الأكمل، مقدمًا ذلك على أية مسؤوليات، موقنًا أن الوفاء بمسؤوليته أمام الله تعالى كفيل بتحقيق مسؤولياته الأخرى في الوقت ذاته.

لذا فإن المحاسب مسؤول عن حماية استقلاليته في الظاهر والباطن، فلا يضع نفسه في مواقف تؤثر على حياده، أو تدفعه إلى التحيز أو البعد عن العدل، أو الوقوع تحت تأثير الغير، وعدم قبول أية عطايا أو هبات تُقدم له، وتجنب ما يضعه في مواقف تعارض مصالحه ومصالح من يقدم لهم الخدمة، مثل وجود علاقات عائلية أو شخصية، متمثلًا بذلك قول النبي ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانَك» (رواه أحمد).

من هذا العرض يتبين لنا بعض الأخلاق الإسلامية لهذه المهنة الحساسة، ولعلنا نتعرض لها بشيء من التفصيل في سلسلة المقالات القادمة إن شاء الله.

دكتوراه في المحاسبة - الكويت

اليمن - صنعاء

دار المخطوطات باليمن.. كنز تراثي

تركي محمد النصر
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

قال ياقوت الحموي:
«صنعاءُ قصبة اليمن وأحسن بلادها»..
«وتعد من أقدم مدن التاريخ، وتزينها مساجدها القديمة، ومسجدها الجامع الذي بُني بوحي من الله، وأمر من النبي ﷺ هو أقدمها عمرانًا، وأتقنها بنيانًا، وأوسعها مساحة، وأهمها شأنًا».
عُرفت اليمن منذ القدم بأنها بلد العلم والحضارة، وتمثل المخطوطات شاهدًا حاضرًا بين أيدينا على النهضة الفكرية والثقافية على مرّ العصور الإسلامية المتعاقبة في هذا البلد. ويُصنف المخطوط بأنه كل ما خُطّ باليد أيًا كانت لغته ونوع كتابته، ويبلغ من القِدم خمسين أو مائة عام أو أكثر.

تضم حوالي ١٣ ألف مخطوط و٥٠ ألف رق و٢٠ ألف مطبوع

لقد كان الجامع الكبير بصنعاء منذ نشأته جامعة إسلامية عريقة تحتوي في خزائنها على العديد من المراجع في مختلف العلوم، ولغرض حفظ هذه المراجع أسست فيها مكتبة تعد أول مكتبة عامة في اليمن، وذُكِر تأسيسها على جدار المكتبة، ونصه: «تاريخها: ١٢٥٦هـ الموافق ١٩٢٦م»، وأصدر لها فهرس بعنوان: «كتب الخزانة المتوكلية العامرة»، وطبع هذا الفهرس عام ١٢٦٢هـ بوزارة المعارف، وعند قيام الثورة اليمنية عام ١٢٨٢هـ - ١٢٦٢م.

تم جمع الكتب من خزائن وقصور الإمام يحيى بن حميد الدين، وابنه أحمد والأسرة المالكة، فضلًا عن مكتبة قصر حجة، ونقلت جميعها إلى مكتبة الجامع الكبير، وسُميت بالمكتبة الغربية، نسبة لمكتبة الأوقاف (المكتبة الشرقية)، الموجودة سابقًا.

وفي خلال تلك الفترة خرَّ سقف الجامع نتيجة هطول أمطار غزيرة، مما أدى إلى ظهور تصدعات كشفت عن مجموعة من الرقوق التي لم تكن قد اكتُشفت من قبل، تم نقلها إلى مكتبة الأوقاف، وفي أثناء إعادة بناء الواجهة الغربية للجامع عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٦م، تمت إزالة خزانة كانت تقع في سطح الجامع الغربي، وحينما رفع سقف الخزانة عثر على عدد كبير من قطع المصاحف القديمة، والتي ضمت إلى مكتبة الجامع.

وفي العام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م بدأت فكرة تأسيس وإنشاء دار المخطوطات كحاجة ملحة لخدمة التراث العربي والإسلامي.

الأمانة العامة لدار المخطوطات في صنعاء

أنشئت الدار عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بجوار الجهة الجنوبية من الجامع الكبير في صنعاء، في عهد القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، وكانت تتبع الهيئة العامة للآثار ودور الكتب التابعة لمجلس القيادة، وفي عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م صدر قرار جمهوري رقم ٣٨٦ باللائحة التنظيمية لوزارة الثقافة التي تضمنت إنشاء قطاع للمخطوطات ودور الكتب، وفيه تم ضم دار المخطوطات بصنعاء وجميع دور المخطوطات في الجمهورية اليمنية.

وفي عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، تم نقل جميع محتويات المكتبة الغربية في الجامع الكبير إلى دار المخطوطات.

أهداف الدار

تهدف دار المخطوطات في صنعاء إلى:

١- إحياء التراث التاريخي والحضاري، وخدمة الثقافة الإسلامية والإنسانية، ونشر رسالة وقيم الحضارة اليمنية الأصيلة عن طريق جمع وتوثيق وتصوير المخطوطات.

٢- تمكين المراكز الثقافية

والمؤسسات العلمية في الداخل والخارج من معرفة التراث الفكري والثقافي لليمن.

٣- خدمة الباحثين والدارسين بالاطلاع على المخطوطات لأغراض الدراسة والبحث والتحقيق.

٤- إصدار فهرس شامل لمحتويات المكتبات في الدار، ويحتوي على كشف تفصيلي للمخطوطات النادرة والقيمة في كل فن.

٥- إعطاء التراث الفكري والثقافي اليمني موقعه اللائق ضمن خريطة الفكر الثقافي والإنساني العالمي، من خلال إبرازه عبر عوالم التقنيات الحديثة كمًّا ونوعًا.

٦- ترميم وتجليد وصيانة المخطوطات بالطرق العلمية الحديثة.

أقسام الدار ومحتوياتها

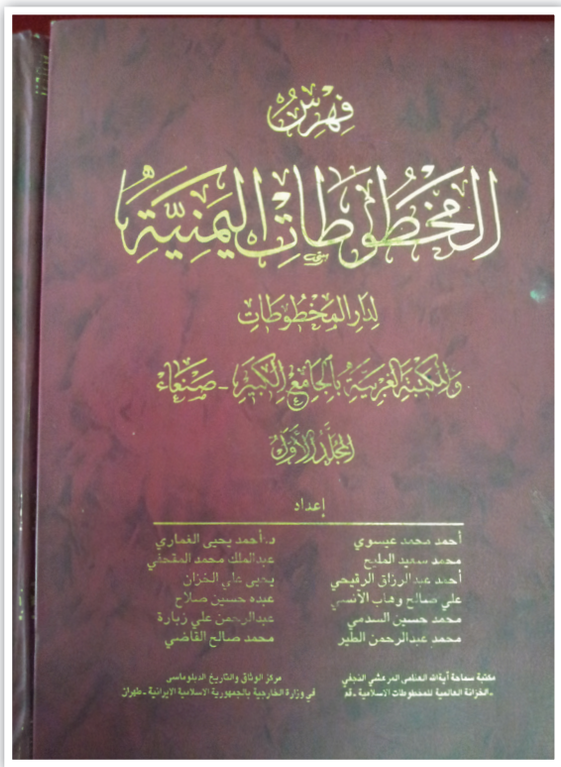
أولًا: إدارة المكتبات

١- مكتبة المخطوطات، وهي قسمان:

- المكتبة الغربية: وتحتوي على ٢٩٢٥ مخطوطًا.

- مكتبة الدار: والتي تملك ما يزيد على ١٠,٠٠٠ مخطوط، حيث يتم الحصول على هذه المخطوطات عن طريق الاقتناء أو الإهداء أو المصادرة، وهي متنوعة المعارف والفنون، وفيها مجموعة من النوادر والنفائس، مثل مخطوط الأحكام للإمام الهادي، ويعود لعام ٣٦٦هـ.

٢- مكتبة الرقوق: كانت الاكتشافات المبكرة لمكتبة الرقوق عام ١٢٩٢هـ - ١٩٧٢م، أثناء ترميم الواجهة الغربية للجامع الكبير، وهناك اكتشافات أخرى للرقوق تمت في العقدين الماضيين، وآخر الاكتشافات كان في عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ويبلغ العدد الكلي لهذه



الرقوق أكثر من ١٥٠,٠٠٠ رق، ينتمي معظمها إلى حوالي ١١٠٠ مصحف، يوجد منها ما خط خلال القرن الأول للهجرة، والرق: هو جلد الضأن أو الماعز أو الغزال، وهو جلد رقيق صالح للكتابة عليه.

٣- مكتبة المطبوعات: تضم مجموعة من الكتب المطبوعة النفيسة، والتي يرقى بعضها إلى مصاف المخطوطات النادرة في أهميتها وموضوعها، ويبلغ عدد المطبوعات ما يقارب ٢٠,٠٠٠ مطبوع.

٤- المعرض الدائم: ويعد الواجهة الحقيقية لدار المخطوطات؛ حيث يعكس للزائرين والباحثين القيمة الحقيقية والمكانة العلمية التي تحظى بها الدار، ويحتوي على نماذج متعددة، منها نماذج للرقوق القرآنية، ونماذج من المخطوطات النادرة.

ثانيًا: إدارة الصيانة والترميم

وتتم فيها عمليتان رئيسيتان:

الأولى: وهي إجراءات وقائية، وعمليات معالجة، ومراقبة ظروف الحفظ للمخطوطات؛ من أجل إيقاف تلفها بغرض ترميمها.

الثانية: الترميم، وهدفها إصلاح ما تضرر من جسم المخطوطات من الأضرار والخروم والتآكل الناتج عن العوامل البيولوجية والكيميائية والفيزيائية، ويقتضي الترميم إجراء عمليات تعويضية على المخطوط مباشرة، فلا يجوز البدء في عملية الترميم إذا لم يكن الوصول إلى النتيجة الإيجابية أمرًا مؤكدًا.

مسلسل الترميم

ويقصد به تنسيق مجموعة من العمليات هدفها إنقاذ المخطوط وإصلاح ما فسد فيه أو فقد منه، وهي مراحل لا تقبل الارتجال، أهمها:

- التعرف على المخطوط، وتشخيص حالته.
- تصويره وتنظيفه.
- إزالة التعفن والحموضة.
- إضافة المواد المقوية والتدعيم.
- إصلاح التمزقات.
- الخياطة والحباكة والتجليد.

ثالثًا: إدارة التصوير

وتقوم بتصوير المخطوطات من أجل إتاحة الصور للباحثين والدارسين، ومن ثم المحافظة على النسخ الأصلية، وهناك طريقتان للتصوير في هذه الإدارة، وهي:

١- التصوير الرقمي: ويتم التوثيق الرقمي من خلال تصوير المخطوطات بأحدث الكاميرات، وتخزينها على الوسائط الرقمية.

٢- التصوير الميكروفيلمي: وهو التصوير المصغر للمخطوطات في لفة أو أكثر من فيلم شفاف، تحوي صورًا مرتبة في تتابع، تقرأ عن طريق جهاز خاص (قارئ)، وتكمن ميزة هذه اللفائف في أنها متوقع استمرارها قرونًا عدة.

ويتم في هذه الإدارة تسجيل وتوثيق مقتنيات المكتبة في سجلات واستمارات رسمية، ذات حقول معرفية متعلقة بطبيعة المخطوطات، ابتداءً بعنوان المخطوط ومؤلفه وموضوعه وإضافة الرقم الوطني له، وتسجيل بداية المخطوط ونهايته، والتأكد من البيانات في المصادر المنشورة، إلى ذكر جميع الملاحظات الخاصة عن المخطوط، كل ذلك من أجل إعداد القوائم البيولوجية التي من شأنها التعريف بما تملكه الدار من مخطوطات في مختلف المجالات، وكذا إتاحة الفرصة للباحثين والدارسين لاختيار المخطوطات لأغراض الدراسة والبحث والتحقيق.

خامسًا: إدارة التوثيق الإلكتروني

عمد قطاع المخطوطات إلى تصميم برنامج آلي خاص بتوثيق وفهرسة المخطوطات والرقوق، بما يتلاءم مع البيانات البيليوجغرافية الخاصة بالمخطوطات وما تحويه من معلومات، وذلك من أجل تيسير عملية الوصول للمخطوطات، ولإتاحة هذه المخطوطات عبر التقنيات الحديثة للباحثين والدارسين والمستفيدين منها، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي.

أما قسم السكرتارية في الدار؛ فهو الواجهة الرئيسية للدار، ويعمل على متابعة أعمال الإدارات الأخر؛ حيث يقوم بأرشفة الملفات وحفظها آليًا. كذلك يعمل القسم على أرشفة سجلات الدار، واستمارات التوثيق والفهرسة اليدوية، بالإضافة إلى استقبال الباحثين الوافدين إلى الدار لتسهيل معاملاتهم في الحصول على المعلومات المطلوبة.


مصحف شريف
حوت أوراقه زخرفة نباتية وهندسية
يعود تاريخها للقرن الثالث عشر الهجري

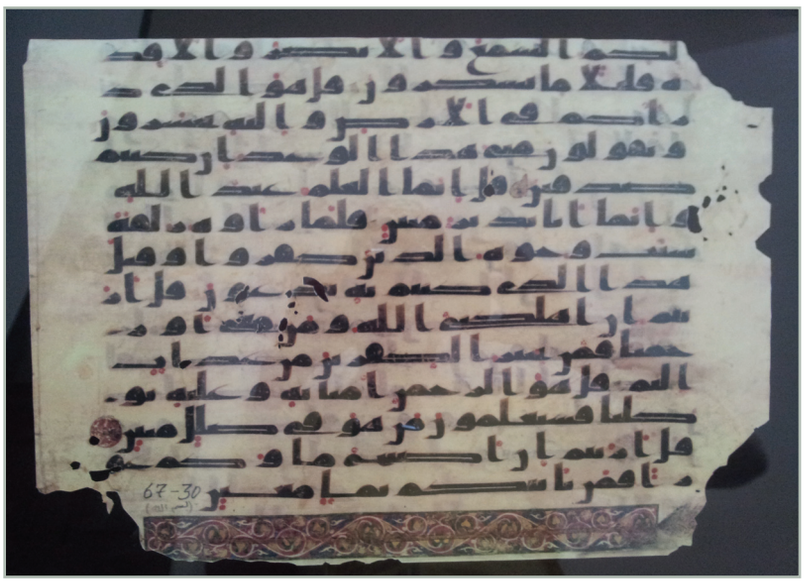
مشاريع دار المخطوطات

١- المشروع الألماني: وهو مشروع لترميم وأرشفة المخطوطات الإسلامية المبكرة في اليمن، تم توقيع الاتفاقية من قبل وزارة الخارجية الألمانية واليمن عام ١٩٨٠م، وبدأ العمل في عام ١٩٨١م واستمر حتى عام ١٩٨٩م، مع توريد المواد الضرورية للترميم والتجليد، ثم المرحلة النهائية للمشروع من العام ١٩٩٦. ١٩٩٧م، وهي تصوير جميع الرقوق على ميكروفيلم، وقد تم في المشروع معالجة وتصنيف ١٢,٥٠٧ رقوق قرآنية.

٢- مشروع اليونسكو: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتنفيذ من الهيئة العامة للآثار ودور الكتب ودار المخطوطات، وكان الهدف من هذا المشروع هو تزويد الهيئة بالمساعدة الفنية الضرورية في جهودها المبذولة لتحسين وتطوير هيكل وبنية مكتبة المخطوطات بالجمهورية اليمنية، وقد بدأ العمل الفعلي للمشروع عام ١٩٩٠- ١٩٩٤م.

٣- مشروع حصر وتوثيق المخطوطات: بدأ مشروع حصر وتوثيق وفهرسة المخطوطات والرقوق القرآنية بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٢م، وذلك لإعادة بناء فهرس مخطوطات الدار؛ تلافيًا للأخطاء التي وردت





في الفهارس السابقة، وتكملة للنقص، وتتمة للجهود التي سبقت في هذا المجال، ومازالت فرق التوثيق والفهرسة تواصل جهودها الملموسة في إعداد الفهرس الشامل الخاص بمخطوطات المكتبة.

فعاليات الدار ونشاطها

أقامت الدار معرضها الأول للمخطوطات خلال فترة المشروع سابق الذكر، والذي عرضت فيه مجموعة من المخطوطات والرقوق النادرة.

كما قام قطاع المخطوطات- بالتعاون مع الصندوق الاجتماعي للتنمية- بتدريب عدد من الطلاب الخريجين على أعمال التوثيق في ٢٠٠٩/٧/٤م، على أعمال توثيق المخطوطات، وتدريب الطلاب المتميزين على صيانة وترميم المخطوطات، كما تم تدريب عدد آخر من الطلاب على أعمال التصوير الرقمي والميكروفيلمي، وتوثيق الرقوق، وتحديد الفترات الزمنية للمخطوطات.



وتمت كل هذه الأعمال تحت إشراف أساتذة من جامعة صنعاء، مع التعاون والاستعانة بالخبرات الإدارية والفنية الموجودة في دار المخطوطات. وقد حرص قطاع المخطوطات على عقد اتفاقية مع الصندوق الاجتماعي للتنمية للاستعانة بالخبير الدولي في مجال الترميم الأستاذ عبدالواحد الشامي، الذي قام بتدريب الطلاب على إعداد استمارات توصيف مادي خاصة لأغراض الترميم، عن طريق تشخيص حالة المخطوط، ابتداء بالغلاف والزخارف وحالة الورق، ونسبة حموضتها، والأضرار التي تعرضت لها، والحبر والزينة، وكل ما يتعلق بالوصف المادي مع تحديد أولوية الترميم لكل مخطوط، ومن ثم عمل صناديق خاصة ذات مواصفات عالمية لحفظ المخطوطات، والبدء في ترميمها حسب الأولوية.

ومن الأعمال المطروحة ضمن المشروع: إعداد فهرس العلامات المائية، وقد تم استخراج ما يقارب ٨٠٠ علامة مائية مختلفة حتى الآن.

كما أقيمت الدورة التدريبية في مجال فهرسة الرقوق، والتي قام بها الخبير الفرنسي فرانسوا درويش.

ومن الفعاليات التي قامت بها الدار: محاضرة القاضي أحمد بن عبدالرزاق الرقيحي حول المخطوطات، وتصنيف العلوم، وطرق المحافظة على التراث الإنساني الإسلامي.

بالإضافة إلى إقامة العديد من الفلاشات التوعوية في وسائل الإعلام بأهمية المخطوطات والمحافظة على التراث.

هذا، ومازالت دار المخطوطات في صنعاء تقوم بدورها الذي يسعى دائمًا ليكون رائدًا في مجال العناية بالتراث العربي والإسلامي.

المراجع

١- رحلة ابن بطوطة.

٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

٣- النشرة الرسمية الصادرة عن دار المخطوطات اليمنية.

النوم صحة للجسم

بشرى شاكر

قد يستغرب البعض عبارة «النوم صحة للجسم»، فنحن دائما نسمع أن العقل السليم في الجسم السليم، ونربط سلامة الجسم بالرياضة والحركة، وهو أمر صحيح إلى درجة بعيدة، غير أن صحة البدن والجسم ونفسية الإنسان لا تستقيم فقط بالرياضة والحركة ومراعاته لمأكله ومشربه، فقد ورد في صحيح البخاري أن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار»، قلت: بلى، قال: «فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا... إلى آخر الحديث.

يشكل النوم ثلث حياة الشخص، ويحتاج البالغ إلى حوالي سبع ساعات ونصف ساعة من النوم، والإقلال من ساعات النوم في يوم أو يومين لا يؤثر سلبا إلا في ظهور بعض حالات الإعياء والاسترخاء صباحا، ولكن عدم بلوغ الساعات المحددة للنوم بشكل مستمر قد يؤدي إلى إجهاد خلال اليوم، وبالتالي نقص في إنتاجية الفرد، وقد يؤدي أيضا إلى فترات غفوة لا نستطيع التحكم فيها، ويؤثر أيضا على جهازنا الهضمي وجهازنا المناعي ككل.

حينما يتقدم الإنسان في العمر، فإنه يحتاج لساعات نوم أقل، أما لدى الأطفال، فيختلف ذلك حسب المراحل العمرية، فالطفل الرضيع يحتاج ما بين ١٦ إلى ١٧ ساعة نوم، وبين سن الثالثة والسادسة يحتاج جسمه إلى ١٢ ساعة نوم، وتتقلص الساعات لتصل إلى عشر ساعات بين سن السادسة والثانية عشر لتستقر في تسع ساعات عند المراهق إلى أن تصل إلى ثماني ساعات أو تحديدًا سبع ساعات ونصف لدى الإنسان البالغ.

وإذا كان النوم مهمًّا لراحة البدن والحفاظ عليه، فإنه مهم أيضا لنموه الجسدي والنفسي، فهو يساعد على استعادة القوى والجهد العضلي والفكري المبذول صباحا، ويساعد على تقوية الذاكرة وتنشيطها، فنحن بحاجة للأحلام التي تمدد النوم، والتي لا تشكل فقط تجسيدا لما نراه في حياتنا الواقعية أو ما نرغب في تحقيقه في دواخلنا وإنما أيضا تعتبر محفزا لعمل الدماغ وتنشيط الذاكرة.

النوم السليم يحسن ترميم العظام.. والبالغ يحتاج إلى سبع ساعات ونصف

أما جسديا، فإن النوم السليم يحسن ترميم العظام والعضلات لدى الإنسان البالغ كما يقوي جهاز مناعته، ولدى الطفل، فإن النوم العميق والمريح يساعد على نمو الدماغ وعلى نمو الجسد ككل، لأن هرمون النمو ينشط أكثر أثناء النوم، كما أن الطفل الذي ينام ساعاته كاملة بدون أرق يسهل عليه التعلم والحفظ أكثر من غيره.

ويعتبر النوم مراحل مقسمة على أربع، تحدد هذه المراحل بدراسة الموجات الدماغية، المرحلة الأولى هي مرحلة النوم الخفيف وبعد عشرات الدقائق تبدأ مرحلته الثانية حينما يدخل الإنسان في النوم العميق تدريجيا، وحينما يتباطأ أكثر النشاط الدماغي فإننا ندخل في المرحلة الثالثة وهي النوم العميق الذي يستمر طوال الساعات الأولى من النوم، وهذه المرحلة تعد أطول مرحلة في دورة النوم، ولكنها تتقلص مع التقدم في العمر.

المرحلة الرابعة تسمى بالنوم التناقضي sommeil paradoxal حيث تتحرك مقلتا العينين في كل الاتجاهات، ونصفها بالتناقض لأن الإنسان يكون في حالة نوم عميق غير أن دماغه يكون في مرحلة الغفوة فقط!

وأثناء النوم تتعاقب كل هذه المراحل في أربع إلى ست دورات خلال الليل وتكون الدورة الأولى أطولها ومع تعاقبها يمكننا أن نستيقظ مرات عديدة ليلا لفترات وجيزة جدا ولكن لا نتذكرها في الغالب.

ورغم أن النوم مفيد كما رأينا لصحة البدن والنفس، فإنه ليس كل واحد فينا يمكن أن ينام بشكل صحي، فهناك أمراض بعضها شائع وبعضها نادر تؤثر على جودة النوم، وأكثرها شيوعا هو ما نسميه بالأرق

إعلامية وباحثة مغربية



وهو اضطراب في النوم واستيقاظ بشكل مستمر وصعوبة في الإغفاء وهو مرض شائع بكثرة في أيامنا هذه وقد يكون عارضا فقط حينما نغير مكان نومنا أو ننتقل من سكن إلى آخر أو من وضعية حياتية إلى أخرى أو نمر بمشكل مؤقت، وقد يصبح حادًا ومزمنا، وبالتالي تكون له دواعٍ نفسية ويستدعي تدخل مختص.

علاج الأرق بواسطة حبوب منومة وأدوية أمر شائع جدا، إلا أن الأطباء ورغم اعترافهم بنجاعتها، يحذرون من الإفراط في استعمالها، لأن المريض إذا تعاطاها لفترات طويلة فسيصبح عليه بعد مدة، الرفع من الجرعات الأولى لكي يكون لها التأثير نفسه وتساعده على النوم، أما على المدى البعيد، فلا تؤثر فيه بالمطلق، ولذلك ينصح باستبدالها بنظام حياتي صحي من حيث الغذاء وساعات العمل وأيضا ممارسة الرياضة.

ومن الأمراض الشائعة أيضا متلازمة انقطاع التنفس خلال النوم sleep apnea syndrome، وهو مرض قد يكون خطيرا جدا إذا ما استمر لمدة طويلة، إذ يؤثر على عمل الشرايين والأوعية وقد يؤدي إلى سكتة قلبية مفاجئة، وتتسبب هذه المتلازمة في توقف التنفس عدة مرات خلال النوم قد يستمر لثوان عدة بحيث تتقلص عضلات جدار البلعوم فتمنع مرور الهواء.

هناك أيضا مرض شائع وقد يكون غالبا بسبب الإعياء المفرط أو كثرة الحركة والتوتر والقلق أيضا وهو متلازمة الأرجل غير المستريحة أو ما يعرف restless leg syndrome وهو الشعور بالرغبة المفرطة في تحريك الأعضاء السفلى أثناء النوم، وهي حركات دورية قد تؤدي إلى إضرابات في النوم.

وأقل الأمراض شيوعا ولكنه أغربها، لأن العديد من الأطباء مازال يحتار في أمرها، هو مرض الخدار Narcolepsy، وهو الشعور بالإعياء طوال اليوم والرغبة في الإغفاء والشعور بارتخاء العضلات، وبطبيعة الحال فإن كل مراحل النوم العادية تصبح مضطربة لكون الشخص ينام فترات عدة خلال اليوم، وهنا تستعمل بعض الفيتامينات والأدوية التي تذهب الإجهاد والتعب، وقد يتناولها أيضا بعض الأشخاص العاديين في حال إجهاد أنفسهم بالعمل مثلا إلى درجة كبيرة.

وعموما لو حاولنا أن نفهم حديث نبينا الكريم ونعي أن الله خلقنا ووهبنا العديد من النعم، وجعل لكل شيء فينا حقًا علينا بدون تقتير ولا إفراط، فإننا سندرك قيمة ما منحنا ونعمل على تنظيم حياتنا بشكل أفضل لننام بشكل صحي ونستيقظ بكامل حيويتنا ونشاطنا.



رمضان بين الأخذ والعطاء
التدين المغشوش
تغيير المنكر
الإعلام ضد صناعة الكذب
الحج وحقوق الآخرين
المسؤولية الاجتماعية والعمل العام
القيم الإسلامية
إعدلوا
التعليم الذاتي

إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

حكمُ المنتحرِ في الإسلام

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هل قاتلُ نفسه خالد مخلّدٌ في النار؟ لأنّه ورد في الحديث: «خالدا مخلدا فيها أبدا».. وهل يخرج منها، وإن كان يخرج فما توجيه كلمة «أبدًا» في الحديث؟

فأجابت بما يلي:

صاحبُ الكبيرةِ متوَعَّد بالعذاب كقاتل نفسه، إلا أنّه لا يخلّد في النّار خلودَ الكافر، كغيرِه من أصحاب الكبائر، وما ذكر في الحديث من الخلود فهو خلودٌ مؤقّت؛ جمعًا بين الأدلة الشرعية..

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيِّنا محمّد وآله وصحبه وسلم.

المجموعة الأولى: (٢٢/٢٥٣)

قتلُ الإنسانِ نفسَه ليس سبيلًا إلى النّجاة

الموضوع (٤٦٩) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التالي:

شابٌ مسلمٌ فَشَلَ في دراسته، فأخذ في البحث عن عمل يبعدُهُ عن الأفكار الأثيمة التي تراوده فلم ينفع، ووجد نفسه قد صار في طريق المعصية بعد طاعة اللّه، وأخذ يحاسب نفسه في يوم ما، ووجد ما ينتظره من عذاب في الآخرة، ففكر في قتل نفسه لعل اللّه يغفر له، ولكنه قرأ قول اللّه تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب اللّه عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وإزاء حيرته طلب بيان الحكم الشرعي في ذلك.

فأجابت اللجنة بما يلي:

اطلعنا على كتابكم هذا، ونفيد أنّ السبيل إلى نجاتك من عذاب اللّه أن تتوب إلى اللّه توبةً صادقةً؛ خشيةً منه سبحانه وتعالى وخوفًا من عقابه.. بأن تندم ندمًا صادقًا من قلبك على ما اقترفت.

فإذا وُجد الندم والعزم الصادقان، وانكسر قلبُك ذلًّا لله وخوفًا من عقابه، كانت توبتك حينئذ صادقة، ونجّاك اللّه من عذاب ما اقترفتَ من سيئات، وفرح اللّه بهذه التوبة أكمل فرح وأتمّه، كما يدل على ذلك الحديث الصّحيح عن رسول اللّه ﷺ، وقد تكون بهذه التوبة أكرم عند اللّه وأفضل منك قبل حصول الذنب الذي تبتَ منه.

أمّا قتلُك نفسَك فليس سبيلًا إلى نجاتك من عذاب اللّه، بل هو مما يزيد في آثامك وذنوبك، فإنّه كبيرة من أعظم الكبائر، وربما كانت شرًّا أكبر ممّا اقترفت من سيئات وذنوب.. فقاتل نفسه أشدُّ وزرًا من قاتل غيره.

وإنّما السبيل إلى نجاتك ما هديناك ودللناك عليه، واللّهَ أسأل أن يوفقك إلى ما يحبه ويرضاه، ويجنبك الزّلَلَ في القول والعمل، والسلام، واللّه أعلم.

الصّلاة على المنتحر

الموضوع(٤) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التالي: ما حكمُ الصّلاة على المنتحر؟

فأجابت بما يلي:

صلاةُ الجنازة فرضُ كفاية على كلّ من مات مسلمًا حتى لو كان عاصيًا، ولا تجوز على الكافر ولا على المرتد، ومن الردة استحلال ما حرمه الله تحريمًا قاطعًا، والانتحار محرمٌ قطعًا بالقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (النساء:٢٩)، وبيَّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن من قتل نفسه بحديدة أو سمٍّ أو إلقاء من مكان عالٍ؛ فهو يعذّب في النار خالدًا فيها أبدًا على الطريقة التي قَتَلَ بها نفسَه.

وإذا علمنا من المنتحر بكلامه أو بورقة مكتوبة بخطِّه مثلًا أنّه يستحلُّ الانتحارَ كان مرتدًّا، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

وإن لم نعلم، فنَحْمِل أمرَه على الظاهر وهو الإسلام، ونصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين.

والحديث المذكور محمولٌ على من استحل الانتحار، فهو مخلد في النار، أو محمول على التغليظ والتنفير كما جاء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وممّا يدلّ على أن المنتحر الذي لم يستحلّ الانتحار مؤمنٌ، وإن كان عاصيًا، ما رواه مسلم أنّ رجلًا هاجر إلى المدينة فمرض لعدم ملاءمة جوِّها له، فجزع فقطع مفاصلَ أصابعِه؛ فسال دمُه بقوة، ومات، فرآه الطفيل الدوسي في المنام في هيئة حسنة مغطّيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربُّك؟ قال: غفر لي

بهجرتي إلى نبيه، فقال: ما لي أراك مغطّيًا يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت، فقصَّ الرؤيا على الرسول ﷺ فدعا له، وقال: «اللهم وَلِيَدَيْه فاغفر».

يقول النّووي في التعليق على هذا الحديث: «فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السّنّة: أنّ مَن قَتَلَ نفسه، أو ارتكب معصيةً غيرَها، ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنّار، بل هو في حكم المشيئة، أي في حكم قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء: ٤٨).

يؤخذ من هذا: أنّ المنتحرَ الذي لم يُعلم استحلالُه للانتحار مؤمنٌ، فيصلى عليه صلاةَ الجنازة.

لكن ورد نص يمنع الصلاة عليه، ففي مسلم عن جابر بن سمرة قال: أُتِيَ النبي ﷺ برجل قتل نفسَه بمشاقص (سهام عريضة)، فلم يصلِّ عليه، قال العلماء: «هذا الحديث محمول على التنفير من الانتحار، كعدم صلاته الجنازة على من عليه دَيْنٌ، وقد صلّت الصحابة على المَدين بأمرِ النبي ﷺ، وذلك للتنفير من الدَّيْن، وليس لأنّه كافر، وتكره عند مالك الصلاة على المرجوم بحدٍّ، والفسّاق، وذلك زجرًا لهم» (صحيح مسلم شرح النووي ٧/٧).

تقديم العزاء في المنتحر

الموضوع (٨١) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي: هل يجوز تقديم العزاء في المنتحر؟

فأجابت بما يلي:

المنتحر إن لم يُعلم أنّه استحلّ الانتحار فهو مؤمن غيرُ كافر، ومن هنا يجوز تقديم العزاء فيه، ولو علم أنّه كَفَرَ، فلا مانع أيضًا من عزاء أهله فيه، فالمراد من التعزية تسليتهم، وذلك من حقّ المسلم على المسلم، وفيه حديث رواه ابن ماجة والبيهقي بسند حسن: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عزّ وجلّ من حُلَلِ الكرامة يوم القيامة»، وقال العلماء في هذا الصدد: إن عزّي مسلمٌ بكافر قال: أعظم الله أجرَك وأحسنَ عزاءَك، ولا يقول: غَفَر لميّتك أو رحمه الله.

حكم المجاهد الأسير إذا انتحر حتّى لا يفشي أسرارَه للعدوّ

الموضوع (٢) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي:

ماذا يفعل المجاهد الحريص على الجنّة حينما يحيط به العدوُّ، ويخشى أن يقع أسيرًا في أيديهم، وربما تكون معه أسرار تجعلُه حريصًا على عدم حصول العدوِّ على شيء منها بوسائل التّعذيب الشّديدة؟

فأجابت بما يلي:

يجب على الجندي أن يبذل أقصى جهده في الدّفاع عن نفسه حتّى لا يقع أسيرًا، إلا بعد نفاذ كل وسيلة للخلاص من العدوّ، فإن أُسِر كان عليه أن يحافظ على الأسرار الخطرة التي يضرُّ إفشاؤها بمصلحة المسلمين، والكذب في هذه الأحوال جائز، فإنّ الحرب خدعةٌ كما ثبت في الحديث، والإكراه يرفع المسؤولية كما قال سبحانه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ (النحل: ١٠٦).

فلْيَبْذُلْ غاية جهدِه في الدّفاع عن النّفس وحفظ السرّ، والضرورات تبيح المحظورات، ولا يجوز أن يفكر فيما يفكر فيه بعض الناس من الالتجاء إلى الانتحار خوفَ التّعذيب لاستخراج الأسرار، فإن ذلك محرم أشدَّ التّحريم، وتعذيبهم للأسير لإفشاء الأسرار أمرٌ مظنونٌ غيرُ محقّق، فربما لا يلجأ العدوُّ إلى ذلك، فالانتحار من أجل ضررٍ مظنونٍ غيرُ محقّقٍ لا يجوزُ.

الإضرابُ عن الطّعام

الموضوع (٥٧) عام ١٩٩٧م

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر»

السؤال التالي:

ما حكم الدِّين فيمن يُضرب عن الطّعام إذا وقع عليه ظلمٌ؟ وكيف يكون التّصرف معه؟

فأجابت بما يلي:

ليس في الدين شيء اسمه الإضراب عن الطعام أو الشراب؛ لتحقيق غرض من الأغراض، فهو وسيلة سلبية يجب ألا يأخذ بها أحدٌ، والوسائل المشروعة كثيرة.

ومن سَلَكَ هذا المسلكَ فقد أضرّ نفسَه بالجوع والعطش في غير طاعة، والحديث معروف «لا ضرر ولا ضرار»، وفي الوقت نفسه عرّض نفسه للموت، والله يقول ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، ومن مات بهذا الإضراب يكون منتحرًا، والانتحار من كبائر الذنوب، فإن استحلّه كان كافرًا، لا يُغسّل ولا يُصلّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

إعداد: هيفاء حسن

طبقة الأوزون تستعيد حالتها الطبيعية



أظهرت نتائج دراسة حديثة أن طبقة الأوزون بدأت تستعيد حالتها الطبيعية ببطء منذ فترة، مشيرة إلى أنه ربما تم التوصل إلى منعطف جديد بشأن مستويات الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى سطح الأرض.

ويقول ماركوس ريكس وهو فيزيائي بمعهد «ألفريد فيجنر» الألماني للأبحاث القطبية والبحرية: «لقد توقفت موجة الارتفاع في مستوى الأشعة فوق البنفسجية.. إنه حقا أمر يستحق الإشادة».

ويشير ريكس إلى أنه عند النظر إلى سماء أوروبا يتبين أن هذا المنعطف الجديد في مستوى الأشعة فوق البنفسجية التي تصل إلى الأرض قد تم بلوغه منذ خمسة أعوام.

ويضيف: بالنسبة لطبقة الأوزون بدأنا نلاحظ نزعة إيجابية منذ فترة طويلة فقد بدأت الطبقة تزداد كثافة منذ نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي تقريبا.

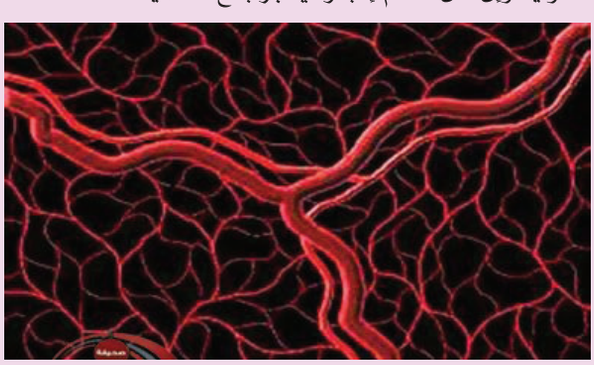
لا مشكلة من تزايد عدد سكان العالم



يؤكد العالم الفرنسي «إيرفيه لوبرا» الذي صدر له كتاب أخيرًا تحت عنوان «حياة سكان العالم وموتهم» أن ما يثار من خوف حول تلبية احتياجات الـ ٩ مليارات نسمة المتوقعة سنة ٢٠٥٠م أمر لا صحة له مؤكدًا أن هذا الخوف هو جزء من جدال ايديولوجي أطلقته البلدان الغنية لتجاهل المشاكل التي تعاني منها ورميها على الفقراء، ومن المتوقع أن يستمر عدد سكان الأرض في التزايد حتى منتصف القرن الحادي والعشرين ليصل إلى ٩,٣ مليارات نسمة بحلول العام ٢٠٥٠م، لكن «ايرفيه» يشير إلى فرضية مثيرة للاهتمام تحدد عدد سكان العالم بـ ٨ مليارات نسمة مع سقف معين، ما يعني أن عددهم قد يصل الى أقصاه في مهلة غير بعيدة، ويختم العالم الفرنسي رؤيته أن ما يجب عمله في السنوات المقبلة ليس عدد سكان العالم بل آلية العمل الداخلية وتوزيع الأسعار.

أوعية دموية اصطناعية من البلاستيك

تمكن باحثون ألمان بمدينة شتوتغارت بعد ٣ سنوات من التجارب من تصميم وإنتاج وعاء دموي اصطناعي من البلاستيك، وذلك في خطوة اعتبرت بالغة الأهمية على طريق تصنيع أوعية دموية بهدف استبدالها مستقبلًا بأوعية بشرية تالفة والتغلب على العقبات التي مازالت تحول دون تحقيق ذلك إلى الآن، ويتركز البحث الآن على تصنيع أوعية دموية من أنسجة حيوية حتى يتقبلها الجسم البشري الذي يرفض تلك المصنوعة من البلاستيك على الرغم من أنها قريبة جدًّا من الأوعية الدموية الدقيقة، ويأمل العلماء مستقبلًا بزراعة أوعية حيوية في جسم الانسان بينما زراعتها تقتصر حاليًّا على الجلد الاصطناعي نظرًا لأن الأبحاث مازالت في مراحلها الأولية وإن كان ما تم إنجازه يعتبر بالغ الأهمية.



المبيدات تفقد النحل إحساسه بالاتجاهات

كشفت دراستان فرنسية واسكتلندية نشرتا في مجلة «ساينس» أن الجيل الجديد من المبيدات الحشرية المنتشرة عالميا، والذى يؤثر على الجهاز العصبي المركزي للحشرات تفقد النحل إحساسه بالاتجاهات.

وأوضحت الدراسة الفرنسية التي أجراها مايكل- هنري في المعهد الوطني للأبحاث الزراعية الفرنسي أن المبيد الذي يحتوي على «تياميتوزام» تجعل النحل غير قادر على الذهاب إلى منحله.



وكان الباحث الفرنسي قد أجرى أبحاثه على ٦٥٣ نحلة لصق على ظهرها شريحة صغيرة لنقل الإشعاع في تجويف صدر النحلة لمعرفة مدى تأثير هذه المبيدات فيها.

أما الدراسة الثانية التي قام بها كل من عالم البيولوجيا الاسكتلندي (بونولوب- ويتهورن، ودافيد- جولسون، فركزت على ذكر النحل الذي يلعب دورا أساسيا في عملية التلقيح، فقد تأثر بهذه المبيدات من نقص عدد ملكات النحل بنسبة ٥٨٪.

تجربة زراعية فريدة في البحرين

أعلن د. أحمد فيصل العلوي المتخصص في علم البكتيريا والأمراض الوراثية عن تطوير اختراع هولندي- بحريني يساهم في الزراعة بالصحراء دون ماء واعتماد خصائص بيولوجية للنباتات للبحث عن الماء من أعماق الأرض وهو النظام الذي ستعتمد عليه قطر كأحد البدائل لزراعة المناطق الشاسعة من أراضيها.

وستساهم التقنية الجديدة في انحسار المناطق الصحراوية بنسبة كبيرة بأموال أقل وبمساحة خضراء أكبر، وحسب التقنية الجديدة فإن المساحة الزراعية التي تحتاج إلى ٥٠ لترًا من الماء في اليوم لا تحتاج مع التقنية الجديدة الى أكثر من ٥٠ لترًا من الماء في السنة وبتكلفة ١٠٪ فقط من النظام العادي المعتمد، وتستفيد التقنية الجديدة من الماء قبل خروجه من الأعماق بتوجيه جذور الزراعة عموديًا الى أسفل الأرض بدلًا من التوجيه الأفقي وجعلها تبحث عن المياه الجوفية بدلًا من اعتمادها على نظام الري.

القدس ليست أورشليم



قال الباحث العراقي فاضل الربيعي إن النص العبري للتوراة لا يحمل إشارة إلى أن القدس التاريخية تسمى «أورشليم» مذكرًا بأن القدس هو اسم حديث للمدينة وليس قديمًا، وأضاف إنه حتى مع بدء الفتوحات الإسلامية لم تعرف المدينة بهذا الاسم.

وإن العهدة العمرية سمتها «إيليا»، وإن تسمية المدينة باسم بيت المقدس جاءت بعد فترة من الفتوحات الإسلامية، وأكد الربيعي أن نظريته في نقد الرواية التوراتية لا تستند إلى تشابه أسماء، بل إلى أن الرواية التوراتية تستند إلى مسرح مختلف عن الجغرافيا الموجودة في فلسطين التاريخية عمومًا وفي مدينة القدس على وجه الخصوص، مشيرًا إلى قناعته بأن النص التوراتي لا يتحدث عن أماكن في فلسطين.

من هنا وهناك!

■ من المتوقع أن تتضاعف مرتين حالات الخرف الذي يعتبر متلازمة يتسبب بغالبيتها مرض الزهايمر، بحلول عام ٢٠١٣، على أن تتضاعف ثلاث مرات بحلول عام ٢٠٥٠ لتصيب ١١٥,٤ مليون شخص حول العالم. هذا ما جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية، ثمانية بلدان فقط تملك برنامجا وطنيا لمكافحة الخرف.

■ ذكرت محطة (سي. إن. إن) أن عشرة من أروع شعوب الأرض (حسب زعمها) تمتلك سمات خاصة مميزة وهي كالتالي بالترتيب: البرازيليون- السنغافوريون- الجمايكيون- المنغوليون- الأميركيون- الكوريون الجنوبيون- الإسبان- اليابانيون- البنسوانيون- الصينيون.

■ أعلن علماء أميركيون أن معرفة المجموع الوراثي للإنسان لا يساعد كثيرًا في التنبؤ بالأمراض التي يمكن أن تصيبه وأن تكاليف قراءة المجموع الجيني للإنسان تراجعت منذ أن نجح العلماء في فك الشفرة الجينية للبشر.

■ اكتشف باحثون أميركيون أن تمساح النيل الذي اكتشفه المصريون القدماء هو بالفعل نوعان يطلق عليهما الاسم عينه.



الصواعق
ظاهرتا البرق والرعد

البرق شرارة كهربائية عملاقة.. وأغلب البرق الذي يراه الناس يكون بين السحابة وسطح الأرض، ولكن من الممكن حدوث البرق أيضًا داخل سحابة أو بين السحابة والهواء أو بين سحابتين، وعندما يحدث البرق في الغلاف الجوي تنتشر الطاقة الكهربائية في الهواء وقد تصيب هذه الطاقة الطائرات المتحركة في المنطقة ببعض الضرر ولكنها لا تسبب أضرارًا على الأرض.

وقد يصل الجهد الذي يسبب الوميض إلى حدود (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) فولت، بينما قد يصل التيار الناتج عنه إلى (٢٠٠,٠٠٠) أمبير، وإذا حاولنا أخذ فكرة عن الطاقة المتمثلة في وميض شديد، وضربنا الرقمين السابقين، فإننا نحصل على رقم هائل هو (٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) كيلو وات، وعلى أننا إذا تذكرنا أن الوميض يستمر جزءًا من مائة من الثانية أو أقل فإن الطاقة الكلية تبلغ نحو (١١,٠٠٠) كيلو وات ساعي، وهو رقم يبدو أكثر تماشيا مع العقل، وومضة البرق شبيهة بانفجار مادة (T.N.T) التي لا تتوقف قدرتها التدميرية على كمية الطاقة التي تطلقها، بل استخدام قوة هائلة لجزء صغير من الثانية.

ويتكون البرق الذي يصيب الأرض من واحدة أو أكثر من تفريغ الشحنات الكهربائية التي تسمى «الضربات» ويسمى الضوء الساطع الذي يراه الناس في ومضة البرق «الضربة المرتجعة» وتتحرك الضربات المرتجعة بسرعة تقترب من سرعة الضوء، وهي ٢٩٩,٧٩٢ كم/ ثانية، وتقوم بتفريغ حوالي ١٠٠ مليون فولت من الكهرباء كما ترتفع درجة

هل يمكن للذبابة أن تحجب بجناحيها ضوء الشمس؟!

ذلك مستحيل ولو على سبيل الخيال، كذبة كبرى عشناها جميعًا طوال عقود مضت وهي أن الشريعة من الصعب تطبيقها في العصر الحديث.

كذبة كبرى عشناها تقول: إن العلمانية هي باب التقدم والرفاهية ولا غرابة في ذلك فهذا هو الصراع بين الحق والباطل وهذا هو صراع الأيدلوجيات بين الإسلام والغرب، حيث رصدت المؤسسات الغربية المليارات لهذا الغرض واعتبرته أهم وأولى من الحروب المسلحة حيث يدخل ذلك في مصطلح الحروب الناعمة كما يذكر الساسة.

لقد أكدت معظم الشعوب المسلمة رغبتها في تطبيق الشريعة، وهنا ازداد سعار المرجفين في المدينة فباتوا يكيدون بليل للشريعة فسمعنا من يقول ماذا ستفعل الشريعة في أهل البكيني؟ وكيف ستحل الشريعة مشكلة الأقليات؟ وكيف ستحل الشريعة مشكلة السياحة والتماثيل؟ وكيف بنا نعيش في جو بعيد عن الفن والموسيقى؟ أسئلة كثيرة أثارها المرجفون في المدينة لا أرى فيها إلا إثارة الفتن ومحاولة تعطيل مسيرة الديموقراطية ثم الوقوف أمام إرادة الشعب الهادرة التي قالت وبأعلى صوتها نحن نريد الإسلام، هؤلاء المرجفون في المدينة الذين تربوا على كراهية الفكر الإسلامي ورضعوا من ثدي العلمانية وعاشوا على الدولارات والعطاء السخي فباعوا دينهم وتلك هي أجندتهم.

أقول لهؤلاء وأمثالهم إن الإسلام منهج حياة جاء ليصلح الناس والمجتمع في كل مناحي الحياة صغيرها وكبيرها، بداية من كيفية الطعام وانتهاء بالحكم ومؤهلات الحاكم، نقول وبكل ثقة وفخر نعم لتطبيق الشريعة ونعم لتطبيق الحدود، لأن كل من يفهم ويدرك فقه التطبيق ومآلات الحدود ومقاصدها يقول ذلك لأن الأصل في الشريعة ليس تطبيق الحدود وفرض ذاتها وإنما الإصلاح وردع الفاسدين والمفسدين والمجرمين الذين يصرون على إجرامهم، ولا أدل على ذلك من منهج النبي ﷺ في إرجاع الزاني الذي جاء للنبي ﷺ يقول له هلا ضاجعت هلا قبلت هلا كذا هلا كذا في محاولة لإثناء النبي ﷺ له عن قوله، وكأن النبي ﷺ يبحث له عن مخرج ليستره ولا يقيم عليه الحد.

إن القرون الثلاثة الأولى لم يقم فيها حد السرقة إلا ست مرات.. أمثلة كثيرة تؤكد أن الأصل في الشريعة هو الإصلاح العام وشيوع الرحمة والتشجيع على التوبة وستر المعاصي وليس كما يدعي المرجفون في المدينة أن الشريعة سوف تقتحم البيوت وتكشف الأستار وتفتش عن كل مذنب

حرارة الهواء في مسارها لأكثر من ٣٣,٠٠٠ درجة مئوية ومن ثم يتمدد هذا الهواء الساخن بسرعة لتنتج عنه موجة من الضغط تسمى الرعد.

في كل ثانية يضرب البرق أرضنا مائة مرة، وفي كل سنة تقتل الطاقة الكهربائية الناتجة عن تسعين مليون صاعقة عملاقة في الولايات المتحدة الأميركية وحدها أكثر مما تقتله الأعاصير.

والصواعق تدمر نحو ثمانية عشر منزلًا كل عام وتلحق أضرارًا مادية تعادل مائة مليون دولار.

ويحدث البرق قرابة مائتي مليون ضربة في الغابات والأراضي الخضراء من عالمنا كل سنة، وهي تؤدي إلى نشوب حرائق تبلغ كلفة إخمادها مائة مليون دولار، ولا تقتصر الأضرار الناجمة عن البرق على اليابسة، بل إن السفن كثيرًا ما تتعرض لضرباته قبل وصولها اليابسة، كذلك تتعرض لها الطائرات التجارية بمعدل ساعة من كل خمسة آلاف ساعة طيران.

كافية محل الكبش

لتقيم عليه الحد.. هيهات هيهات وأنى لمنهج الإسلام أن يكون كذلك؟

لم تعرف مصر عبر تاريخها الطويل ما أسماه المرجفون بالفتنة الطائفية، فقد عاش المسلمون والنصارى إخوانًا متحابين في الوطن، ولا غرابة في ذلك فإن بر المسيحي في الإسلام عبادة قبل أن يكون عادة فقد أوصانا الله تعالى بهم خيرًا يقول تعالى: ﴿أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ (الممتحنة: ٨) فحقوق النصارى مكفولة في الدين ومحفورة في الفطرة المصرية.

ويقول المرجفون في المدينة إن السلفيين سيجعلون من مصر طالبان جديدة خاصة في تحطيم التماثيل والقضاء على السياحة، ويرد عليهم السلفيون بقولهم: إن الصحابة حين دخلوا مصر لم يحطموا التماثيل ولكن المرجفين في المدينة لم يصدقوا وأصروا على التضليل.

إن المرجفين في المدينة لن يرضيهم إلا وقف مسيرة الديموقراطية لأن ذلك ببساطة سيكشفهم ويفضح خططهم ويبين حقيقتهم وفشلهم، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.. أشعلوا فتنة وأخمدتها رحمة السماء، نراهم مع ذلك لا يكفوا عن ابتداع كل ما من شأنه تعطيل مسيرة الخير وبعد أن فشلت هذه المحاولات وأخمدت بفضل الله كل هذه النيران نراهم يحاولون- يائسين- النيل من الشريعة الإسلامية والمنهج الإسلامي فأنى للذبابة أن تحجب بجناحيها ضوء الشمس؟

رسالة قارئ

مجلة الوعي الإسلامي من المجلات الإسلامية الكبرى الواسعة الانتشار التي تؤدي دورها الإيماني في سبيل نشر الدعوة للإسلام ولما لها من دور بارز من خلال كتابها الإسلاميين من مختلف الأقطار العربية والإسلامية الذين لهم رؤى ثاقبة وجهود مستمرة في العمل الدائم بهدي سيد الأنام محمد ﷺ ودراسة سيرته ومحاسنه وأفضاله على العالم أجمع.

لقد كانت مجلتنا الإسلامية العالمية «الوعي الإسلامي» سباقة في كل المناسبات والأعياد الإسلامية في إهداء هدايا اسلامية قيمة تليق بكل مناسبة، كما أنها تؤدي دورها الكبير في وقوف القارئ المسلم على ما يهم كل قارئ مسلم من تاريخ البطولات الإسلامية والفتوحات.. حيث قدمت للقارئ الهدايا الآتية على سبيل المثال لا الحصر «عصر الخلفاء الأمويين» عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م و«المسلمون في الأندلس» ٩٢- ٨٩٧ هـ/ ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م» و«الدولة العثمانية ١٢٩٩م- ١٩٢٤م/ ٦٩٩هـ- ١٣٤٢هـ».

لذا يسعدنا نحن قراء مجلة الوعي الإسلامي أن نرى مع أعداد مجلات الوعي الإسلامي المزيد من تلك الهدايا القيمة التي تنير العقول وتزيد من الثقافات الإسلامية وتعمر المكتبات الشخصية لكل قارئ وتزيد القارئ ثقافة ومعرفة إسلامية.

سدد الله خطاكم وأيدكم بتوفيقه في جميع خطواتكم واقبلوا فائق تقديري وإعزازي

القارئ- طه محمود عمر فضالي

■ المحرر: شكرًا على إطرائك المجلة ونحن بصدد الانتهاء من إعداد بعض الإصدارات التي ستهدى للإخوة القراء تباعًا.

تنويه

- نشر في العدد (٥٥٩) في موضوع «وقائع في سيرة الرسول» أن تاريخ مولد الرسول ﷺ سنة ٧٥٠ ميلادي، والصحيح هو ٥٧٠ ميلادي، ونشكر الأخت إيناس الأطرش من تونس.

- نشر في العدد (٥٦٠) مقال «العداء سنة كونية» للكاتب زياد موسى باعتبار أنه أردني، والصحيح أنه مصري الجنسية.

- نشر في العدد (٥٦١) مقال «مسابقات في فهم القرآن» للكاتبة دعاء حاتم، والصحيح أنه للكاتب محمد نبيل بهي من مصر.



الفكر الإداري في صبح الأعشى

أبوالعباس القلقشندي من أبرز وأشهر كتاب العصر المملوكي، ولد الرجل في سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة في بلدة قلقشندة من أعمال مدينة طوخ بمحافظة القليوبية بمصر، وينحدر أبوالعباس من أصل عربي، فهو من بني بدر من فزارة الذين وفدوا على مصر مع من وفد من العرب منذ الفتح الإسلامي، ونزلوا بإقليم القليوبية، واستولوا على معظم أراضي هذا الإقليم، وأصبحت لهم الرياسة والغلبة على جيرانهم بمن فيهم بنو عمومتهم بنو مازن بن فزارة، وقد نشأ القلقشندي نشأة علمية صحيحة، وتربى تربية سليمة في بلدته، ثم توجه إلى الإسكندرية وأقام بها مدة من عمره في طلب العلم على مشاهير العلماء في زمانه، واشتغل في أثناء ذلك بفنون اللغة العربية والأدب حتى اجتمع له من ذلك مقدار وافر، وبعدما ظهر جده ونبوغه جلس شيخنا للتدريس، فانتفع به كثيرون، وبدا للناس فقيها يميل إلى الاجتهاد، ويحاول أن يضع لعلم الفقه أصولاً وقواعد، ولم يكتف شيخنا بعلم الفقه، بل أخذ نفسه كذلك بالتمرس بفن الأدب، ويدلنا على ذلك أنه ألف طائفة من الكتب والرسائل منها «حلية الفضل والكرم في المفاضلة بين السيف والقلم، وشرح على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وصبح الأعشى»، ويعتبر كتابه «صبح الأعشى» أخطر كتبه ويذكر به دائمًا بين المؤلفين في سائر الدهور، ويمثل معرضا جميلا لآثار الكتابة الديوانية منذ عرف المسلمون ديوان الإنشاء إلى زمان المؤلف،، وقد جاء الكتاب في مقدمة وعشر مقالات وخاتمة، جاءت المقدمة في خمسة أبواب، تحدث في الباب الأول عن صفات الكتاب وآداب مهنة الكتابة، وانتهى فيه إلى القول بأن الكتابة وإن كثرت أنواعها وتعددت أشكالها لا تخرج عن أصلين هما كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال، والأولى أفضل وأجمل لتأسيسها على البلاغة والبيان، وتحدث في الباب الثاني عن صفات الكاتب ومن أبرزها صفات الإسلام والذكورة والتكليف والاستقامة والبلاغة والعقل والهمة وشرف النفس والعمل والكفاءة، وصفات أخرى يجب أن يتحلى بها الكاتب منها: قوة النفس وحضور البديهة وجودة الحدس والجرأة والنزاهة وكرم الخلق وأناقة الزي وعطر الرائحة، وتناول في الباب الثالث آداب الكتابة فقال: إنها على ضربين هما حسن السيرة وحسن المعاشرة، ويقصد بالأول مجموعة الأخلاق الكريمة كالإخلاص والنصيحة وكتمان السر والشكر والوفاء وحسن اختيار الوقت للعرض والطلب وحسن الوساطة، أما الضرب الثاني فيقصد به معاشرة الملوك والعظماء والأكفاء والنظراء والأتباع والمرؤوسين والرعية، ومعاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها كحرمات الجوار والصداقة والقرابة والمطاعمة، كما ينبه إلى أنه يجب على الكاتب أن يوفيهم حقوقهم ويعينهم على نوائب زمانهم، ويساعدهم في بلوغ مطالبهم من سلطانهم، ويعرفنا في الباب الرابع باختصاصات كاتب الديوان، ودرجات كتابه السبعة وأدوارهم الوظيفية، وفي الباب الخامس يحدد ثقافة كاتب الديوان والتي يقسمها إلى نوعين هما الثقافة العلمية والثقافة العملية، الثقافة العلمية تتألف من عدة عناصر أهمها الإلمام باللغة العربية وآدابها، ومعرفة أنساب العرب والعجم، وأيام هؤلاء وهؤلاء ووقائعهم ومفاخرهم، والوقوف على عادات العرب في الجاهلية وما بقي من هذه العادات في الإسلام، والاهتمام بتاريخ الخلافة ونظمها ووظائفها وأحكامها، والإلمام بالثقافة الجغرافية وباللغات الأعجمية كالفارسية والرومية والسريانية والعبرية وغيرها من لغات الأمم التي لها صلة بدولة الإسلام، فضلاً عن الاهتمام بفن الوصف، والمقصود بهذا كل ما يحتاج إليه الكاتب من أوصاف الرجال والنساء والحيوان والدواب والطير وآلات السفر والركوب والسلاح والحصار، وأوصاف الأحجار الكريمة كاللؤلؤ والياقوت والزمرد والمرجان، فضلا عن معرفة الكاتب بجميع أنواع الطيب كالمسك والعنبر والعود والصندل، والوقوف على أوصاف هذه الأنواع والجهات التي ترد منها، أما الثقافة العملية فقوامها معرفة فن الخط وآلاته ومبادئه وصوره وأشكاله وما يتصل بالخط من النقط والضبط والشكل، فضلا عن ثقافة الكاتب الديوانية والتي تتمثل في معرفته الأسماء والكنى ونظام الألقاب في الدولة، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع منها من الأقلام والطريقة التي تكتب بها ملخصات القصص والمظالم ونحو ذلك وفواتح وخواتيم الرسائل والمكاتبات، ويتناول في المقالات العشر أنواع الرسائل وأساليب كتابتها، وفي الخاتمة يتحدث عن البريد ومطارات الحمام وأبراجه ومراكب الثلج والمحرقات والمناور، وقد استقى القلقشندي مادة كتابه من أكثر من مائة مصدر منها على سبيل المثال ذخيرة الكاتب لابن حاجب النعمان، العلم والدواة لمحمد بن علي، كاتب قوانين الدواوين لابن مماتي، صناعة الكتابة لأبي جعفر النحاس، كنز الكتاب لكشاجم، معالم الكتابة لابن شيث.

محمد فؤاد علي

أي الإيمان إيمانك؟

أخي الحبيب أي الإيمان إيمانك؟ وأي الآلهة إلهك؟ هل إلهك هواك؟ ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣)، هل إلهك مالك؟ «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة .....» (البخاري)، هل إلهك شيطانك؟ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾ (يس: ٦٠)، هل إلهك رئيسك أو شيخك؟ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (التوبة: ٣١) هل إلهك أهلك أو عشيرتك أو عملك أو منصبك؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ (البقرة:١٦٥)، أم إنك إله من الآلهة؟ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ (القصص: ٣٨)، أم إنك متعدد الآلهة «يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة: ستة في الأرض وواحدًا في السماء» (الترمذي)، أم إنك عزيز الوجود ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ (الفرقان: ٦٨)، وأي الإيمان إيمانك؟ إيمان الأنبياء؟ أم الأصفياء؟ أم الشهداء؟ أم الأتقياء؟ أم السفهاء؟ أم الأشقياء؟

إن كان إيمانك مجرد قول فإنه لا ينفع، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ (الحجرات:١٤)، وإن كان بعض شعب الإيمان فلا يكفي، «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» (البخاري) بل لابد أن تجد طعم الإيمان «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا» (مسلم) وأن تجد حلاوة الإيمان «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (البخاري)، وأن تكون أهلًا لحب الإيمان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧)، لتكون من المؤمنين حقًا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾ (الأنفال: ٢-٤).

أي هذا الإيمان إيمانك؟ وأي هذه الآلهة إلهك؟ هل وصلت إلى درجة المؤمنين حقًا؟ وهل بعدما وصلت إليها واقشعر جلدك ودمعت عينك وارتجف قلبك واستكانت نفسك وخلعت بصيرة القلب على العقل حلل الفكر، هل واصلت بعدما وصلت؟ أم توقفت وفصلت؟ ورجعت وانقلبت؟ فلا ثبات ولا استقامة، والله إني لأرى في نفسي التلون والتلوي كلما دعاها إله من تلك الآلهة تبعته فلا تستقيم مع الإيمان ولا تثبت على التوحيد، وأجاهد قلبي أن أكون حاضرًا كل ركعة عند قولي ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: ٦) حتى يستقيم، ولكن تغلب عليه القواطع وتصرفه الشواغل، قال ابن تيمية «والعبد مضطر دائمًا إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم» وقال: «بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم» وقال: «ولهذا كان هذا الدعاء هو المفروض» (مجموع الفتاوى ج ١٤) قلت سبحان الله مفروض وأدعو به كل يوم في أكثر من خمس وعشرين ركعة ومع ذلك كثيرًا ما أرى نقص الإيمان وتشتت الوجدان.

أخي الحبيب.. لا أحدثك عن الإيمان النظري الذي ألفت فيه آلاف المجلدات واختلفت فيه عشرات الفرق، إنما أحدثك عن الإيمان العملي الذي إن استكملت شعبه وذقت حلاوته وتحققت في القلب محبته واستقامته خرج نوره من القلب إلى الوجه والبصر والسمع واللسان والجوارح، به ترتدى حلل الهيبة وتكشف حجب الظلمة، سئل ﷺ أي العمل أفضل فقال: «إيمان بالله ورسوله...» (البخاري).. أخي الحبيب تدبر معي هذه الآيات من أول سورة الحديد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد: ١-٦).

قد يبدو أن هذه الآيات ليس لها موضوع واحد ويصعب الربط بينها حتى عند من يراجعها ولكن تأتي أول كلمة بعد الآيات السابقة ﴿آمنوا بالله﴾ لتربط وتوضح، فالآيات جمعت حقيقة الإيمان وتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتصب على هذا المطلب وتشرحه، وضع هذه الكلمة قبل كل آية من الآيات الست وتأمل ﴿آمنوا بالله الذي سبح له ما في السموات والأرض﴾، سبحه الشجر والحجر والبشر، سبحه الرعد والبرق والمطر، سبحه النمل في الجحر، والدود في الصخر، والوحش في الوكر، سبحه طير الهواء، وفلك السماء، وحوت الماء، وأصوات الكون المتواصلة بالتسبيح لو سمعتها لانتظم قلبك في فلكها وما انقطع، وأبى رسول الله ﷺ إلا أن يزاحم الكون بالتسبيح فكان يقول: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» (مسلم)، ووالله كم يزيد الإيمان عند الفكر في تسبيح الكون والتأمل في كيفية سجوده، ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ (النور: ٤١).

(آمنوا بالله الذي) ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ قال ابن كثير: «وهذه الآية هي المشار إليها في حديث العرباض بن سارية: أنها أفضل من ألف آية» وفيه «أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية خير من ألف آية» (رواه أحمد وأبوداود والترمذي والنسائي).

عبدالحميد محمد طنطاوي

من غرر الحكم

إعداد : بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصوتًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- الرافعي: «إذا لم تزد شيئًا على الدنيا كنْتَ أنتَ زائدًا على الدنيا».

- الرافعي: «أنت عجزت أيها الإنسان فأيقنت أنك لا تستطيع أن تغير أطوار الدنيا، ولكن كيف نسيت الذي يستطيع أن يغيرها، وهو يغيرها كل طرفة عين» (٢).

- الرافعي: «يأتي الغرور من ضعف النظر إلى الحقيقة، لو أن للنملة عينًا وسئلت عن الذبابة كيف تراها لقالت: هذا فيل عظيم» (٣).

- الرافعي: «إن الباطل لا يجد أبدًا قوته في طبيعته، بل تأتيه القوة من جهة أخرى فتمسكه أن يزول، فإذا هي تراخت وقع، وإذا زالت عنه اضمحل، أما الحق فثابت بطبيعته قوي بنفسه» (٤).

- ابن المعتز: «الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة: من صواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وتعريف بقدر النعمة، ومُرُون على مقارعة الدهر» (٥).

- الشدائد تصلح من النفس بمقدار ما تفسد من العيش، والترف يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش.

- عقول الرجال في أطراف أقلامها (٦).

- لا يزال المرء مستورًا، وفي مندوحة ما لم يصنع شعرًا أو يؤلف كتابًا، لأن شعره ترجمان علمه، وتأليفه عنوان عقله (٧).

- حق على العاقل أن يتخذ مرآتين، فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحلِّيهم بها، ويأخذ ما استطاع منها (٨).

- الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار غوره.

- حين يكون المرء شريفًا في مجتمع تسوده السرقة فإن شرفه يصبح عقوبة له، وقليل أولئك الذين يتحملون تلك العقوبة الى ما لا نهاية (٩).

- ابن المقفع: «الدَّيْنُ رِقٌّ فانظر عند من تضع نفسك» (١٠).

- ابن الجوزي: «ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض» (١١).

- ابن مالك النحوي: «وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية ففير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف» (١٢).

- مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

- من لاح له حال الآخرة هان عليه فراق الدنيا، تذكر حلاوة الوصال يهن عليك مر المجاهدة.

- خير المعروف ما لم يتقدمه مطْلٌ، ولم يتبعه مَنٌّ (١٣).

- أرضى الناس بالخسارة بائع الدين بالدينار.

- اسحق نيوتن: «إذا كنتُ أستطيع أن أرى أبعد من الآخرين فلأني إنما أقف على أكتاف العمالقة».

- إذا كان الرأي عند مَنْ لا يقبله،

والسلاح عند من لا يستعمله، والمالُ عند من لا ينفقه ضاعت الأمور.

– إذا كان للمُحْسنِ منَ الثّواب ما ينفعه، وللمُسيء منَ العقاب ما يقمعه، بذل المحسن ما عنده رغبة، وانقاد المسيء للحقّ رَهْبة (١٤).

– أجمل في الطلب تكفك المقادير ما هو كائن، فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك (١٥).

– الابتسامة أقلُّ كلفةً من الكهرباء وأكثر إشراقًا منها (١٦).

– إذا حلت المقادير ضلت التدابير.

– إنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته لا لقدمه وحدوثه.

– لو لا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب في القلوب (١٧).

– الزهور لا تحتاج إلى ألوان تزينها.

– إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل.

– على المرء أن يتذكر أن كل فشل يمكن أن يكون خطوة نحو تحقيق شيء أفضل.

– السعيد من زادت مجاري القدر في استبصاره، ووقعت حوادث الغير موقعها من اعتباره (١٨).

– أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان (١٩).

– لا تجعل غاية همتك ومنتهى قصدك أن تمر على الماء، أو تطير في الهواء، يصنع الطير والحوت ما أردت، طر بجناح همتك إلى ما لا غاية له (٢٠).

– احذر من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره.

– أحمد الناس عقلًا من إذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشد ضبطًا، وأكثرهم استماعًا من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة (٢١).

– بارقة الحقيقة تظهر من مصادمة الأفكار.

– رُبّ بعيد لا يُفْقَدُ بِرُّه، وقريبٍ لا يُؤْمَنُ شَرُّهُ (٢٢).

– تعلّمْ درْسًا من البعوضة، فإنها لا تنتظر أبدًا فتحة تنفذ منها بل تصنع واحدة.

– ابن هُرمُز: «ينبغي للعالم أن يُورث جُلَسَاءَه قَوْلَ «لا أدري» حتى يكونَ ذلك أصْلًا يفزعون إليه» (٢٣).

– إن مَنْ عرف فضل قوته على الضعفاء، فاغترّ بذلك في شأن الأقوياء، قياسًا لهم على الضعفاء، كانت قوتُه وَبالًا عليه (٢٤).

– إذا طُعنتَ من الخلف فاعلمْ أنك في المقدمة.

– إن مَنْ لم يفكر في العواقب لم يأمَنْ من المصائب، وحقيقٌ ألا يسلمَ من المعاطب (٢٥).

– إن مَنْ يخوّفك حتى تلقى الأمنَ أشفقُ عليك ممّن يؤمّنك حتى تلقى الخوفَ.

– العلمُ يستطيع أن يفسر الأشياء، ولكنه لا يستطيع أن يقول: لماذا وجدت الأشياءُ، أو ما هي الغاية من الكون.

– لا تكن رطبًا فَتُعْصَرَ، ولاَ يَابسًا فتُكْسَرَ، ولا تَكُنْ حُلْوًا فتُسترط (٢٦)، لا مُرًّا فَتُلْفَظَ.

– سهل بن هارون: «إذا كان الحب يعمي عن المساوئ فالبغض أيضًا يعمي عن المحاسن، وليس يَعرف حقائق مقادير المعاني، ومحصول حدود لطائف الأمور إلا عالم حكيم، ومعتدل الأخلاط عليم، وإلا القويُّ المُنّة، الوثيقُ العقدة، والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر» (٢٧).

– إن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها، فما رجا أن يتمّ له منها أقدم عليه، وما خاف أن يتعذر عليه انحرف عنه، ولم يلتفت إليه (٢٨).

– ابن الجوزي: «مَنْ عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها، ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة (٢٩).

الهوامش:

١- البيان والتبيين ١/ ٨٣ .
٢- كلمة وكليمة، ص ٦١ .
٣- كلمة وكليمة، ص ٤٢ .
٤- تحت راية القرآن، ص ٣١٤ .
٥- زهر الآداب ١/ ٥٩٩ .
٦- عيون الأخبار ١/ ١٠٧.
٧- العمدة في صناعة الشعر ونقده ١/ ١٨١.
٨- الأدب الصغير، ص ٥٠ .
٩- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، ص ٧٥.
١٠- البيان والتبين ٣/ ٢٦٧.
١١- صيد الخاطر، ص ١٦٣- ١٦٤.
١٢- مقدمة كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٢.
١٣- البصائر والذخائر ١/ ١٧٠.
١٤- التذكرة الحمدونية ١/ ٢٩٧.
١٥- البصائر والذخائر ٢/ ١٢٨.
١٦- المتحدث الجيد، ص ١٨.
١٧- البصائر والذخائر ٤/ ١٦٩.
١٨- البصائر والذخائر ٦/ ١٧٠.
١٩- مجموعة الفتاوى ٥/ ٧٧.
٢٠- البرهان المؤيد، ص ٤٧.
٢١- كليلة ودمنة، ص ٣٠٦.
٢٢- البصائر والذخائر ٥/ ٢٠.
٢٣- سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٧.

طريق الإسراء والمعراج

عفوًا يا رسول الله . . عفوًا يا خاتم الأنبياء والمرسلين . . عفوًا يا من صلى عليك الله وهو الذي أحبك واختارك واصطفاك رسولًا ونبيًا ومبشرًا ونذيرًا إلى يوم تقوم الخلائق لرب العالمين . . يا رسول الله يا من يصلي عليك الملائكة والمؤمنون في كل وقت وحين .

عفوًا يا رسول الله . . إن كانت ذكرى إسرائك ومعراجك تحل علينا ، ونحن فيما فيه من غفلة من أنفسنا . . نسينا ضمائرنا . . هجرنا هويتنا . . ولينا ظهرنا لما يسعدنا في حياتنا فكانت الحياة الضنك . . وهذا الهم والحزن الذي استعذت منه يا رسول الله .

عفوًا يا رسول الله . . أن تحل علينا تلك الذكرى والأمة تئن وتتوجع . . تتضور ألمًا وآهات . . تريد من ينقذها . . يأخذ بيدها . . ينتشلها مما هي فيه . . رحماك يا الله .

رأيتك يا رسول الله في كتاب الله قد أنزل وقد رتل ، رأيتك حقًا في نداء الحق قد هلل وقد كبر ، رأيتك يا رسول الله في ضمير الكون قد بشر وقد أنذر . . رأيتك في كل شيء أحبه وأعشقه لأني لا أحب ولا أعشق إلا اثنين قلت عنهما في حديثك الشريف «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» .

أراك يا رسول الله في شوقي إليك وحبي لك ، وشوقنا إليك وحبنا لك هو أن نسير على منهجك ونلتمس خطواتك لم لا . . وقد جعلك الله واختارك دون بشر الكون وأنبيائه ورسله قدوة وأسوة لنا؟ . . . وشاء الله لك أن تكون هكذا .

وأفضل منكِ لم ترَ قطُ عيني ... وأجملُ منك لم تلد النساء
خلقت مبرَّأً من كل عيب ... كأنك قد خُلقت كما تشاء

ونحن في ذكرى الإسراء والمعراج ليلة أن تشرفت السموات وأهلها بلقائك وفتحت لك الحجب فاخترقت لأنك أنت المطلوب ، فأراد ربك أن يُسري عنك رحمة بما لقيت من خصومك وأعدائك ، ورحمة بما تحمل فؤادك من حزن وهم ، فلم تجد بدًا من أن ترفع الأكف خاشعة خاضعة لرب السماء ، تدعوه في ضعف وقلة حيلة ، فاستجابت لك السماء ومنحتك تكريمًا وتشريفًا وحنانًا خاصًا لك وبك ، تقدمت تصلي بالأنبياء إمامًا . . رأيت في السموات السبع الطباق ما جعلك تحوز كل فخار وتكريم إلى أن وصلت إلى سدرة المنتهى فرأيت ما رأيت من آيات ربك الكبرى ، وكان جبريل عليه السلام دليلًا لك وصاحبًا في هذه الرحلة فما أعظم الرحلة وما أروع الصاحب !

الآن يا رسول الله نحنُّ إليك . . نحنُّ إلى مرائيك ومشاهداتك في إسرائك ومعراجك . . وما هي إلا ثمار يانعة شاء الله لك أن تقطفها وتتذوقها وتهديها لأمتك طيبة شهية حلالًا تعشقه فطرة النفس وتهواه غريزة البشر في كل زمان ومكان فقد حان الوقت أن نعيد قطفها والتلذذ بها ابتغاء مرضاة الله وأملًا في سعادة الدارين .

الآن يا رسول الله . . نحنُّ إليك . . نحنُّ إلى مواثيق السماء وقوانين دولتك الخالدة التي أرادها الله أن تكون وما ينبغي عليه أن تكون . . نحنُّ إلى منهجك الذي مقصده سعادة البشر وراحة القلب وطمأنينة الروح وصفاء النفس وسلامة الدنيا والبشرى بالآخرة معك والنبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا .

طريق الإسراء والمعراج . . ما أحلى الرجوع إليك ! وما أروع المسير فيك ! كي ننقذ أنفسنا مما يحيط بنا من آثام وشرور تكاد تفرض نفسها علينا لولا رحمة الله بنا وإيماننا بالله عز وجل . . ولأن الرجوع إليك هو الحياة التي أرادها رب العباد الذي يجيب المضطر إذا دعاه . . الذي يأمر الحجب فتفتح لدعوة المظلوم كي تخترقها لأنه ليس بينها وبين الله حجاب . . نحنُّ إلى المسير في هذا الطريق لنحيا حياة آدمية تتفق وقوانين السماء وتكريم الله لنا خلقًا ورعاية . . أمنًا وطمأنينة . . رحمة وعدلًا .

طريق الإسراء والمعراج . . ما أحلى الرجوع إليك . . ! وما أروع المسير فيك !

عثمان حسين

